الزنوجة و الأدب

د. هيام أبو الحسين

فى العقد الأخير كثر الحديث فى مصر عن « الزنوجة » والأدب الزنجى . وعندما ترد مثل هذه التعبيرات فليس يقصد بها الأدب الأفريقى وحده ، بل أدب « الزنوج » عامة سواء هؤلاء الذين توارثوا القارة الأفريقية جيلاً بعد جيل ، أو أولئك الذين انتزعوا من أحضانها ، وألقى بهم تجار الرقيق فى غياهب الأمريكتين بعد اكتشاف « العالم الجديد » . . . فسواء كان هؤلاء السود يعيشون فى كوبا أو غينيا الجديدة أو الأنتيل . . . يكتبون بالأسبانية أو الإنجليزية أو الفرنسية ، فهم ينحدرون من أصل واحد ، يجمع بينهم اللون والعرق ، والتجارب الإنسانية الأليمة المشتركة ، إذ تقاسموا خبز المنفى الأسود ، وذلّ الاستعباد ، وأغلال السخرة . ورغم بعد الشقة فى الزمان والمكان ظلوا يحتفظون بالثروة الوحيدة التى حملوها معهم عند رحيلهم الإجبارى عن الوطن الأم ، ألا وهى ذاك الأدب الشفوى من أساطير ، وأمثال ، وأغان ، وأناشيد ، وحكايات ، وأنغام ، تملأ ذاكرتهم ومخيلتهم ، وينقلها الصغار عن الكبار ، وتنطلق بها حناجرهم كلما اشتد الأسى وطال الغياب . هذه الثروة الحيّة تمثل رؤية الإفريقى للكون ، وتفاعله مع البيئة الطبيعية ، والاجتماعية ، وتحمل فى طياتها التقاليد القبلية ، والقواعد الخلقية والمعنوية ، والأعراف التى لها قوة القانون فى تلك المجتمعات . هذه « الثقافة » بالمفهوم الواسع للكلمة لم يستطع السادة البيض أن يتحكموا فيها :

فهى تعيش داخل الوجدان ؛ لكنها تغيرت ، وتطورت ، أو تدهورت ، بفعل البيئة الجديدة . . . التى خلقها المستعمر الأبيض فى أفريقيا ، أو تلك التى تلقفت الأسود عند وصوله إلى أمريكا . وأهم ما فى الأمر أن الصدمة الحضارية ، والمعاناة البشرية أعطتها عمقاً وأبعاداً جديدة . . . فلما ظهر من بين السود أدباء يكتبون بلغات أوربية معروفة جاء إنتاجهم مختلفاً اختلافاً بيّنا عن إنتاج أقرانهم الغربيين الذين يستخدمون نفس اللغة ولكنهم يعبرون عن تجربة انسانية مختلفة . فأدب الزنوجة يعبر عن الهويّة الزنجية بصدق وعمق ، ومرارة ، وحرارة ، لفتت إليه أنظار الكثير من النّقات الذين أشادوا به ، أمثال اندريه بروتون ، وميشيل ليريس ، وجان فاجنر ، وجان بول سارتر ، وغيرهم .

وإذا كنا قد بدأنا حديثنا بتوضيح الصلة القوية بين السود فى أمريكا والسود فى إفريقيا فذلك لأن حركة الزنوجة قد بزغت بشائرها فى أمريكا قبل أن تنتقل إلى إفريقيا عبْر القارة الأوربية : مصدر « الإشعاع الحضارى » فى نظر أهلها . . . ومصدر الشقاء والاستعباد والاستغلال بالنسبة لهؤلاء « الملعونين فى الأرض » حسب تعبير فرانسى فانون . فقد بدأت فى أمريكا الشمالية بما يسمّى حركة « الإحياء الزنجية » التى يعدّ دى بوا ــ باجماع الآراء ــ الأب الروحى لها . ولد هذا الكاتب عام ١٨٦٨ ، أى غداة الإلغاء « الرسمى » للعبودية [١٨٦٥] ، وبالرغم من أنه من السود القلائل الذين تابعوا دراستهم حتى المراحل العليا ، وحصل على دكتوراه فى الفلسفة ، فإنه شعر بمدى الظلم الذى يعانى منه أبناء جلدته ممن كانوا يعاملون معاملة « إنسان » من الدرجة الثانية ــ

لا « مواطن » من الدرجة الثانية فحسب . وعلى عكس أقرانه ممن كانوا يحاولون جهد طاقتهم التشبه بالبيض حتى أطلق عليهم فيما بعد « قرود البيض » سمعنا دى بوا يتباهى بانتمائه إلى الجنس الأسود فيقول :

« أنا زنجى ، أزهو بهذا الاسم ، وأفخر بما يجرى فى عروقى من دم أسود » .

هذه الصيحة التى نـدّت عن دى بوا وهـو بعد فى الثـانية والعشرين كانت دعوة صريحة للسود بألا يخجلوا من أصلهم . وفى حين كانت البرجوازية السوداء تـردد مزاعم الأسيـاد بأن « أفريقيا قارة الهمجية » راح دى بوا يتغنى بمحاسن الوطن الأم ليحيى فى النفوس الشعور بالعزّة والكرامة :

« أفـريقيـا ليست بلدا ، بـل هى عـالم ، كـون يكتفى بذاته . . . إنها القلب الكبير للعالم الأسود ، تشتهى الروح أن تفنى فى أرجائه » .

لم يكتفِ دى بـوا بوصف مشـاعـر الحنين ، ولا بتـرديـد شعارات قد تبدو طنانة ، بل راح يستغل ما حصّله من علوم فلسفية ونفسية فى دراسة سيكولوجية الرجل الأسود ، ووضعه فى المجتمع الأمريكى ، وطريقة حمايته من أسلحـة جديـدة سلّطها عليه هذه المرة علماء الاجتماع لمنعه من التحرر الفعلى . فقد حاول هؤلاء « اقناع » السود بأنهم « جنس أدنى » ، جنس تسيطر عليه الشهوات الحسّية ، والعنف ، والخمول ؛ جنس لا يستطيع مهما يفعل أن يرقى لمستوى الرجل الأبيض ، وأن يسوس أموره بنفسه ، أو يغير أسلوب حياته . هذه الأحكام الجائرة والآراء التعسفية كانت تشلّ الرجل الأسود حين يحاول أن يستفيد من تلك « الحرية » التى انتزعها بالعـرق والدم ، وتزرع داخل نفسـه عقدة من الصعب الشفـاء منها : عقـدة « الـدونيـة » التى تؤدى بصـاحبهـا إلى الـذلّـة والمسكنـة ، فلا يسعه ــ على أكثر تقدير ــ إلا أن « يحاكى » من يعتقد أنهم « السـادة » ؛ وفى هذا مـا فيـه من ضيـاع الهـويـة ، ومسـخ الشخصيـة ، وهى أمور مـازالت تعانى منهـا مجتمعـاتنـا حتى اليوم . . .

فى نفس الوقت الذى كان دى بوا يجنّد قلمه فى محاربة اليأس والرضوخ للأمر الواقع لدى قومه ، راح مرقص جارفى يحثّ السّود على « العودة إلى إفريقيا » : أى العودة إلى الجذور ، إلى الأصل . لكن أمريكا نفسها تصدّت لهذه الدعوة ، وساندتها انجلترا فى ذلك ، لما يترتب عليها من انهيار اقتصادى لضياع الأيدى العاملة الرخيصة التى يقوم عليها المجتمع الرأسمالى . ولكن كفاح دى بوا اشتدّ على المستويين الأدبى والسيـاسى .

وضمنّ كتابه « أرواح سوداء » [١٩٠٣] برنامجاً شاملاً للنهوض بالزنوج عن طريق العلم والعمل والأخلاق . فى هذا الكتاب يتناول دى بوا مأساة الرجل الأسود بأسلوب شاعر ، ويحاول أن يحيى القيم التليـدة ، ويذكّـر بأمجـاد الأجداد الـذين أقـامـوا حضـارات مزدهـرة على أرض أفـريقيـة قبـل مجىء الـرجـل الأبيض . كما يدعو الزنجى أن يطهّر نفسه مما علق بها من أدران نتيجة لثلاثة قرون من الاستعباد ، وعندئذ يعود إلى جـوهره الأصيل فيصقله بأفضل ما يجده لدى أهل الغرب . . . حينئذ فقط يمكنـه أن ينعم بالحـرية الحقـة التى هى فى المقـام الأول « مسئولية » الإنسان عن ذاته وعن قـومه . وبقـدر ما صـوّر دى بوا جمال القارة السوداء وحنينه للعودة إلى أفريقيا « أرض الميعاد » أكد أيضاً ضرورة تمسك الزنجى الأمريكى بالبلد الذى يعيش فيه ، ذاك البلد الذى كان قفراً عند مجىء الأجداد إليه فحولوه بدمائهم إلى جنة فيحاء . . . فقد آن الأوان لأن ينعموا بدورهم بثمار هذه التضحيات فلا تظل وقفاً على البيض من الأمريكيين .

وكما حث دى بوا أخاه الأسود على « المطالبة » بهذا الحق ، طـالبه أيضـاً بالمضىّ قـدماً إلى الأمـام فى ذاك الطريق الـوعر الطويل ، طريق مكافحـة التخلف ، ليرقى درجـات « جبل الصحوة » الذى تتربع على قمته الشاهقة « الحرية الحقة » . ان كتـاب دى بوا يعـدّ فاتحـة أدب ملتزم ، أدى واقعى حمـاسىّ ثورى ، لا يتردد فى تسمية الأشياء بأسمائهـا ، وهذه السمـة تبدو فى الانتاج النثرى والشعرى الذى ارتبط بحركة الزنوجة بعد ذلك عنـدما وصلت إلى أفـريقيا . كـما يتضمن الكتاب نصائح وارشادات قد نحس إزاءها فى بعض الأحيان أننا أمام خطيب أو واعظ ، لكن دى بوا ــ فى حقيقة الأمر ــ أراد أن يعيد للكلمة قـدسيتها الأولى حـين كان المتحـدث إلى الجمع الكبير يتناول قضايا الإنسان وموضوعات الساعة فى صـراحة تامة ، ويحدد معالم الـطريق ، فيصير مسئـولاً « ضمنياً » عن المصير ، وهذه أيضا سمة مشتركة لأدب الزنوجة فى كل مكان ، نلاحظهـا لدى الشعـراء ــ الزعـماء أمثال سنجـور ، وديوب وغيرهم من الأدباء الأفارقة المعاصرين الذين حاولوا أن يقيموا الجسور مع التراث القديم ، ويؤدوا مهمـة الراوى الأزلى فى التذكر بالتاريخ ، والتوعية ، والتثقيف ، فهذا الأديب الرائد يحدد لقومه الاحتياجات المادية والمعنوية من « مدراس ، وأيدٍ مدربة ، وآذان صاغية ، وعيـون يقظة . . . وثقـافة واسعـة عميقـة ، وقلوب صـافيـة . . . وبـطاقـات التصـويت فى « الانتخابات » ثم يضيف فى تساؤ ل مفاده التأكيد على ما سبق من قول :

وإلا . . . فمن ينقذنا إذا وقعنا فى العبودية ثانية » ؟!

وهو من جهة أخرى يقرع الحجة بالحجة ، ويقيم البرهان بالجدل ، موضحاً أن وجود أكثر من جنس أو عرق أو عقيدة فى بلدٍ ما لا يعنى الفرقة ، بل التكامل ؛ فالأمة القوية لا تقوم على التطاحن وإنما تعتمد على التلاحم . وهو يسوق الأدلة على ذلك موضحاً مدى إسهام الزنوج فى إثراء الثقافة الأمريكية ، وبخاصة فى مجالات الموسيقى والرقص والغناء التى انتعشت وتطورت وغزت العالم بفضل الموروث الأسود . ويختتم دى بوا كتابه بتوجيه رسالة إلى البيض والسود بأن يتكاتفوامن أجل تحقيق مثل أعلى واحد ، هو « الإخاء الانسانى » .

انتشر كتاب « أرواح سوداء » فى الأمريكتين ، وصار مصدر إلهام للأدباء والثوار على السواء ، وعدّه المؤرخون والنقاد « انجيل » حركة الإحياء الزنجية . ثم انتقل الكتاب مع صاحبه إلى أوربا حين صار دى بوا أمينا عاماً للمؤتمر الإفريقى الذى عقد لأول مرة فى لندن عام ١٩١٩ ؛ وظل يشغل ذاك المنصب حتى عام ١٩٤٥ . وفى تلك الأثناء تعرّف دى بوا بالشباب الإفريقى الثائر الذى كان يناضل من أجل استقلال المستعمرات ، أمثال جيمو كنياتا وباتريس لومومبا . كما اتصل بالأفارقة الذين يدرسون فى باريس ويقومون فى الوقت نفسه بشرح قضيتهم وتحريك الرأى العام لتأييد تصفية الاستعمار . وكان قد سبقه إلى العاصمة الفرنسية شاعر أمريكى من أكثر المتشبعين بآرائه هو لانجستن هيج . وتوثقت أواصر الصداقة بين هذا الشاعر العصامى الذى ينحدر من أب أبيض وأم زنجية ، وبين ليوبولد سنجور ، وليون دماس ، وهما من أكبر شعراء الزنوجة المعاصرين ، فكان لذلك أثر بعيد المدى على المستويين الأدبى والسياسى ، فقد عالج « هيج » كثيراً من « التيمات » التى شاعت فى شعر الزنوجة بعد ذلك . وعلى العكس من رفاقه الذين درسوا فى فرنسا وتأثروا — من الناحية الفنية — بمذاهبها المختلفة ، كان « هيج » يرسل الشعر على سجيته فتنفذ كلماته إلى القلب . وهو يعبر بأسلوب بسيط عما ورثه الزنجى من آلام ، ولّدتها فى نفسه ثلاثة قرون من العبودية . فهو يصف فى مقطوعة « الانهار » رحلة العذاب التى قطعها الأجداد فى سفن تجار الرقيق من موانى إفريقيا إلى سواحل الأمريكتين . وفى مقطوعة « الخوف » يصور حيرة الزنجى وقلقه المرير ، وشعوره بالضياع والفزع فى بيئة معادية للسود . وفى « أرضنا » يتغنى بالحنين إلى إفريقيا ، داعيا حبيبته إلى الهروب معه من أرض الخوف إلى أرض الدفء . . . وفى مقطوعات أخرى مثل « أنا أيضا أمريكا » يعبر الشاعر عن تعطشه للحنان ، ويدعو « أخاه » الأبيض أن يعامله كانسان .

وهذه الأشعار تدلّ على حسّ مرهف ونفس رقيقة الحاشية . . . ومن المستحيل أن تصدر عن شخص يتصف بالعنف والشراسة . . . وليس من المبالغة أن نقول إن ذيوعها فى أوربا أسهم إلى حدّ كبير فى تغيير حكم الأوربيين على الزنوج ، وجذب إليهم الكثير من القلوب .

وإلى جانب هذه الكتابات العديدة التى انتشرت فى باريس ، كثرت اللقاءات ، والاجتماعات وترعرعت الحركة بفضل تعاطف بعض الأدباء والمفكرين الفرنسيين مع المطالب « الإنسانية » للسود ، وخاصة بعد مؤتمر السلام الذى عقد فى فرساى عام ١٩١٩ وحضرته « وفود » من البلاد التى تئن تحت نير الاستعمار وفى الفترة نفسها اهتز الرأى العام بظهور رواية جديدة لا تقل أهمية عن كتاب دى بوا وهى « باتوالا » عام [١٩٢١] تلك الرواية التى ألّفها رينيه ماران [١٨٨٧ — ١٩٦٠] وهو مارتينيكى انتدب للعمل فى إحدى المستعمرات الفرنسية فى إفريقيا ، وتروى قصة زنجى ، وصف بشاعر البيئة « الطبيعية » السخية التى يعيش فيها البطل ، والتى لا يعرف البيض — وهم عبيد حضارة « مصطنعة » — أن ينسجموا معها .

ويتنقل الأديب مع بطله فى أوساط متعددة . . . وفى كل مرة يفضح الجرائم البشعة التى ترتكبها الإدارة الاستعمارية فى حق السّود . . . وتتميز هذه الرواية بأنها لم تصف السّود حسب الصورة التقليدية التى عرفها الأدب عنهم ، بل صورتهم على الطبيعة ، بلا تشويه أو مبالغة ، بمحاسنهم ومساوئهم الفعلية ، كما وصف الكاتب عاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم . كذلك تقمصّ هذا الأديب شخصية الرجل الأسود وهو يراقب تصرفات الأبيض ويصدر أحكاما منطقية لاذعة عن الأسياد الأوربيين . إن الزنجى إذن « انسان » يرى ، ويسمع ، ويفكر ، ويشعر ، ويتألم ، ويحب ، ويكره ، ويدرك حقوقه الانسانية » . . . وليس كما حاولت أن تصوره بعض الأقلام المغرضة فيما يسمى أدب المستعمرات . لقد ندّد رينيه ماران بالتجنيد الإجبارى للسّود فى الحرب العالمية الأولى حيث ماتوا بالمئات والألوف من أجل قضية لاتعنيهم من قريب أو بعيد ؛ كما ندّد بنهب الثروات الطبيعية لأفريقيا بما فى ذلك الثروة الزراعية ، مما أدّى إلى موت الأفارقة جوعا . . . وكأنه تنبأ سلفا بحساسية الشاعر وشفافيته بأن قطع الغابات سيؤدى إلى الجفاف الذى تسقط اليوم أيضا ضحاياه بالمئات والألوف ! ولم يكتف رينيه ماران بهذا الوصف المؤثر البليغ لمأساة الرجل الأسود فى إفريقيا ، بل وضع مقدمة صارخة أعلن فيها أن فرنسا تعامل أهالى المستعمرات معاملة تجار الرقيق للعبيد ، وأن

ما يجرى فى إفريقيا يعد وصمة فى جبين الحضارة الفرنسية . وطالب « إخوانه . . . الأدباء » أن يهبّوا لنصرة « الإنسانية » ، وغسل العار الذى حاق بالحضارة الفرنسية نفسها لارتكابها هذه الجرائم المروّعة .

فازت رواية « باتوالا » بجائزة الجنكور . . . لكن مؤلفها فُصل من وظيفته لتطاوله على السلطات الفرنسية ، فكان أن كرس قلمه بعد ذلك للدفاع عن « أولاد حام » الذين يعيشون عيش الهوام . . . ونادى بخروجهم من « الحظائر » التى فُرضت عليهم سواء فى بلادهم الأصلية أم فى « الشتات » . ومن أهم ما كتبه رينيه ماران عن أفريقيا « كتاب الغابة » ، ورواية « إنسان مثل سائر البشر » ، و « القلب الكسير » .

ـ جذبت هذه الروايات انتباه القراء إلى عدالة القضية التى يدافع عنها الزنوج ، فشعر هؤلاء بالحاجة إلى وسيلة أكثر انتشارا تضمن وصول صوتهم إلى القاعدة العريضة بشكل منتظم . وكان من بين المتحمسين لهذه الفكرة بولاث نارردال والدكتور ساجو اللذان أخذا على عاتقهما مهمة تأسيس « مجلة العالم الأسود » عام ١٩٣١ ، ومن أكبر المشتركين فيها ليوبولد سنجور ورينيه ماران . لكن مجموعة أخرى من السّود رفضت التعاون مع هذه المجلة « البرجوازية » حسب تعبيرهم ، وأسسوا عام ١٩٣٢ مجلة « الدفاع المشروع » التى وصفوها بأنها « ماركسية ، سيريالية ، ثورية » . غير أن هذه المجلة لم يكتب لها البقاء ، فسرعان ما منعت السلطات الفرنسية صدورها ، وحرمت الطلبة الذين أصدروها من المنح الدراسية التى كانوا يعيشون عليها . غير أن ذلك لم يفت من عضدهم ، فتوالى ظهور مجلات أخرى كتبت فيها أقلام شابة صارت بعد ذلك من أعلام الزنوجة : ففى عام ١٩٣٤ تأسست مجلة « الطالب الأسود » لتكون « الصوت الثقافى والنقابى لجميع الطلبة السود أيًا كان أصلهم » ، وكان من بين المشرفين عليها ليوبولد سنجور ، وكذلك إيميه سيزار وهو من كبار شعراء المارتنيك الذين قاموا بدور سياسى هام ، وارتبط اسمه بمصير بلده على الصعيد الداخلى والخارجى منذ عام ١٩٤٥ حتى الآن . واشترك معهما أيضا من الأدباء المعروفين حالياً بيراجو ديوب ، وسُسْ ديوب ، والشاعر الكبير ليون داماس .

صدرت هذه المجلة لعدة سنوات بصورة غير منتظمة [١٩٣٤ ـ ١٩٤٠] ، وأعلنت أن غايتها . « رفض الاندماج الثقافى فى الحضارة الغربية ، والدفاع عن المصالح المشتركة للسّود ، وأحياء التراث ، وحرية الابداع ، وعدم الثقة فى الأيديولوجيا الغربية » . وكان من أهم مزاياها أيضا أنها جمّعت الأقلام والصفوف ؛ وأثبتت أن ظهور مطبوعات مستقلة باسم السّود أصبحت ضرورة لا غنى عنها . وبعد أن وضعت الحرب أوزارها تأسست عام ١٩٤٧ مجلة « التواجد الأفريقى » وهى مازالت تصدر حتى اليوم فى باريس ، وقد صارت نواة لدار نشر تحمل اسمها وتقوم الآن فى باريس وداكار بنشر انتاج الأدباء « الأفارقة » ، أو بالاحرى من ينتمون أصلاً إلى الجنس الأسود . . . كما تنشر ترجمات ودراسات تعمل على التعريف بالثقافة الزنجية . ومن الجدير بالذكر أن هذه المجلة رأت النور بفضل تضامن صفوة المثقفين الفرنسيين مع زملائهم ورفاقهم السود بعد أن عاشوا معا ويلات الحرب ، ومأساة الاحتلال ، وشرف المقاومة ؛ ومن بين الأسماء التى ارتبطت بميلاد هذه المجلة ؛ عليون ديوب ، وليوبولد سنجور ، وإيميه سيزار ، وبيراجو ديوب ، وليون داماس ؛ ومن الفرنسيين جان بول سارتر ، وأندريه جيد ، وميشيل ليريس : الأديب وعالم الأثنوغرافيا الذى كتب الكثير عن إفريقيا ، ومن وحْى إفريقيا . . .

اتسع نطاق حركة الزنوجة وازدادت اهتمامات أعضائها وأنصارها لتشمل كل « المعذبين فى الأرض » ورأينا الكثير من المفكرين والأدباء المتشبعين بها يقفون إلى جانب حركات التحرير والجبهات الوطنية فى إفريقيا ، فلما بدأت حرب الجزائر عام ١٩٥٤ غادر باريس فرانس فانون [١٩٢٥ ـ ١٩٦١] وهو أصلا من الأنتيل ـ لينضم إلى جبهة التحرير . . . وقد أحدث هذا الموقف هزة قوية بالأوساط الثقافية فى باريس . ولم يعد فانون يوجّه كتاباته إلى السود بل إلى « الرفاق من العالم الثالث » ، يدعوهم إلى نبذ أوربا التى « لا تكف عن الحديث عن الانسان ، ولا تتوقف عن قتل الانسان فى كل مكان » .

وفى عام ١٩٥٦ اتخذت الزنوجة طابعاً دولياً حين عقد فى جامعة السوربون أول « مؤتمر للكتاب والفنانين السود » أكّد بشكل جماعى عالمية الثقافة الزنجية . ومن أهم ما حدث أيضا حينذاك إعلان إيميه سيزار انفصاله عن الحزب الشيوعى مع ابداء الأسباب . وهذا الموقف ليس غريباً ، فقد سبقه أو لحقه سلك مماثل من قبل البير كامى ، وجان بول سارتر . . . وغيرهم ممن جذبتهم الشيوعية فى غمرة حماسية ، ثم انصرفوا عنها ، معلنين أن سبل الحرية والتقدمية لا تعنى بالضرورة « الشيوعية » .

يتضح مما تقدم أن الزنوجة وُلدت إذن فى أمريكا فى أعقاب اندثار نظام العبيد ، ثم ازدهرت وأثمرت فى باريس التى كانت حينذاك وما تزال الملتقى الفكرى للعديد من الأجناس والأجيال . ومن باريس انطلقت الحركة مع العائدين إلى الأوطان : رجعت إلى الأنتيل والكاريب . . . وشاعت فى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السنغال والكنغو ومدغشقر . . . وهى فى كل مكان تحيى التراث الأفريقى ، وتتناول مشاكل الواقع المعيش : تتحدث بلسان أوربى كى تصل إلى آذان العالم ، فتنحو فى جانبها الفنى منحى السرياليين ، أو الوجوديين ، أو الواقعيين ، ولكنها تظل دائماً أبداً متمسكة بالهوية الزنجية التى لم تعد تخجل من أصولها البدائية ، بعد أن أدركت أن كل تقدم يعنى أولا « الاعتراف » بحقيقة الحال ، وتطوير الموروث لا اجتثات الجذور . . . والأخذ من الثقافات الأخرى بانتقاء ومقدار . . . وواهمٌ من قال إن الحضارة الأوربية هى أسمى الحضارات ! .

نماذج من الشعر الزنجى الإفريقى
ترجمة : د. هيام أبو الحسين

أرضنا

نريد أرضاً تضيئها
شمس بهيّة ساطعة
المياه فيها معطّرة
والشفق وشاح رقيق
هندىّ الصُّنع ، وردىّ اللون ، ذهبىّ البريق
لا أرضاً كهذه فيها الحياة صقيع .

*

نريد أرضا عامرة بالأشجار
أشجارٍ كبيرة متعانقة
أغصانها تميد بحمل وفير من طيور صادحة
يقظة كالنهار
لا أرضا كهذه ، طيورها رمادية مترنحة
آه ، نريد أرضا يملؤها الحبور
يملؤها الحب والسرور ، والنبيذ الغناء
لا أرضا كهذه ، فيها السرور خطيئة
هيا حبيبتى الحنون ، نَلُذْ بالفرار !

الشعور بالخوف

من أشعار لانجستن هيج

نحن نبكى بين ناطحات السحاب
مثل أجدادنا الباكين
وفى إفريقيا وسط أشجار النخيل
نبكى . . لأننا وحيدون
والليل يخيّم على الوجود
والخوف ينهش نفوسنا .

« منتخبات من الشعر الزنجى الأفريقى »
جمع ليليان كيستيلوت

وأنا أشبّ عن الطوق

من اشعار لانجستن هيج

حدث ذلك منذ زمن بعيد . . بعيد
حلمى كِدت أنساه
لكنه فى ذلك الحين
كان حلمى كائنا ماثلاً أمامى
واضحاً كالشمس
حلمى .
ثم قام جدار
أخذ يعلو رويداً
رويداً
يفصلنى عن حلمى
وارتفع الجدار ببطء ببطء شديد
مُرخيا سدول الظلام
حاجبا بريق حلمى
وبلغ الجدار السماء
آه ! من هذا الجدار !

وساد الظل
فإذا بى أسود
أنا راقد فى الظل
أمامى ، وفوقى
ما من أثر لبريق حلمى
لا شىء سوى جدار سميك
وظلّ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يداى !
يداى القاتمتان !

تخترقان الجدار !
وتعثران على حلمى !
أعينونى على هتك الظلام ،
وتحطيم الليل ،
وتبديد الظل ،
نَصُغْ منها ألْف شعاع للشمس
ألْف دوّامةٍ من نور وحلم .

السلاح

و. و. سيتاش

رحل قطيع مواشيك
يا ابن بلدى !
هُبَّ لنجدته ! هبّ لنجدته !
دع البنادق جانباً
وخذ القلم
والمداد والورق
فهى درعك فى الوغى
حقوقك فى ضياع !
إذن عليك بالقلم
أغمده فى المداد ، اغمده فى المداد
واجلس مدججا بهذا السلاح
دع التردد جانبا
وأطلق نيران القلم !

ليوبولد سنجور

ثاقب التَمْ تَمْ

عندى أسلحة لا تخيب
كلماتى من صوّان
حادة باترة
ستنهال عليك
ورقصى ، وضحكى
متفجرات طائشة
ستنفجر
كالقنابل

ليت فى الامكان

ماكسيم نيديبك

أيها السادة الدبلوماسيون
بؤساء القوم لم يعودوا يريدون
لا جرائمَ النار
ولا جرائم الحديد
ولا الموق ولا الأرامل
ولا المشوهين ولا موات المواليد
ولا السّلْم الشفوى
ولا السلم النظرى
ولا الجوع ، نعم ، ولا الجوع . . ولا العطش أيضا !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التشكيل اللغوى وقضايا الحرف

محمد محمود عبد الرازق

يرجع اهتمام الدكتور عبد العزيز الدسوقى بالقضايا الجمالية إلى مطلع حياته الأدبية ، فقد أصدر كتابه : « الوجد الفنى : دراسة فى علم الجمال » عام ١٩٤٧ ، وعاد عام ١٩٨٠ إليه بكتابه : « نحو علم جمال عربى » وطالعنا عام ١٩٨٢ ببحوث مطولة بمجلة : « الثقافة » عن : « الوعى الجمالى » و « الباقلانى وعلم الجمال » و « الرمانى عالم الجمال » . وانتهى مؤخرا إلى تحديد منهجه الجمالى بكتابه : « فى عالم المتنبى » وسماه : « منهج الرؤية الفنية » .

والذى دعاه إلى هذا المنهج ـ كما يقول ـ هو : « الحاجة الماسة إلى بلاغة عصرية تختلف كل الاختلاف عن البلاغة القديمة ، وإن استعانت بمناهجها ونظرات أصحابها وتصوراتهم وطرائق تحليلهم للنص » إذ كانت بعض مباحث البلاغة القديمة قد تحولت إلى أقيسة منطقية صارمة ، أو نظرات عقلية باردة ، أو تفريعات جافة ، لطبيعة هذه العلوم التى لم تستطع أن تنفذ بصورة مباشرة إلى الوهج الفنى الكامن فى جوف التجربة الأدبية .

والثورة على البلاغة القديمة صاحبت حركة التجديد التى طلعت بنورها فى النصف الأول من هذا القرن على أيدى طه حسين وعبد الرحمن شكرى والمازنى والعقاد وميخائيل نعيمة ومطران ، واستمرت فى إطلالاتها على أيدى محمد مندور وعبد القادر القط ولويس عوض وشكرى عياد وإحسان عباس . وقد رأت هاتان القافلتان نتيجة اتصالاتها المتنوعة بالآداب الغربية ـ أن حاجات العصر المتطورة بحاجة إلى مقاييس متطورة . ورفدت الأدب العربى بما استقر فى نفوسها من الاتجاهات الغربية وتمثلته وهضمته بعد امتزاجه بعصارات تراثها .

ولا شك أن الدكتور عبد العزيز الدسوقى قد تأثر بطول صحبته للدكتور مندور الذى أشرف على رسالته لنيل الماجستير عن : « جماعة أبولو وأثرها فى الشعر الحديث » وللدكتور عبد القادر القط الذى أشرف على رسالته لنيل الدكتوراه عن : « تطور النقد العربى الحديث فى مصر » . واهتمامها بالعناصر الجمالية تشهد به دراساتها النظرية والتطبيقية .

وإذا أردنا مثالاً من لدن مندور ، فليكن قوله بكتابه : « النقد والنقاد المعاصرون » إنه عارض كل هروب من النقد الأدبى الصحيح إلى الدراسات النفسية أو التاريخية« فالأدب فى رأيى فن لغوى جميل . وتجب العناية بناحية الجمال اللغوى فى الأدب ومدى صدقه فى ارتباطه بالحياة الفردية والاجتماعية على السواء . وإن كنت بالبداهة لم يخطر ببالى أن أدعو الناقد إلى الانصراف عن متابعة كل فروع المعرفة التاريخية والاجتماعية والنفسية ، بل وأضفت الفلكية ذاتها ، على نحو ما يستطيع من يريد أن يطالع فى كتابى « فى الميزان الجديد » ولكن على أن تكون كل هذه المعارف كالضوء الداخلى الذى يشع من نفس الناقد فيعينه على استخلاص أصالة الأديب الخاصة ، ولكن فى غير اقحام لهذه المعرفة على الأدب ونقده ، لأن الأدب منبع لكل تلك المعارف ، لا فئران تجارب يجرى عليها الباحثون فى علم الاجتماع أو علم النفس أو غيرهما تجاربهم القاتلة . وذلك هو ما استقر عليه كبار أساتذتنا الذين تعلمنا عليهم فى الجامعات

العالمية . فقد أخذنا عنهم أن لكل فرع من فروع الدراسة منهجه الخاص النابع من طبيعته والمنطبق على مادته الأولية ، وهى اللغة فى حالة الأدب ، وقيمها الجمالية ومدى ارتباطها بالقيم الإنسانية » .

أما الدكتور عبد القادر القط فى كتابه : « قضايا ومواقف » فيأخذ على الدكتور لويس عوض اهتمامه بالمضمون وإغفاله للعناصر الجمالية : « ولا شك أن دراسة المضامين النفسية عنصر لا ينبغى أن يغفله ناقد الشعر ، ولكنها حين تصبح غاية فى ذاتها تجعل من الشعر مجرد وثيقة نفسية وتنأى به عن طبيعته الحقيقية بوصفه تعبيرا فنيا قبل كل شىء عن تلك المضامين . . . والحق أن الدكتور لويس قد خضع لمقتضيات هذا المنهج من النقد النفسى فركّز مقالتيه على قصيدتين اثنتين من الديوان هما « الملك عجيب بن الخصيب وأحلام الفارس القديم » لا لشىء إلا لأنهما تتلاءمان مع نظريته . ومع أن القصيدتين فى رأيى تختلفان اختلافا بيّنا فى المستوى الفنى ـ أو النزعة الفنية على الأقل ـ فأولاهما ميتافيزيقية أو مسرفة فى الرمز ، والثانية شفافة تنضح شعرا وانسانية ، فإن الدكتور لويس قد جمعهما معاً دون مقارنة فنية على الإطلاق لمجرد أن الأولى تتحدث عن الخلاص بالموت والثانية عن الخلاص بالحب » .

*

ولا ينكر الدكتور الدسوقى أن بعض كتب البلاغة القديمة كان لها دور كبير فى إثراء التجربة الأدبية ، لكن الأساس النظرى الذى بنيت عليه وقف بها على حافة الأمور الشكلية ، فلم تأخذ دور علم الجمال أو النقد الأدبى . وهذا الأساس النظرى هو : « مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال » .

والحال ـ فى نظرهم ـ هو : « مراعاة الاعتبار المناسب للمقام » . وينتهى بثاقب بصره إلى أنه من أجل هذا ظلت التجربة الأدبية ـ فى الأغلب الأعم ـ مرتبطة بالمتلقى ، ملتفتة عن النص وعن مبدعه . وكان الحجاج العقلى المحكم لهؤلاء البلغاء يستهوى معاصريهم الذين كانوا يعيشون فى مناخ ازدهرت فيه علوم المنطق والفلسفة ، والمحاورات الفقهية والكلامية ، فأثرت فى كل المعارف الفكرية ، لكنها جنت على التجربة الأدبية . ومع ذلك ، فلولا هذه النظرات البلاغية القديمة لما استطعنا أن نصل إلى النظرات البلاغية الجديدة الموائمة لعصر يعيش ثقافة متطورة تمثلت كل الثقافات القديمة والمعاصرة .

وكما استفاد من التراث العربى ، استفاد من المناهج الغربية الحديثة التى تهتم بالنص ، وتنظر إليه بعيدا عن الخلفيات التاريخية والسياسية وغيرها ، وبخاصة فكرة الدخول إلى النص دون أفكار سابقة ، والحكم عليه من خلال مقاييسه الجمالية ، وقيمه التصويرية والتعبيرية . فإذا كان العقاد يتبنى مقولة : انظر إلى من قال ، لا إلى ماقيل . فإن الدسوقى يتبنى مقولة : انظر إلى ما قيل ، لا إلى من قال .

وينضم الدكتور الدسوقى إلى الدارسين الذين يرون فى العملية النقدية عملا ابداعيا . وقد قال ميخائيل نعيمة فى : « الغربال » (١٩٢٣) إن الناقد مبدع عندما يرفع النقاب فى أثر ينقده عن جوهر لم يهتد إليه أحد حتى صاحب الأثر نفسه . فكم سألت نفسى من هذا القبيل : ليت شعرى هل درى شكسبير يوم خط رواياته وأغانيه أنها ستكون خالدة ؟ أم تراه وضعها يقضى بها حاجة وقتية ظن أنها ماتت بموته ؟ إننى من الذين يرجحون الرأى الثانى . لذلك يجلون الناقدين الذين (اكتشفوا) شكسبير بعد موته إجلالهم للشاعر نفسه ، إذ لولاهم ما كان لنا شكسبير . وفى اعتقادى أن الروح التى تتمكن من اللحاق بروح كبيرة فى كل نزعاتها وتجوالها فتسلك مسالكها وتستوحى موحياتها وتصعد وتهبط صعودها وهبوطها لروح كبيرة مثلها » .

ويرى الدسوقى أن منهجه يحول العمل النقدى إلى عمل إبداعى ، فهو « قراءة جديدة للتجارب الفنية ، وتحليل لمكوناتها الجمالية ، وتفسير لخصائصها الفكرية والروحية وتركيب جديد ـ على ضوء هذا التحليل والتفسير ـ يحول التجربة الفنية إلى شىء جديد . وبهذا يتحول العمل النقدى لقصيدة ما ، عملا إبداعيا ، يثير من الإمتاع واللذة العقلية والفنية ما تثير القصيدة من متعة جمالية وروحية . . ومن الممكن أن يجد كل ناقد جديد عندها سراً جديدا . بل ربما وُجد ناقد يجىء بعد ألف عام أو أكثر فى عمل فنى أعظم أسراره » ويقول فى موضع آخر : « ولا يستطيع إنسان أن يكون ناقدا حقا إلا إذا جمع بين الإبداع والفكر والثقافة » .

*

ولمنهج الرؤية الفنية ـ كما بينه صاحبه ـ ثلاثة أركان : « التشكيل اللغوى » و « والإشعاع الفنى » و « بناء القصيدة على طريقة اللوحة » . والتشكيل اللغوى هو الأساس الأول فى بناء التجربة الأدبية . فليس أمام الأديب لتوصيل تجربته إلى المتلقى سوى اللغة . واللغة أصوات ، والكتابة رموز لهذه الأصوات « وعملية الإبداع الفنى مزيج مركب معقد تسهم فيه أصوات اللغة وحواس الفنان وعقله وقلبه وسمعه . وقد تتبادل

الحواس عملياتها ووظائفها فى أثناء عملية الإبداع الفنى ، فيرى الشاعر لون الحرف ، ويشم رائحة الكلمة ، ويلمس جسم الجملة » . ويجىء الناقد ليعيد تمثل التجربة من جديد . وهذا هو معنى الرؤية الفنية فى تصوره : « الفهم جزء منها ، والتذوق جزء آخر ، واختبار التشكيل اللغوى جزء ثالث »

والمتنبى ـ فى نظره ـ هو الشاعر الوحيد الذى يشكل عملا فنيا كاملا من كلمات بسيطة وتراكيب سهلة ، قد تخلو من الخيال المجنح والصور الموحية والتعبيرات الجديدة والدلالات العميقة ، ومع ذلك يهز النفس ، ويثير الخيال ، ويلذ القلب ، ويحرك العقل . يفعل ذلك بمجرد التشكيل اللغوى . اختيار الحروف والكلمات والتراكيب ، واستغلال شحناتها التعبيرية وقدرتها على الايحاء والالهام « وهى قدرة عاتية يمكن أن نطلق عليها عبقرية التشكيل اللغوى عند المتنبى وحبذا لو قال الشاعر « الأول » ولم يقل « الوحيد » حتى يمكن تطبيق منهجه على غيره من الشعراء كما أراد .

ويولى الدكتور الدسوقى « الحروف » عناية خاصة . وسبق أن عدّها العقاد فى كتابه : « اللغة الشاعرة » أشرف الحروف . وتصدى له الدكتور عبد القادر القط ليحدّ من هذه المبالغة بمقال نشره بمجلة « الشهر » ، (أكتوبر ١٩٦٠) ثم ضمه إلى مجموعته : « قضايا ومواقف » . ويهمنا هنا أن ننقل عنه الفقرة التالية التى تضع الأمور فى نصابها : « وقد يستقيم هذا الكلام لو كان الأمر أمر مفاضلة بين قدرات الأجهزة الصوتية . عند العربى وغيره من أبناء الشعوب الأخرى ، فيقال إن العربى يستطيع أن ينطق ببعض الحروف التى يستعصى نطقها على غيره ، وهو مع ذلك يستطيع أن ينطق بحروف اللغات الأجنبية التى لا توجد فى لغته هو ، يساعده على ذلك أن الحروف ليست مخارج أصلية من مخارج الكلام . أما حين نفاضل بين امكانات لغة وأخرى من حيث الشاعرية فإننا لا يمكن أن نلغى وجود تلك الحروف الفرعية الزائدة أو نتجاهل فائدتها فى لغة الشعر ، ونقول مع الأستاذ العقاد إنها مجرد حركات مختلفة لحرف واحد ، وأنها لا تدل على تنويع مفيد لمخارج النطق الإنسانى حتى ولو بلغت بها الأبجدية الخمسين أو الستين فهذه الحروف قيم صوتية موجودة بالفعل فى تلك اللغات وليس لها وجود فى اللغة العربية ، وإن كان العربى قادرا على النطق بها إن أراد .

وهى ولا شك تعين الشاعر على تنويع موسيقاه وخلق الإيقاع المناسب لكل جزئية من جزئيات فكره أو شعوره . ولا شك أن الحروف الحلقية التى تنعدم فى اللغات الأجنبية ميزة للغة العربية من هذه الناحية ، كما أن تلك الأصوات الفرعية ميزة تلك اللغات . ولا شك أن اللغة التى تبلغ أصواتها الخمسين مهما يكن عدد الأصلى والفرعى من هذه الحروف أقدر على التعبير الموسيقى المنوع من لغة تبلغ أصواتها ثمانية وعشرين . ولعل ذلك من أسباب الإيقاع الواضح الذى يبلغ حد الصخب أحيانا فى الشعر العربى ، إذ ليس هناك أوساط كثيرة بين حروف المخارج المختلفة ، أو تنوع كثير بين حروف المخرج الواحد فيمضى الصوت من النقيض إلى النقيض دون تدرج ، ويتميز الايقاع تبعا لذلك بالجدة والوضوح الذى يطغى على بعض الخلجات النفسية الخفية الرقيقة » .

ولا شك أن هذا الدرس يعلمنا التواضع الذى لا يفقدنا الثقة ، ونحن نخوض مع الدكتور الدسوقى غمار التطبيق ، شاعرين بأهمية الهمس فى أذن الحرف لبث اللواعج :

واحر قلباه ممن قلبه شبم
ومن بجسمى وحالى عنده سقم
مالى أكتّم حبا قد برى جسدى
وتدّعى حب سيف الدولة الأمم

يقول الدكتور عبد العزيز الدسوقى : « نحن هنا أمام بداية مشهد حزين متحرك . أبو الطيب ذلك العملاق المعتدّ بذاته فى لحظة ضعف إنسانى عتى يفقد توازنه فيندب كالثكالى ويصرخ ويولول « واحر قلباه » . وهذا التركيب اللغوى الذى يدل على الندبة « واحر قلبى » لا يستنفد كل احزانه فيحول الباء إلى ألف ليخفف عن نفسه وهو يصرخ « واحر قلبا » ثم يضيف هاء السكت ويبقيها أيضا فى الوصل « واحر قلباه » ليتاح له أكبر قدر من الصراخ و « اخراج أكبر كمية من الهواء الفاسد » . . هذا الندب والصراخ والعويل من أجل ماذا ؟! . . من أجل تلك الحالة الدامية التى اشعرته بالفشل سيف الدولة قلبه شبم أى بارد كناية عن انصرافه وعدم مبالاته به ، بينما قلبه المتأجج قد أضر بجسمه ، كما أضر إهمال سيف الدولة بحاله . . فى البيت الثانى نشعر بولولة مكتومة ، وحشرجات متقطعة فهو يعترف أن حب سيف الدولة الذى يكتمه قد برى جسده . وانظر إلى هذا الأداء اللغوى المؤدى « مالى أكتم » بالتاءين مبالغة فى الكتمان « برى جسدى » هذه الحروف تحسها سنانا مسنونة تبرى الجسد . . ثم تجىء المفارقة المحزنة . هذا الحب الجليل الصامت المستكن فى أعماقه ، وهو الفارس الطموح ، يقابله ادعاء أجوف من المنافقين والكذابين والطامعين « وتدعى حب سيف الدولة الأمم » .

ورغم هذا المستوى العميق الحساس من الفهم ، فإننا نشعر بجفاف البحث عندما يغالى فى الاستعانة بعلم الأصوات .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولنأخذ مثالا لذلك النماذج التى عرضها من أصوات هذا المطلع :

عيد بأية حال عدت ياعيد
بما مضى .. أم لأمر فيك تجديد ؟

يقول المؤلف : « نلاحظ أن الدال هو الصوت الذى تردد أكثر من غيره ، فقد تكرر هذا الصوت خمس مرات ، ويليه فى التكرار همزة القطع ، فقد تكرر هذا الصوت ثلاث مرات . وتكررت التاء ثلاث مرات أيضا ، تليها فى التكرار الباء فقد تكرر هذا الصوت مرتين . ونحن نلاحظ أن المتنبى كان يراوح بين الأصوات الصامتة والصائبة ، والأصوات المجهورة والمهموسة ، والأصوات السِّنية والشفوية . ونلاحظ أيضا أنه أكثر فى هذه القصيدة من الأصوات الانفجارية . ففى البيت الأول ـ كما قلنا ـ تكررت الدال خمس مرات . وهى صوت صامت مجهور سِنّى انفجارى . وكرر الشاعر أيضا حرف التاء ثلاث مرات فى هذا البيت وهى صوت صامت مهموس سنى انفجارى أى أنها نظير للصوت السابق « الدال » المهجورة . وكرر الباء مرتين وهى صوت صامت مجهور شفوى انفجارى . وكرر الهمزة ثلاث مرات وهى صوت صامت حنجرى انفجارى . فهذه الأصوات التى تكررت فى هذا البيت كلها أصوات انفجاريّة شديدة ، بعضها مهموس وبعضها مجهور وهى كلها صامتة » .

وهذه النماذج تبدو كأنما هى تمرينات لدارس علم الأصوات . أما القارىء غير المتخصص فى هذا العلم فسوف يقف إزاء هذه المصطلحات كمن يقف أمام جداول اللوغاريتمات ، ويشعر أنه بحاجة إلى جداول مشابهة بجواره . ويبدو أن المؤلف قد أحس بذلك إذ نراه يقول : « لا أريد أن أمضى على هذا النحو فى تحليل الأبيات ، لأننى أظن أن هذه الطريقة غير المألوفة فى مواجهة النصوص الشعرية ، قد لا تروق لكثير من الذين لا يهتمون بالنظريات الحديثة التى تتناول الأصوات اللغوية وعلم اللغة الحديث » .

وكذلك قد يدخل الساحة من لا يعينه ذوقه على إدراك خصائص الحروف وقدراتها ، فيزحم الصفحات بالمسميات والمصطلحات دون مبرر إن لم نقل دون فهم ، وبخاصة أن هموم علوم الأصوات متعددة . وقد اهتم العقاد فى كتابه : « أشتات مجتمعات فى اللغة والأدب » بإيضاح أهمية موقع الحرف من الكلمة . وكان دافعه إلى ذلك خطاب وصله من الشاعر رشيد سليم الخورى بمناسبة صدور كتاب : « اللغة الشاعرة » جاء به : « . . . قد تبهت بعد طول المراجعة إلى أن حرف الفاء هو نقيض حرف العين بدلالته على الإبانة والوضوح : فتح ، فضح ، فرح ، فلق ، فجر ، فسر ، إلخ . . . مما يعى إحصاؤه ويندر استثناؤه ، وأن حرف الضاد خص بالشؤم يسم جبين كل لفظة بمكرهة لا يكاد يسلم منها اسم أو فعل : ضجر ، ضر ، ضير ، ضجيج ! وضوضاء ، ضياع ، ضلال ، ضنك ، ضيق ، ضنى ، ضوى ، ضراوة ، ضئزى ، وبعكسه الحاء التى تكاد تحتكر أشرف المعانى وأقواها : حب ، حق ، حرية ، حياة ، حسن ، حركة ، حكمة ، حلم ، حزم ، وأرى أنها لهذه المزية ولا متناعها ـ أو على الأقل بشقتها ـ دون سائر حروفها الحلقية على حناجر الأعاجم هى أولى بأن تنسب إليها لغتنا ، فنقول لغة الحاء ، بدلا من قولنا لغة الضاد » .

وقد بدأ العقاد ردّه بدعابة ممتعة ، تلخص رأيه بوضوح :

« الرأى الذى أوجزه الشاعر الكبير موضوع بحث مفيد يتصل ويتفرق بين المشتغلين بأسرار اللغة العربية أو « بذوقياتها » وطرائف تركيبها . وآخر مناقشة فيها حضرتها كانت بين رجلين من كبار رجال المحاماة عندنا وهما الاستاذ نجيب برادة الذى كان زميلا لنا بمجلس الشيوخ والأستاذ إبراهيم الهلباوى رحمهما الله ، وكان الأستاذ برادة يبحث عن أثر الحروف فى السمع وعلاقة ذلك بالفصاحة والاقناع ، ويعتقد أن « الحاء » أظهر الحروف أثرا فى الايحاء بمعانى السعة ـ حسية كانت أو فكرية ـ ويعمم الحكم فيسوى بين موقع الحاء فى أول الكلمة وموقعها فى وسطها أو آخرها ، ويتمثل بكلمات الحرية والحياة والحكم والحكمة والحلاوة ، وهو ـ رحمه الله ـ قد كان فى خلائقه مثلا للحلم والحكمة والأناة ، ولم تكن شدته فى الدفاع أو المناقشة والمناقضة تحول يوما دون ابتسامة اللطف والبشاشة على شفتيه . . ولقد كان زميله الهلباوى ـ على عادته فى الفكاهة والدعابة ـ يسخر من فلسفته « الحائية » كما يسميها ، ويقول إن اسم « الحمار » مبدوء بالحاء وأن أشيع اللفظات على ألسنة النادبات يتردد فيها حرف « الحاء » . وأن « حسين فلان » . . . ويسمى صاحبا لهما باسمه واسم أبيه « من أضيق أصحاب العقول والصدر » . . !

« وكنا ـ إذا ضحكنا من هذه الدعابة ـ لا نسمح لها أن تختلط بين النكته والحجة ، ولا ننسى خطر الفكاهة فى مقام الاستدلال على الجد والحقيقة . إلا أننا كنا نخالف الأستاذ برادة فى تعميم الحكم على الحرف بغير تفرقة بين مواقعه فى الكلمات ومواقعه فى السماع ، وقد ضربنا له المثل بكلمات لا تغيب عن المحامين على التخصيص : وهى كلمات « الحبس

والحجر والحرج والحد والحساب والحرس » وغيرها من الكلمات التى تناقض معانى السعة بالحس أو التفكير » .

وإذا سمح لنا بأن ندلى بدلونا فى هذه الفرعية الأخيرة ، فسوف نستند على كون الحرف كائن حى . وهو - ككل كائن حى - من الممكن أن يتحلى بحسن السمعة أو يوصم بسوئها ، بحكم الظروف المحيطة به ، ودون دخل لإرادته فيها . وهذه الظروف هنا هى الطريق الذى يسلكه إلى المعنى بصحبة أخوات له . وحرف « الحاء » قد اكتسب حسن السمعة له . وحرف « الحاء » قد اكتسب حسن السمعة من ارتباطه بمعانى الحب والحياة والحرية والحس والحسن ، وبعض الأصوات التى تعبر عن الألم واللذة . وتلك كلمات وأصوات تتردد كثيرا فى الحياة اليومية العادية ، فتتغلب سمعتها الحسنة على بعض المعانى السيئة أو المشبوهة التى يتدخل نفس الحرف فى تركيبها مثل الحرب والحرق وغيرها . ذلك مجرد إحساس يعوزه الدليل ، وليس فى جعبتى أى دليل .

القاهرة : محمد محمود عبد الرازق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دراســـات

دائرة العـــرى عنـد فاروق شـــوشـة

د. محمـــد عبد المطلـــب

[١]

ظـاهرة التكـرار من الظواهـر التعبيريـة التى تعامـل معها الشعراء ، ووظفوها لانتاج الـدلالة ، وحققـوا بها نـوعاً من الإيقاع الذى يؤكد طبيعة الشعرية فى صياغتهم ، وقد اهتم النقـاد العرب القـدامى بهذه الـظاهرة ، ورصـدوا أشكـالها التعبيرية تحت مسميات كثيرة بعضها يتصل بالتكرار الشكلى ، وبعضها يتصل بالتكرار الـداخلى أو العميق ، ورأوا أن هـذا النمط التعبيرى له ناتج دلالى قد يكون تأسيسياً ، وقد يكون توكيدياً ، تبعاً للسياق الذى يـرد فيه ، والشكـل الذى جـاء عليه .

وقد ظل هذا الاهتمام منوطاً بالتكرار فى دائرة الجزئية ، على معنى رصده عندما يأتى فى الجملة أو الجملتين ، ولم يكن هناك اهتمام به على مستوى النص الأدبى ، فضلاً عن الاهتمام به على مستوى الإنتاج الأدبى فى جملته ، لكن هذا لا ينفى وجود إشارات هنا أو هناك ترصد ظاهرة تكراريـة فى دائرة الإنتـاج الكلى من مثل ملاحظة ابن سنان الخفاجى الذى رأى أن لبعض الشعراء ميلاً خاصاً إلى بعض التعبيرات التى يؤثرون إيرادها فى أشعارهم ، حتى لا تخلو بعض قصائدهم منها ، وربمـا كانت هذه الألفاظ مختارة تقع فى موقعها حتى يسهل الأمر فى إعادتها وتكريرها ، وربما كانت على خلاف ذلك .

« وقد كان أبو الحسن مهيار بن مـرزوية ممن غـرى بلفظة [طين وطينة] فما وجدت له قصيدة تخلو من ذلك إلا اليسير ، حتى وضع هذه اللفظة تارة فى غير موضعهـا ، ومستعارة لمـا لا يليق بها ، وأقرها مقرها فى بعض الأماكن ، ووافق بينها وبين ما ألفت معها ، وذلك موجود فى شعره لمن يتتبعه »[١] .

وقد لحظ أبو الفتح بن جنى على أبى الطيب تكراره [ذا ، وذى] كثيراً ، فرد عليه أبو الطيب بقوله : إن هذا الشعر لم يعمل كله فى وقت واحد . فقال له : صدقت ، إلا أن المادة واحدة[٢] .

وهذه الملاحظات الموجزة لم نجد من يهتم بها ويدرس من خلالها نتاجاً أدبيا متكامـلاً ، وإنما ظلت الـدراسات المتصلة بالصياغة مهتمة بالتكرار على مستوى النص الأدبى المفرد .

وتجاوزا لهذا الإطار نحاول فى هـذه الدراسـة رصد بعض ظواهر التكرار فى دائرة الكلية عند الشاعر فاروق شوشة من خلال أعماله الشعريـة الكاملة ، إذ أن قـراءة هذه الأعمـال تكشف عن أشكال متعددة للتكرار الجزئى ، لكنهـا فى نفس الوقت تكشف عن وجود دائرة تكرارية لبعض المفردات التى تكاد تغطى معظم الأعمال حتى ليتوهم القارىء أن الشاعر كان يعمـد إلى التعامـل معها ، ويقصـد أن يكون لهـا وجـودهـا الأسلوبى ، ليس فى دائرة العمل الكلى ، بل وفى دائرة النص الجزئى أيضاً ، وهذا الوهم يتحول إلى حقيقة عند رصد هذا التكرار من خلال محاوره الدلالية ، إذ يتبين أن المبدع لم يتعامل معها بنوع من الغواية التعبيرية ، وإنما تعامل معها فنياً بتوظيفها فى إنتاج دلالة تتسع لمساحة أعماله كلها .

وطبيعة هذه الدراسة طبيعة انتقائية ، إذ أنها لا تستوعب كم المفردات التى تعامل معها الشاعر وتتابعها من حيث ترددها ، وإنما تنتقى من هذه المفردات ما ارتفعت نسبة تردده من ناحية ، وكان اختياره مؤثراً فى إنتاج دلالة مميزة ، سواء كان هذا التأثير بفعل الدلالة المفردة ، أو بفعل الدلالة المركبة من ناحية أخرى ، ودال [العرى] من الدوال التى تحتاج إلى سياقات خاصة لتزرع فيها من ناحية ، ولتتعلق مع غيرها من ناحية أخرى ، ومن هنا كان مؤشر ترددها المرتفع ذا دلالة خاصة تصلح للدرس والتحليل ، واستكناه دورها الشعرى من خلال رصد محاورها وسياقاتها .

وقد تردد هذا الدال فى أعمال فاروق الكاملة سبعاً وستين مرة ، فإذا كانت عدد القصائد فى الأعمال ثمانى وثمانين قصيده[٣] فان نسبة التردد تبلغ حوالى ٧٦ ٪ ، وهى نسبة عالية إذا قورنت مثلاً بنسبة تردد نفس الدال فى أعمال محمد أبو سنة التى تبلغ حوالى ٢١ ٪(٤).

معنى هذا أن اختيارات فاروق شوشة كانت نتيجة لتفاعل بينه وبين هذا الدال حتى أداره فى أعماله وخلق له السياقات التى تحتمله ، لأنه ليس من الدوال التى تتردد بكثرة نتيجة لشيوع التعاملَ بها من ناحية ، ولصلاحية معظم السياقات لها من ناحية أخرى ، وربما لهذا السبب لم يقع انتقاؤنا عليها لأن الطبيعة التكرارية تكون ضعيفة أو منعدمة فيها .

وتزداد أهمية الاختيار لدال [العرى] إذا نظرنا إليه من خلال الحقل الدلالى الذى يحتويه ، إذ يحتوى هذا الحقل على كثير من الدوال التى يجمع بينها وبينه علاقة البدلية ، وهى بهذا يمكن أن تؤدى دوره الدلالى على إطلاقه ، أى بعد التخلص من الإضافات الهامشية التى تعلق به ، وبمعنى آخر فإنها تقدم للمتلقى دلالة [العرى] ولكنها تحجب عنه هوامشه الإضافية مثل [الخجل ــ الحياء ــ الافتضاح ــ التبذل] إلى آخره .

والنظر فى المعجم يقدم لنا حقل [العرى] مرتبطاً بمفرداته على النحور التالى :

العرى ــــــ الستر
العرى ــــــ التجرد
ــــــ الخلع
ــــــ السلخ
ــــــ النضو
ــــــ انكشاف العظم
ــــــ الظهور والوضوح
ــــــ البيان
ــــــ الخلو
ــــــ الفضاء

والملاحظ أنها توسع من دائرة [العرى] ، أو تضيقها ، وتعمقها أو تسطحها ، ولكنها فى كل ذلك تكاد تتخلص من الهوامش الإضافية كما سبق أن أوضحنا .

[٢]

وقد تعامل المبدع مع دال [العرى] فى معظم أشكاله الصرفية على النحو التالى :

١ ــ تعرى خمس مرات
٢ ــ أتعرى مرّتان
٣ ــ عريت مرة واحدة
٤ ــ عارية اثنتا عشرة مرة
٥ ــ العارى خمس وعشرون مرة
٦ ــ العراء إحدى عشرة مرة
٧ ــ العرى ثلاث مرات
٨ ــ عريانا مرتان
٩ ــ العراة مرتان
١٠ ـ عاريين ثلاث مرات
١١ ــ عرايا مرتان

والنظر إلى التعامل مع هذه المادة يفصح عن طبيعة الدلالة التى تشع منها داخل الأعمال الشعرية لفاروق شوشة ، إذ تتميز بنوع من الثبات ، فهى ليست خصيصة وصفية مؤقتة تنتهى بزوال أسبابها ، وإنما هى خصيصة دلالية تخلق الأسباب التى تحفظ لها وجودها ، وذلك بانتقاء الصيغة التى تحل فيها .

فمن بين مفردات [العرى] تأتى ثمانى مفردات بصيغة الفعل ، أى أنها محدودة بالحدثية من ناحية ، والزمنية من ناحية أخرى ، وهذا هو الذى يجعلها متغيرة ، أو مؤقتة .

وفى المقابل تأتى ستون مفردة بصيغة الاسمية ، وهذا ما يضفى عليها طبيعة اللزوم والثبات ، ومن هنا حقق [العرى] لنفسه وجوداً غلاباً ، بحيث أمكن اعتباره خطاً رئيسياً من خطوط المعنى فى الأعمال .

الملاحظة الثانية أنه برغم غلبة استخدام صيغة المفرد ، تتلاشى هذه الغلبة تدريجيا إذا حققنا ربط الإشارة بين الدال وبين من يشير إليه من الواقع ، إذ أن هذه الإشارة تنصرف ــ غالباً ــ إلى طرفى الذات والموضوع ، أى أنها تئول إلى الثنائية ، كما تشير أحياناً إلى الموضوع فى جملته بما يحويه من كثرة ، أى أنها تئول إلى الجمع ، وعلى هذا النحو يتكثر الناتج

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الدلالى بفعل تكثر المرجع ، مما يجعل العالم كلية ــ بما فيه الذات ــ يقع تحت طائلة [العرى] .

ويتضح ربط الدال بمن يشير إليه من خلال هذا الاحصاء :

مجىء الدال وصفا للذات	سبع عشرة مرة
مجىء الدال وصفا لأشياء تتصل بالذات	سبع مرات
مجىء الدال وصفا للموضوع	أربع مرات
مجىء الدال وصفاً لأشياء تتصل بالموضوع	ثمانى عشرة مرة
مجىء الدال وصفا للذات والموضوع	خمس مرات
مجىء الدال وصفا لأشياء تتصل بالذات والموضوع	سبع عشرة مرة

وهنا نلحظ نوعا من التوازن فى توزيع الدال على الذات والموضوع وما يتصل بهما إذ يأتى مرتبطاً بالذات وما يتصل بها أربعاً وعشرين مرة .

ويأتى مرتبطاً بالموضوع وما يتصل به اثنتين وعشرين مرة .

ويأتى مرتبطاً بالذات والموضوع وما يتصل بهما اثنتين وعشرين مرة .

وهذا التوازن يكشف عن موقف الشاعر من المادة اللغوية التى يتعامل معها ، وكيفية ربطها بمفردات عالمه ، وهو ربط يعلن عن انكشاف العالم أمامه انكشافاً مبهراً بما فيه الذات نفسها .

ومن ناحية أخرى يمكن أن يأتى ترتيب التردد السابق على النحو التالى :

الدال : وصف لأشياء تتصل بالموضوع	ثمانى عشرة مرة .
الدال : وصف للذات .	سبع عشرة مرة .
الدال : وصف لأشياء تتصل بالذات والموضوع	سبع عشرة مرة .
الدال : وصف لأشياء تتصل بالذات	سبع مرات
الدال : وصف للذات والموضوع	خمس مرات
الدال وصف للموضوع	أربع مرات

وهذا الترتيب يشير إلى أمور :

الأول : أن الانكشاف يتم ــ تقريباً ــ خارجياً وداخليا على صعيد واحد ، لكنه بالنسبة للخارج يتحرك من المفردات الهامشية وصولاً إلى [الموضوع] ، على معنى أن الرؤية الكاشفة تعلقت بعناصر الوجود ، ومن ثم أصبح من خلالها يمكن إدراك الموضوع نفسه .

أما بالنسبة للداخل فقد تعلق الكشف بالذات أولا ، ثم منها إلى ما يتصل بها من مفردات .

الثانى : أن الكشف الخارجى يتوازن بالنسبة لترابط الذات والموضوع ، لكنه ترابط غير مباشر إذ يعتمد على تجريد ما يتصل بهما من غطاء ، ليكون ذلك تمهيداً إلى كشفهما بشكل مباشر .

الثالث : أن انكشاف الموضوع يتم ــ غالباً ــ بشكل غير مباشر نتيجة لقلة تردد الدال وصفا له ، إذ يبلغ أربع مرات بينما يتردد وصفاً للذات سبع عشرة مرة .

وعملية الكشف التى تردد ذكرها مقصودة على إطلاقها ، بمعنى أن يكون الكشف مادياً أحياناً ، ومعنوياً أحياناً أخرى ، لكنه فى هذا وذاك يحافظ على طبيعته المعجمية حتى مع تحركه من منطقة الحقيقة إلى المجاز .

وتتبع مجىء الدال داخل السياق يكشف عنه هذان الاحصاءان :

الأول : المدلول

خلاف اللبس	**اثنتان وخمسون مرة**
الخلو	**ثمانى مرات**
التجرد	**ثلاث مرات**
الوضوح	**مرتان**
الانكشاف	**مرتان**
الفضاء	**مرة واحدة**

ويلاحظ هنا ميل الدال إلى الارتباط بمعنى التجرد من الثياب ، بكل ما يحويه من إيحاءات ، وسواء فى ذلك ظل الدال فى إطار الحقيقة ، أم تخطاها إلى المجاز .

كما يلاحظ أن الدال عندما استخدم فى بعض المعانى المعجمية الأخرى ، ظل على نفس صورته الصوتية ، مما يدل على سيطرة المعنى الأول على غيره من المعانى ، وأنه يوجد نوع من التلازم بينهما .

الثانى : المرجع :

الإنسان وما يتصل به	إحدى وخمسون مرة
الأرض	خمس مرات
الليل	ثلاث مرات
الحياة	ثلاث مرات
الربيع	مرة واحدة
السوق	مرة واحدة
بعض المدن	مرة واحدة
الفضاء	مرة واحدة
الحروف	مرة واحدة
الأشياء	مرة واحدة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويلاحظ هنا عودة الصفة غالباً إلى الإنسان مع اتساع مفهومه ليشمل الذات والموضوع وما يتصل بهما من مشاعر وأحاسيس ، وما يرتبط بهما من عناصر وأجزاء .

أى أن العرى فى منظور الشاعر صفة بشرية من خلالها يكشف أمامه كل مفرداتها بما فيها ذاته ، وعن هذا الطريق يمكن التعامل معها شعرياً وتوظيفها لإنتاج الدلالة .

[٣]

وهذه المنطلقات التجريدية تسمح بالتحرك التطبيقى لمتابعة الخطاب الشعرى عند فاروق شوشة متابعة انتقائية ، وهو ما يتناسب مع هذه الدراسة .

واختيارات الشاعر ــ كما هو واضح من العرض السابق ــ تعاملت مع صفة العرى فى صيغتيها الإسمية والفعلية ، مع غلبة الصيغة الأولى ، ومن هنا يمكن ممارسة التحليل التطبيقى بالنسبة للصيغتين من خلال قصيدة [العرى] .

يقول فاروق شوشة فى مطلعها :

من أجلك ، أنفض هذى الكلمات ، وأتعرى

أخلع عن نفس أقنعة الكذب العاهر[٦]

والسطر الأول يجمع بين الذات والموضوع من خلال الضمائر [الكاف] فى [أجلك] ، ثم الضمير المستكن فى [أنفض] و [أتعرى] ، ويأتى ضمير الموضوع أولاً باعتباره مسبب حركة الذات فى [النفض والتعرى] ، واختيار الشاعر لصيغة الفعل يتساوق مع خط المعنى فى الربط بين السبب والمسبب ، إذ أن اختيار صيغة الاسم يترتب عليه .

ثبات العرى ، ومن ثم يتلاشى أثر الموضوع فى إحداثها ، ومن هنا كانت صيغة الفعل مؤدية إلى إظهار الحدث من العدم أولاً ، ثم إبراز بقائه ببقاء سببه ثانياً ..

ويتقدم الشاعر فى قصيدته حيث يتعامل مع صيغة الاسم ، فيقول :

فمتى تنطق شفتاك : تقدم
أنزع عنك قميص الخوف
وأمزق وجه الأوهام المبتورة
فالعرى الكامل مولدنا ، وحقيقتنا ، وتلاقينا[٧]

وطبيعة الحث تبدأ من الموضوع مرة أخرى بالتعامل مع نفس الأداة اللغوية [له] ، ثم تأتى استجابة الذات استجابة حديثة خالصة باستخدام الفعلين [أنزع وأفرق] ، لكن الذات تتوقف عن حدثيتها إلى عملية تراجعية تقف فيها موقفاً إدراكياً يسبق مقولة الموضوع نفسه ، ومن ثم جاءت صيغة الاسم [العرى] لتعلن حقيقة أولية يقع تحت طائلتها الذات والموضوع ، فكلاهما ملازم للعرى منذ المولد ، ويظل ذلك قائماً بالقوة ، حتى ولو تلاشى بالفعل .

ومن جملة الاحصاءات التى عرضنا لها رصد ارتباط الذات والموضوع بصفة العرى ، وهنا ــ من خلال التطبيق ــ نحاول وضع هذه الارتباطات فى سياقاتها التعبيرية ، لإدراك دورها فى إنتاج الدلالة .

وحتى لا تتكرر السياقات نكتفى بالنموذجين السابقين فى رصد ارتباط العرى بالذات ، ثم بالذات والموضوع .

أما ارتباطه ببعض الأشياء التى تتصل بالذات فيمكن رصده فى قصيدة [الغربة] حيث يقول فيها :

أوشك أن أتعرى من زيف الحس ومن وهم المقدور
من لعنة هذا الزمن الكابى خلف وجوه الناس[٧] .

فالذات فى ثورتها تتجاوز الخارج إلى الداخل ، وتجعل العرى عنصراً داخلياً يمكن التخلص منه أحياناً ، والابقاء عليه أحياناً ، وكلا الأمرين يرجع إلى الموقف العام من العالم ورؤية الشاعر له .

وهذه الحركة الداخلية تكاد تخلع الألفاظ من مواضعها وتضفى عليها مواضعة جديدة ، فالفعل [أوشك] يتحرك من منطقة [الهم] إلى منطقة [اليقين] ومن ثم جاء الفعل [أتعرى] كحقيقة قائمة تواجه بها الذات مفردات عالمها ، وهذه المواجهة جاءت ــ تعبيرياً ــ فى شكل مدهش ، إذ أنها تلعب على نغمة الحضور والغياب فى إنتاج الدلالة .

فالتعرى ينصب تعبيرياً على [الأحاسيس الزائفة] ، وهذا هو المعنى الحاضر ، أما الغائب فهو بالضرورة [لبس الأحاسيس الحقيقية] وهو إن لم يحضر تعبيرياً ، فقد حضر دلالياً ، وأدى دوره وهو غائب بأكثر مما لو كان حاضراً .

والعرى هنا وإن لم ينصرف للذات كلية ، فقد انصب على ما يتصل بها من مشاعر وإحساسات ، وكان هذا الانصباب قوياً دافقاً حتى كاد ينسحب على الذات فى جملتها .

ويأتى العرى متصلاً بالموضوع اتصالاً جزئياً هو أبلغ من الاستغراق فى [إلى مسافرة] يقول الشاعر :

لأن فى عينيك شيئاً غير روعة الألم
شيئاً نبيلاً ، عارياً ، بلا قناع[٨]

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويتحقق العرى هنا تحققاً داخلياً كناتج لحركة الصياغة فى السطرين ، حيث يبدأ السطر الأول بالتعليل ليلعب لعبة مزدوجة ، إذ يتوهم المتلقى أن هناك كلاماً قد سبق ، وما سبق شىء ، ثم يتوقع ثانية أن سبباً ونتيجة سوف تأتى ، وما يأتى شىء ، ولا أمل للمتلقى إذن إلا تدقيق إدراكه على ما بين عينيه من صياغة يستخلص منها دلالتها .

وتستمر عملية التركيز على التلقى باحداث حركة أفقية فى الصياغة ، حيث يتقدم الجار والمجرور [فى عينيك] لتحديد البعد المكانى [للعرى] ، حتى إذا جاء الموصوف به [شيئاً] جاء فى منطقة نحوية تقع بين [النكرة والمعرفة] إذ صورته الصياغية نكرة ، بينما طبيعته التركيبية تقربه من المعرفة عن طريق التبعية [غير روعة الألم] إذ أنها على نحو من الأنحاء تكسبه تخصيصاً يقربه من المعرفة .

وتستمر عملية التخصيص فى السطر الثانى بالمجاورة التعليقية بين [شيئاً نبيلاً] ، ثم تأتى عملية الكشف الداخلى بالصفة الثانية [عارياً] التى تغنى عن كل تعريف ، إذ بحكم عريه أصبح معروفاً مدركاً ، ولا تكتفى الصياغة بهذه الحدود الكشفية ، بل تتبع عملية الكشف لتنقلها من الداخل إلى الخارج عن طريق أداة النفى [لا] وتسلطها على مقابل العرى وهو [القناع] ، وكأننا أصبحنا فى مواجهة عرى معنوى ومادى على صعيد واحد ، وهو وإن كان يتصل بالموضوع لكنه على نحو من الأنحاء قد تسلط عليه تسلطاً كلياً عن طريق تماس الدلالة ، وانتقال عدواها من المجاور إلى ما يجاوره .

وفى [قطرتا سلام] يأتى [العرى] متعلقاً بالذات والموضوع بغير مباشرة ، إذ أنه يتعلق بالعاطفة التى تجمع بينهما :

يا حبنا . . . ياحبنا
إنا جحدناك . . . تركناك وحيدا للرياح
وعاريا بلا جناح[٩] .

ويمهد الشاعر لموقفه من الحب بوسيلة تعبيرية بالغة التأثير هى النداء ، ثم يكررها فى السطر الأول لتتحمل فى موقعها مضمون الفعل أنادى أو أدعو ، فكأن أداة النداء قد عملت فى موضعها التعبيرى عملاً مزدوجاً ، إذ أنها عبرت عن الحدث والزمن فى اللحظة الحاضرة ، ثم عبرت عن وجود مسافة بين المنادَى والمنادِى بحكم المواضعة .

أما ما يريد أن يقوله الشاعر فقد غاب من الصياغة فى السطر الأول ، ومن ثم جاءت النقط الثلاث وراء المنادَى إشعاراً بهذا الغياب من ناحية ، وإتاحة المجال للمتلقى لاستحضار الغائب من ناحية أخرى .

وإذا كانت الذات تقف فى جانب والموضوع فى جانب آخر فى السطر الأول ، فإنهما يظهران متوحدين فى السطر الثانى [إنا] .

ويمثل التوحد تمهيداً تعبيرياً لعملية الاعتراف بالمسئولية التى تبدأ حدودها من منطقة الزمن الماضى [جحدناك ـ تركناك] ، وإسقاط حرف العطف بين الجملتين يؤثر فى الدلالة تأثيراً بالغاً ، إذ يجمع بين الجحود والترك على صعيد واحد ، وينشىء منهما دالاً جديداً يجمع بين الحدثين [الجحود والترك] بحيث يصعب الإمساك بحدود المدلول فيهما .

ويأتى العرى ـ فى السطر الثالث ـ مقترناً بالواو ، تعبيراً عن موقف جديد يتشكل فيه الحب ـ الذى يجمع بين الذات والموضوع ـ فى صورة محزنة ومخزية .

والملاحظ أن المنطقة التركيبية التى تحرك فيها الشاعر فى هذا النموذج وفى سابقه منطقة واحدة ، وفى هذه المنطقة يكون الناتج الدلالى تحقق العرى داخلاً وخارجاً ، ومن ثم جاء العرى متبوعاً بـ [بلا قناع] فى النموذج السابق ، وبـ [بلا جناح] فى هذا النموذج .

وبرغم أن العرى لم ينصب على الذات والموضوع مباشرة ، نجد أنه قد اتصل بما يجمع بينهما وهو [الحب] الذى تحرك مدلوله داخل الصياغة على مستويين ، إذ هو على مستوى الباطن يفصل بين الذات والموضوع ، باعتبار تعلقه بالذات من جانب ، وبالموضوع من جانب آخر .

أما على مستوى السطح فإن الصياغة تقدم هذا الحب فى توحد مطلق عن طريق الضمائر التى تتحمل دلالته ، إذ تكررت جامعة بين الذات والموضوع أربع مرات ، ثم مسلطة على الحب بطريق الإضافة أحياناً ، والفاعلية فيه أحياناً أخرى .

[٤]

لقد تتبعنا الدال فى سياقاته تجريدياً ، وطبيعة الدراسة تقتضى استكمال هذا التجريد تطبيقياً ، وفى النماذج السابقة ورد الدال بمعناه الغالب أى بمعنى التجرد من الثياب ، ويتبقى التعرض لما جاء عليه الدال من المعانى الأخرى .

ومن هذه المعانى [الخلو] أو [الخلاء] وهو من الدلالات الأثيرة التى تعامل معها الشاعر ووظفها غالباً للتعبير عن التحرر والانطلاق بعيداً عن القيود المادية والمعنوية .

يقول فاروق شوشة فى [الرحيل] :

منخلعاً عن كونكم أطير
عن ربقة الأغلال فى تتابع الأسماء والوجوه والفصول
ودورة الأشياء حين تأسن الأشياء
أبحث عن مدينة أخرى وعن سماء
نقية ، بلا فضول . . .
فلا تقولوا : طائش غرير
أسرجت خيلى واتجهت للعراء
هلم يارحيل[١٠] !

والأسطر المختارة تعبر عن تمزق الذات نتيجة لتنافرها مع تصنعها نمطية التركيب ، وهى نمطية خاصة بصاحبها ، وخاصة بخطابه الشعرى ، إذ تلجأ إلى إحداث هزة تركيبية بإيجاد مساحة فاصلة بين الدال ومدلوله ، عن طريقها تتأكد شاعرية الصياغة من ناحية ، وتتراكم التوترات من ناحية أخرى .

يبدأ السطر الأول باسم الفاعل [منخلعا] مبتعداً عن دلالته وهى النزع والانفصال ، وذلك عن طريق اتصاله بالطيران ، الذى يتناسب معه الخفة والشفافية ، وهنا يصبح الناتج تمزق الذات بين الرغبة فى الرحيل ، وعوامل الارتباط التى تشدها لواقعها .

وتتأكد هذه الدلالة بتتابع الأغلال فى السطر الثانى ، ودورة الأشياء فى الثالث والبحث الموسع فى الرابع ، لكى يتوقف التوتر مؤقتاً عند مواجهة الواقع فى السادس .

ومع السطر السابع تحل الذات مشكلتها مرة ثانية بعملية الرحيل ، لكنه رحيل يختلف عن رحيل السطر الأول ، إذ هو فى المرة الثانية مرتبط بمهيئاته ، ومن ثم ظهرت الذات من خلال [تاء الفاعل] فى [أسرجت] كما ظهر [المفعول فى خيلى] أى أن أركان الدلالة قد اكتملت على المستوى اللغوى والمستوى الفعلى ، وبرغم ذلك تتبدى ظواهر عجز وقصور عن بلوغ الهدف النهائى ، ومن ثم كان [الفعل] [اتجهت] بديلاً عن بلغت أو وصلت ، وتعويضاً عن هذا القصور يأتى الهدف مكشوفاً مفرغاً من كل عناصر الموجودات [العراء] .

ويبدو السطر الأخير كعملية حث أخيرة كثف الشاعر فيها عملية الحث والإثارة باسم فعل الأمر [هلم] ، ثم [يا] اللذان يحققان للذات بعضاً من رجائها فى الخلاص .

ويتداخل مدلول الخلو مع الفضاء فى تفريغ الواقع أمام رؤية الشاعر ، ومن ثم كانت النماذج متداخلة لا يفصل بينها إلا خط دقيق يميل بالدال إلى هذه الناحية أو تلك .

وبالمثل أيضاً يتداخل الانكشاف مع الوضوح مع زيادة درجة الانكشاف بالنسبة للمدركات المادية والمعنوية ، ويمكن متابعة هذا النمط من الدلالة فى قصيدة [الرغبة المعتقة] ، يقول الشاعر :

أحلم أن تطيحنا رغبتنا المعتقة . . .
من ألف عام وهى تنقر الجدار ، دون جدوى ، تنقر الجدار
حبيسة فى القاع من عيوننا المحترقة
وفى ظنوننا المعلقة
مسلوبة الرنين والصدى . .
عارية لم تستتر ، لم تصطنع ازار[١١] .

والأسطر تتحرك على مستوى القوة والفعل ، إذ هناك رغبة موجودة بالقوة ، والذات تعمل على نقلها إلى مستوى الفعل ، والتوفيق بين هذين المستويين يتم عن طريق [الحلم] .

واستخراج الرغبة من عالم الخفاء ، أو من عالم الباطن يحتاج إلى نوع من الجرأة التى تصل إلى درجة المواجهة المخجلة أحياناً ، ومن ثم جاءت [عارية] فى السطر الأخير لتتغلب على كل عوامل الخجل سعياً وراء الارتواء ، والانكشاف هنا ــ كما فى غيره من النماذج ــ يتم على مستوى الداخل والخارج ، ومن ثم استعان الشاعر بنفس وسيلته الأسلوبية الأثيرة [الاثبات ثم النفى] حيث تبع العرى [لم تستتر] ، فإذا انصرف الأول إلى الداخل ، فإن النفى ينصرف بالضرورة إلى الخارج ، فهو انكشاف كلى تواجه به الذات نفسها مواجهة جريئة .

[٤]

ويتصل الاحصاء الأخير بالمرجع الذى تعود إليه صفة العرى ، وهو مرجع يكاد يغطى مفردات الواقع المادى والمعنوى ، والبشرى وغير البشرى ، والداخلى والخارجى .

والنماذج التى تتصل بالطبيعة الانسانية يمكن تلمسها فيما عرضنا له عن الاحصاءين السابقين ، ومن ثم نقتصر هنا على غيرها مما يتصل بمفردات الواقع الذى يحيط بالذات .

وأشمل هذه المفردات المساحة الأرضية التى تمتد فى كل اتجاه وتشعر معها الذات بالغربة أحياناً ، والضياع أحياناً أخرى .

يقول فاروق شوشة فى [قطرتا سلام] :

فى لحظة كنا نرود عندها الغروب
ونعبر الصمت الحزين فى جنازة المساء
قلبين هاربين من حكاية القلوب
وتائهين . . . ضائعين . . . فى العراء[١٢] .

والأسطر تقوم على تحديد مساحة الفضاء الذى يحيط بالذات فى كل أبعاده المادية والمعنوية ، ومن ثم بدأت بحرف الجر [فى] الذى يجعل هذه المساحة محلاً يحتوى الذات مكاناً وزماناً ، ثم تتتابع جزئيات المساحة فى [الغروب] و [الصمت] و [جنازة المساء] لينتهى الموقف بتحديد النقطة المركزية التى ينبع منها فيض الدلالة وهى [القلبين] حيث يسيطران على خط المعنى فى السطرين الأخيرين بمجموعة من المواصفات [الهروب ـ التوهان ـ الضياع] ثم تنتهى هذه الدفقة الوصفية بـ [العراء] التى تضفى على المساحة المحيطة بالذات نوعاً من الفراغ الذى يزيد إحساسها بالضياع والوحدة ، فالصفة الأخيرة وإن تعلقت بعناصر الوجود ، فهى من جانب آخر تنسحب على الذات والموضوع باعتبارهما من مفردات هذا الوجود .

ويأخذ الليل خطاً دلالياً فى دائرة العرى حيث يجعله الشاعر نقطة انطلاق يتفجر منها كل توترات الذات والموضوع ، حيث يقول الشاعر فى [ويجىء شتاء] :

فى قلب الليل العارى ينفجر شتاء
معتل الخطوة ممروراً . .
يأتينا اليوم على استحياء[١٣] .

ويأتى حرف الجر [فى] فى المطلع ليحول التجربة إلى واقع مكانى وزمانى فى آن واحد ، ثم بتأثيره فيما يليه [قلب] تأخذ التجربة بعداً بشرياً ، وعاطفياً ، ثم بإضافة [قلب] إلى [الليل] تأخذ التجربة طابعاً شمولياً كئيباً ، وتأتى الصفة [العارى] لتكمل منطقة المخفوضات ، حيث يتحول الظلام إلى عملية انكشاف وتجرد ، وهذا ما يسمح بتحول منطقة [الاسمية] إلى [الفعلية] كناتج لما سبقها ، ويقع الاختيار على الفعل [ينفجر] ليحمل شحنة التوتر إلى الخارج إكمالاً لعملية الكشف .

وبتمام عملية التفجر يتحول الموقف إلى لون من التخاذل والضعف الذى يقدم الطرف الآخر لصنع التوتر .

وعلى نفس الوتيرة تأتى أولاً منطقة الأسماء فى السطر الثانى لتعطى مدلول الثبات ، ثم يتبعها منطقة الأفعال ـ فى الثالث ـ لينضاف إلى التوتر السابق توتر من نوع آخر يحيل التجربة كلها إلى توتر شمولى .

وتتابع حلقات دائرة العرى تنازلياً فى احتواء الحياة بكل مفرداتها لتحقق للغة الشاعر قدرة عالية من الكشف تتيح لها رؤية فيها من العمق بقدر ما فيها من الوضوح .

فالحياة تتيح للذات والموضوع أن يتحركا لكنها حركة مكشوفة بذاتها ، ومكشوفة بحكم طبيعة [العراء] التى أصبحت أبرز ملامحها ، فمع الضياع الذى تعيشه الذات والموضوع ، تأتى صفة العرى لتحيله إلى ضياع كلى ، ومن هنا جاءا واقعين فى متاهه العراء [التائهان فى مسيرة العراء][١٤] .

وحتى عند ما تتحول الذات لتخاطب الموضوع شعرياً تضفى عليه طبيعة العرى من خلال اتخاذ زمن الازدهار رمزاً للخواء من ناحية ، والانكشاف من ناحية أخرى ، فالربيع يتصل بالموضوع ليربطه بالذات ولكن من خلال الظاهرة الأثيرة ، وهى العرى ومن هنا جاء الخطاب قائلاً : [لأنك فجر ميلادى ووجه ربيعى العارى][١٥] .

وعندما تتحول الحياة إلى كائن شبيه بالسوق ، تأخذ ملامحه خواص الكشف والافتضاح ، لتنضاف إلى ما سبقها من مفردات [وتأمل هذى السوق العارية المشهودة][١٦] .

وقد تضيق دائرة العرى لتتلبس ببعد مكانى وبشرى محدود لتكشف عن دواخلها بالتوازى مع خوارجها ، وهذا يتحقق فى خطاب الشاعر عن دمشق ، حيث يقول عنها فى مرحلة من عمرها بأنها [عارية كعانس تحلم بالشباب][١٧] .

وقد تتسع الدائرة مرة أخرى فى الشكل ، وان ظلت محدودة فى البناء الباطنى ، فعنترة الأسطورة التى تسقط على كثير من رموزنا المعاصرة ، يعيش فى وحدة وغربة ، وتحتويه [ساحة العراء] ، فالساحة بحكم المواضعة تقدم اتساعاً غير منقوص ، ولكنها من ناحية علاقاتها السياقية تقدم بعداً محدوداً للموت المنفرد ، [منفرداً فى ساحة العراء ، هكذا يجندل البطل][١٨] .

وكما تعرت الذات ، تتعرى عملية اتصالها بالغير من خلال تعرية حروفها ، [ولكى تصمد فى الريح الحروف العارية][١٩] .

وبالمثل ايضاً تتكشف الأشياء من خلال تعريها لكى تتم عملية الكشف الكلى ـ كما رأينا مراراً ـ فيئول الأمر إلى ظاهرة وجودية ملازمة لخطب فاروق شوشة [وتعرى وجه الأشياء][٢٠] .

من كل هذا يتضح أن متابعة الخطاب الشعرى عموماً تقتضى التحرك فى دوائر كلية ، وخاصة إذا كنا بصدد ظواهر تعبيرية محددة ، كظاهرة التكرار ، إذ أن المتابعة الجزئية تحقق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جانباً لا يمكن أن يغنى عن هذه النظرة الدائرية التى تحاول الإحاطة بعملية الاختيار فى مستواها اللغوى والنفسى ، وتتبع السياقات سعياً إلى الإمساك بالخط الدلالى الذى يربط بينها ، وعن طريقها يتم إنتاج المعنى .

القاهرة : د. محمد عبد المطلب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهوامش :

[١) سر الفصاحة ـ ابن سنان الخفاجى ـ شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدى ـ صبيح بمصر سنة ١٩٦٩ : ٩٦ .

(٢) السابق : ٩٦ .

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة ـ فاروق شوشة ـ المطبعة العالمية بالقاهرة سنة ١٩٨٥ .

(٤) الأعمال الشعرية ـ محمد إبراهيم أبو سنة ـ مدبولى بالقاهرة سنة ١٩٨٥ .

(٥) أنظر المخصص ـ ابن سيدة ـ دار الآفاق الجديدة ببيروت : ١١٥/٤ ، ١١٦ وانظر لسان العرب ـ ابن منظور ـ طبعة دار المعارف ـ مادة [عرا] .

(٦) الأعمال الشعرية الكاملة : ١٤٥ .

(٧) السابق : ١٥٠ .

(٨) السابق : ٢٩ .

(٩) السابق : ٤٤ .

(١٠) السابق : ١٥٨ .

(١١) السابق : ٢٦٨ .

(١٢) السابق : ٣٥ ، ٣٦ .

(١٣) السابق : ١٦٢ .

(١٤) السابق : ٢٨٢ .

(١٥) السابق : ٨٣ .

(١٦) السابق : ٤٦١ .

(١٧) السابق : ٣٥

(١٨) السابق : ٢٤٧

(١٩) السابق : ٩٨

(٢٠) السابق : ١٠٢ .

إبجـــــرامـات - ٤

عـز الـدين إســماعيـل

[قصة طويلة جداً]

فى المبتدَا ترنمَ « الناى » فأشجَى بالعِبَرْ
ثم تلته « الريح » فاستفزَّت ميّت الشجر
وفى الختام انتفض الثرى ، تكلم « الحجر » .

[حَدٌّ وحَد]

ــ عرفته حين يضيق الشارع الكبير حتى يختنق
وحينما تلتئم الجدران كالأسوار
ويسقط الحديد فوق أعين النهار
. . . يترك للزمان أن يشق كوة الخلاص
ـ فليحذر السلاح ذا الحدين
فحدَّه له وحده عليه . .

[هنا وهناك]

قلت لها :
هأنذا هنا وأنتذى هناك
قالت :
أجل ؛ هأندى هنا وأنتذا هناك
قلت :
إذن أنا وأنت هاهنا وها هناك .

[لا شىء]

يجتمع الأعضاء
ينفضّ الأعضاء
والأشياء هى الأشياء
فى « الأمم المتحدة »
أو فى « كفر الضعفاء » .

[حقيقة]

ــ أوثر دوما أن أرى الأشياء فى رائعة النهار
وأنت ؟
ــ على النقيض ، أوثر التحديق فى الظلام
ــ تخاف أن تواجه الحقيقة ؟
ــ بل كى أرى حقيقة الحقيقة .

[الرعب الأزلى]

ــ إنى أتحرك دوما ، استشرف آفاق المستقبل
لكنى أخشاه
ــ الفرح أمامك ، لكن شبح الماضى المرعب فى ظهرك
ــ هل أمشى وجهى للماضى ظهرى للمستقبل ؟
ــ ستزيد الطينة بِلّة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

[انعتاق]

ـ الضوء تبدد
والعِرق تجمد
والقلب تبلد .
ـ اخلع هذا الجلد المعلون !
وادخل فى قلب الحمأ المسنون !

[موعد]

ـ سنلتقى غدا ؟
ـ متى غد ؟
ـ غد غدا
ـ ليتك تنسى الموعدا .

[طفولة]

حين ينام الطفل مسبَلَ الجفنين فوق صدر أمه
وثديها فى فمِهِ
يدور فى خاطره السؤ ال :
منذا ترى يرضعه فى زمن الشيخوخة ؟

[انتفاضة]

ـ هل يملك العصفور مقصوصُ الجناحْ
أن يستعيد عشه السّليبْ ؟
ـ بعض الشعوب يملك القنبلة الذريةْ
لكنه تُرعبه انتفاضة الحجر .

القاهرة : عز الدين إسماعيل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

توقيعات على درجات الصباح

محمود ممتاز الهوارى

نائمون . .
وهم يفتحون العيون
وهم يقفزون من النوم
يلتهمون الطعامَ . .
وينطلقون

نائمون . .
وهم يوصدون النوافذَ
ينحدرون على درجات الصباح
يموجون فى الطرقاتِ . .
إلى حيث لا يعملون !

نائمون . .
وهم يركبون « الترولّى »
وأجسادهم عَلِقت فى الهواءِ
كمركبةٍ للفضاء . .
بها طائرون

نائمون . .
وهم يرفعون الأصابعَ
أو يُلهبون الأكفَّ . .
وفى سرِّهم يضحكون

نائمون . .
وهم يُلصقون . .
وهم ينزعون الذى يلصقون

نائمون . .
وهم يسرقون العناوين
من صفحات الجرائد . .
فوق الرصيف . .
ويمضون . . لا يشترون !

نائمون . .
وهم يجلسون أمام المقاهى
يستقبلون النساء . .
ويستدبرون . .
يفتلون مكان شواربهم . .
وبأعينهم يغمزون

نائمون . .
وهم يرقصون
وهم يضحكون . .
وهم يصرخون . .
وهم . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نا

نائمون

ولكنهم

حين يُلقون أجسادهم

فى فراش الظلام . .

وتغمض أجفانهم

يفعلون

الذى

يشتهون !

ملوى : محمود ممتاز الهوارى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مدينة شرقية

أحمد محمود مبارك

طوَّفتُ فى جبينها ،
عيونِها ،
أعطافِها ،
أطرافِها ،
أبحثُ عن ملامحِ الذى عشقتُه
منذُ قرأتُه ،
فلمَ يَلُحْ
لى غيرُ يومها
ذاك الذى لم يُرْضهِ طرازُها القديمْ
فباعهُ
وأَبْدَلَ المكتوبَ فى واجهةِ الأبوابْ
من غير أن يتلو على الذى مضى ،
فاتحةَ الكتابْ

لكننى برغم ليلها الذى بدا . .
كأنّه قوسُ قزحْ ،
ولهوها الذى جَمَحْ ،
وعطرها الذى يضوعْ
قرأتُ فى أحداقها ،
قصيدةً من الدموعْ
وفى زحامِ الرقصِ والنّكات والصَّخَبْ
سمعتُ صوتاً وانياً ،
لم يلفتِ الأسماعَ ،
يحكى وهْو ينْتَحِبْ
عن أبلهٍ
قد ضَيَّعَ الميراثَ ،
حين ابْتاعَ ،
مِنْ غانيةٍ غريبةٍ
تسللتْ إلى ضلوع هذه المدينهْ
قلباً من النُّحاسْ
بدُرَّةٍ ثمينهْ

الاسكندرية : شعر/احمد محمود مبارك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الغـزالة .. تقفـز فى النـار

فـريد أبـو سـعدة

وحيدٌ
تشبُّ عليك خيول الدخانِ
وينزف منك دمٌ
أم غزالٌ
دمٌ
أم حصانٌ
يحمحمُ بين فمى والجسدْ !
وحْيدٌ
ويصهل فيك الدخانُ
فهل تسقط امرأةٌ من أصابعك الخمسِ . .
أمْ يتفتقُ عنها المساءْ ؟
أنا ذكَرٌ
يتفرّس أنثاهُ فى النارِ . .
تدخل فيك
وتخرج منك
وتغويك . .
هُزِّى دمى كى أرى
هذه امرأةٌ
أم نساءْ

وحيدٌ
وفصُّ المواجيد ينحلُّ عن فتنةٍ
ومَدَدْ
أحدِّقُ
يخرج منّى غزالٌ
تمسَّح فى قدمىَّ
وفرّط بين يدىَّ
عناقيدَ من نسوةٍ
تصطفينى
تَجمّرن بى ولعاً
واشتهاءْ
أحدِّقُ
هل ينعس البحرُ
أم راغ من شَفَرات الكلامْ
وهل يرشق الوعلُ قرنيهِ فى سرّةٍ
أم زبدْ ؟
أهيجُ
وأصفرُ
هذا أنا واحدٌ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعَدَدْ
فهزِّى دمى كى أرى
أيّهنَّ تشابهُ عاشقةً
أتفيأُ فى جمرها . .
وأنامْ
صوتها وَبَرٌ
دافئٌ
ناعمٌ كهديل الحمامْ
شعرها
أم حِرامٌ من الصوفِ
لفّت به بدنى
فاستطاب المنامْ !
عينها
عنبٌ
تختفى الشمس فيهِ
وتلسع قلب الغلامْ
نهدها
فرسٌ
صاهلٌ
واثبٌ
يقطعّ الآن عنه اللجامْ
أنا واحدٌ
وعَدَدْ
فهزِّى دمى كى أرى
ما الذى فيكِ يشبهُ حزنى
ويشبهُ حسنى
ويندِفُ همىٌ
يصيرُ بَدَدْ

القاهرة : فريد أبو سعده

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سَـــــــــــفَر

فـــراج عبد العـــزيز مطـــاوع

كان يهوى النخيلَ ،
ولا تستطيع يداه الوصولْ
للفضاء الجميلْ

*

أنت قلتَ عن البحرِ طمىُ السماءِ ،
فغُصْتَ
وقلت عن الشمسِ كأسٌ من الخمرةِ المشتهاةِ ،
سكرْتَ
وقلت عن الأرض خائرةُ النهدِ
ثم نزعت عن اسمكَ لونَ الحقولِ ، الصهيلِ ، الترابِ ، المواويلِ
أسلمت ريحَ التغرّب فأسَكَ
لم يبق منك ــ القديمِ ــ سوى اسمٍ ،
ورسمٍ ،
حقائبَ صُفْرٍ ، جوازٍ تَعلّقَ فيه كوشمٍ
حروفُ الوطنْ

وحصاناً من النار تصبحُ
تنبو العواصم عنك . . وتهربَ
ها أدمنتْك موانى الرحيل ، التحلّلِ
ها قد علوتَ على النخلِ والطيرِ والسُّحْبِ

جُزْتَ السماءَ ،
صعدت إلى الله ،
أحرزت صكَّ القبولْ

*

تذكر ــ الآن ــ أن التشرنقَ خَلْقٌ
وأن التقاء الأزمّة بالخَلْق عِتقٌ
وأن افتداء الحبيبة بالوجعِ ، الحرفِ ،
أنك فُتَّ الظلالَ/القُرى
وفررْتَ إلى الحلَباتِ/المدنْ

*

افتح النهرَ ، دمعَكَ نحو النخيلِ
حصانُ التغرّب أبْطَا وبشّ
والطيور المحلِّقة استشعرت خطرَ النُّبلِ

حنّت إلى النيلِ ،
فرَّتْ ــ وحين استقرت على شُرفةِ العشِّ ،
خرَّت تقبّلُ دفءَ التراب النبيلْ

أسْلِم الآن ــ فأسَك للسّهلِ
إن الليالى اللواتى تبوحُ ،
الليالى ، انتهاءَ الجروحِ ،
تناديك من ردَهات الزمنْ

*

كان يهوى النخيلَ ،
وحين استطاعت يداه الوصولَ ،
لأبعدَ مما تطولُ الخيولُ ،
رمى بالحقيبة [منتصراً]
واستعاد الوطنْ

المحلة الكبرى : فراج عبد العزيز مطاوع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

قصائد الحزن البهيج

رضا يوسف العربي

١ ـ غناء

لي أنْ أُسَمِّيَ أشيائي بأسْمائي
وأن أرى أَلِفِي تغزو مدىٰ يائي
لي أنْ أُسَمّي نخيلَ الجُرْح : أغْنِيَةً
وأنْ تُشيرَ مواويلي لِآلائي
تلْكَ الحُروفُ ، قُلوبٌ شَفّها وجعٌ
. . . حُلْوٌ ، وأغْنيةٌ منْ عزْفِ أعْضائي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ـ خروج

أنتَ صادقت بحرا ،
وقلتَ : أُفتّشُ عن لؤْلؤ
فاحتواكَ ،
وخاصمكَ المَوْجُ ،
والملحُ حفّكَ ،
فانْظُرْ لما قدّمَتْهُ يَدُكْ
إنّه البحرُ لا يَعْهدُكْ
خائنٌ إنّه البحْرُ ،
ليْتكَ ماجنّتَهُ
فاصْعدِ الآنَ نحْوَ الشّواطئ ،

غاسلاً الوهْمَ ،
والملْحَ ،
وسْطَ الزَّبَدْ
أيّها الرّاحِلُ المُبْتَعِدْ

٣ ـ دمعـــة

يا هوْدجَ الجراحَ لا تجْثُمْ على قلبى
يا هودج الجراحْ
غَسَلْتَنى بالصّمْتِ ،
لا خفّفْتَ وْطأَةَ الرِّياحْ
ولا تركْتَ لى ابْتداءَ الوَهْمِ ،
من سَفَرِ عُمْرِىَ المُباحْ
يا هوْدجَ الجَراحْ

٤ ـ نسيـــان

نامى فإنّ الذى أنْساكِ أنْسانى
ما عادَ طيْفُ الهوىٰ فى النّوْم يغْشانى
قَدْ جَفّ جُرْحُ الهوىٰ رغْمَ النّدوبِ علىٰ
. . . جدرانِ ذاكرتى ، والْتامَ شِرْيانى
والآنَ أنتِ على « الألْماسِ » باكيةً
: كيْفَ البريقُ احْتَوىٰ عيْنى فأعْمانى
تسْتنْطقينَ جبالَ التِّبْرِ ، يالعَمىً !
فاسْتنطقى حجراً فى صدْرِ إنْسانِ

٥ ـ وحـــدة

آخىٰ بينْ حقيبتِهِ ،
والشّارِع ،
ما نَسِيَ الشّارعُ حينَ نَسى !
آخىٰ بينْ الخُطْوةِ ،
والنّخْلِ ،
النّخْلُ
تَ
هَـ
أ
و
ىٰ
حين تَطاولُه أزْرىٰ بالسُّحْبِ ،
ولكنْ عنْد مؤاخاةِ الشّاعرِ ،
ياعيْـــنى ـ
بينْ بنَفْسجـــةٍ ،
والعَرْشِ ،
انْشَطَرَ القَلْبُ ،
وظَلّ العَرْشُ علىٰ الأنْقاضْ

أبو حماد ـ شرقية : رضا يوسف مصطفى العربى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من أجـــــــــلك ..

عبـاس محمـود عـامر

فى قدمى كان الشّوكْ ،
وأنا بالقلبِ أجرُّ الجسرَ إليكِ ،
.. وفى ذيلِ الجسر محيط
ينشقُّ ..
فتبدو قارتنا المفقودةْ
رغمَ الزمنِ الثّلجِ
الممتدّ طويلاً لبلادِ الجرحِ
النّاصبِ خيماتٍ
فى صحراءِ الفرحِ الكاذبِ ،
والقهرُ أبابيل خَلفَ خريفِ الشّمسْ
لكنّى
من أجلكْ
سأواصلُ سَيْرى عبرَ محطاتِ الأملِ
المهزومةِ فى غزواتِ الليلِ ،
.. ومصباحُ الفجرِ
.. دماءٌ تتقطرُ من عينيهِ
يتساقطُ كلُّ نخاعِ الضوءِ ..
فتمتدُّ سيوفُ الليلِ ..
إلى بطنِ الغارِ ..
تسيلُ دماءُ حمامةِ حُبٍّ ..
كانت تحرسُ فوق البابْ ،
وانفرطتْ سنبلةُ القمح ،
.. وقد جمعتْ بين أناملها الأوطان
لكنّى
من أجلكْ
سأواصلُ سَيْرى عبرَ شرايينٍ
فقدَتْ إيقاعَ الدفقةِ ..
فى ضغطِ الدّمْ
عاشَتْ فى صمتِ الرّيحْ ،
فأمرُّ على وجهِ القريةِ ..
يحملُ كلَّ تجاعيدِ الأشْتيةِ الشّيباءِ
.. كما نقشَتها السّنواتُ على وجْهى ،
وأمرُّ على المدنِ المغرورةْ
ركبتْ خيلَ الرّغبةِ ..
كى تلْحقَ موعدها فى شرعٍ
غير الشّرع
لم تخشَ سُقوطَ الخيلِ ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ببئرِ النّار
لكنّى
من أجلكْ

سأواصلُ سَيْرى صوبَ شعاعٍ
قد يتفجّرُ فى وجهى
حتى تنقطعَ القضبان . . .

القاهرة : عباس محمود عامر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصائد قصيرة

محمد عبد الوهاب السعيد

[١] مفتتح :

آن لى أن أعرِّىَ صدرىَ للريح والبرق والأتربهْ
آن أن يخرج الثمر المتسترُّ فى أيكتى ويصيح :
أنا العلقمىُّ الشهىُّ
أنا المتهدل من شجر الخلد منتظراً أول القاطفينْ
آن لى أن أبينْ
وأسمّيكِ ـ رغمىَ ـ بالمتأوَّل والمُشْتَبَهْ
يا جَمالَ الحنين حنانيكِ من دخل الدار قد أهاجك ضدى . .
وأغراك بالأهل والأحجبهْ
آن أن تتحدث عن سرِّها الأ شربهْ !

[٢] وجـه :

مَرَّ وجهكِ فوق الوجوه فأغطشها وانتشى !
واستمدّ وضاءته من دم الآفلين . .
وراودنى عن سمائى فصرت أنا بعض من أغطشا
رائعٌ وجهُك المستبيح حمىً لم يُبَحْ . .
بسوى الخيل والليل والإنهزام الجميلْ
رائعٌ من تركتِ لَقىً فوق صدر الطلولْ

كلما سأل الأهلُ : من ؟! من به ؟! من به ؟!
أودع الشعرَ بعض مواجيده ففشا

[٣] بدائية :

فى الأحراجْ
الليل السرمدُ . .
والأشجار الأسطوريةُ . .
والريح تروح بدقات الطبل الإفريقىِّ . .
وعينانِ تضيئان خلال الأعشابِ . .
ووعلٌ مشنوق من قرنيه . .
ويومٌ منتصبٌ فوق غصون الحزنِ . .
وأفعى نائمةٌ . .
والقدْرُ يئزُّ على النيرانِ . . .
وطفلٌ مكتوفٌ منكفئٌ وسط الرقص الوحشىِّ . .
لأشباح زنوجٍ منتفخى الأوداجْ
يا أنتِ ! . .
ترى من مِنَّا الطفلَ ؟ !
ومن ألقى بكلينا مطعونين بهذا الكون ؟! . . .
وأين المعراجْ ؟! .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

[٤] دمـى :

يا دمى
يا خيولاً من الركض لمْ تسأمِ !
يا دمى !
يا هدير البرازخِ فى معصمى !
يا دمى !
يا عزيزاً على الأهلِ ، ياخمرة من الكؤوس الغريبةِ . .
من يفتديك ؟ . . بمن تحتمى ؟
القبائل واردةٌ فى ضجيج الرُّعاءِ مدنسةً شاطئ الأنجم
منك يصطبحون ويغتبقون ويأتون بيتى . .
سكارى من الرقص فى مأتمى !
يا دمى !
أيها النهرُ مزدهماً بالجنون على كل رابيةٍ ترتمى !
من يدافع عن حقلكَ المستباح ؟ . . منا جلَهُمْ . .

والطيورُ الخماصُ على كل غصنٍ . .
تضيء منا سرُهَا بهجةَ الموسمِ !

[٥] هُيَام :

استراح الأحبَّةُ من سحرِكمُ واستكان الهُيَامْ
ونضا كل قيسٍ عباءته عند أعتابكم ثم نامْ
لم يعد يسمع الليل فى حيِّكم غير صوت الغطيط/النباح/طنين الهوامْ
وأنا . .
صارخاً فى بلاد الظلامْ
لا أرى غير عينيكِ قرب المدى . .
والنجومُ على أثرى طلقاتٌ تطاردنى منذ خمس وعشرين عامْ

[٦] بنات طارق :

خرجتْ عليك الضارباتُ بدفهنَّ يَمْسْنَ حَيَّاتٍ وجنْ !
يَرْفُلْنَ فى الوشْىِ البهىِّ . .
قُتِلْنَ ! كيف أتينَ ساحكَ واستعنَّ عليك بالشوقِ العفنْ ؟
هُنَّ البناتُ بناتُ طارق فى النمارقِ . . .
عُذْتُ مما فى الفؤاد نَفَثْنَ . ثم خَنَسْنَ . .
فاشتعلت جوانحُ واستبان المستكنّ !!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المنصورة : محمد عبد الوهاب السعيد

بارت تجارة الحروف

السيد محمد الخميسى

هذا الشتاء يختلف
البرد فيه خنجرٌ
يغوصُ فى القلوب
والماء فيه آسنٌ
كأنه
فى قربة السماء منذ ألف عام
والصمت فى العيونِ
يذبح الكلام
والخوف قبضةٌ من النحاسِ
باردة
تروّع الألفاظ فى العيونِ
والشفاه
تُرعشُ الشجر
وترسل الظلامَ فى قتامةِ الظلالِ
تمسخُ الصُّوَر

*

من ياترى
يمدّنى
بالعشبِ والثمارِ من جديد !
من ياترى يعيدُ لى
أنشودة الإخصاب والشموسِ
والقمر !
من ياترى يلمحُنى
ألوحُ فى نهاية الطريق مَعْبراً
تدكُّهُ جحافلُ الكآبة
أسمعُ
وشوشاتِ الموج للأصداف
رغم اختلاج الرملِ والأقمارِ
يصرخُ المحار
هذا المكانُ هادئٌ
ألقوا حصاةً

حرّكوا عبر المدى الذراعَ
ربـــما
رأيت عبر حلكة المساءِ

وجهَكمْ
يُمْتُ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقت أن تُزَمجِر الرياح
نحوكم
كى أطلق الشراعَ فى
السماءِ
مرةً أخيرة

*

يأيها البرقُ المقدسُ
الوضىءْ
فلتصمت المباخر الأجيرة
وليُحرِق البخورُ فوقه
مذبح الضياء

فربما تطهرت
تلك الحناجرُ الرخيصةُ الوتر
من سطوة السُّباتِ
والنفاقِ
والخَرَسْ

الريح تنقر الزجاجَ
والرذاذ عالقٌ
فوق العيونِ المثقلاتِ بالدموع
بارت تجارة الحروفِ
أُقفِلت
بوّابة المدينةِ المتاجرة
فى وجه من يبيع سلّةً
من المديح طائعاً

لقاء درهَمين
فى وجه من يبدّل الكلامَ
مرغماً
من فوق ظهر منبرٍ عتيد
وليذهب النخّاسُ بالإماءِ
والعبيدِ - لم يعدْ
للسوق فى الضفافِ
مهرجانْ

بور سعيد : السيد محمد الخميسى

ARCHIVE
http://Archive.Beta.Sakhrit.com

شعر

مشاهد من قصيدة آدميّة

أيمن حمدى

(مشهد أول ....)

تحت الثوب رمادا ـ يا امرأة أخرى
كيف توارَى عُرْيُكِ خلف النشوةِ يخلعنى
ـ كلَّ الأسماءِ ـ ويلبس ثوبا
تلك الشجرة كانت منّـا
شربت عَرقَ الرعشةِ حين قطفتُ التفاحات
فكيف خسرنا
ـ لا تقربْها
كان الصوت عميقاً
كان رقيقاً
بوح الرغبةِ من شفتيكِ إلى الأعماقِ ونهرُكِ
نايٌ غنّـى
فرْداً كُنَّا
ثم تَخِذْتِ التوتَ بديلاً . . تُهْنا . .
يا امرأة أخـرى

(مشـهد متكـرر ....)

كان الصيف يكوّر ذاكرة الطين المستعره

والقطرات تحُفّ أديم الأرض وترقَـى
صوْبَ الباب

كانت ــ غلّقت الأبــواب
وهى تراود غيثك أن يمنحها الخضرة
فاعزف لحن خلود الشجــرة
وادخل فى الأوردةِ نشيجا
ونشيدا
وغناءْ
أكمِلْ معزوفتك الأولَى
وابدَأ فى التأويلِ عجافاً سبعاً
واحرث تلك الأرض الجدباء المستعرة
قبل يحطّ الطيرُ على رأسٍ لم تُسلم
(كان الصيف يكوّر ذاكرة الطين المستعرة
ثم أدرت الظهر فقُدَّ قميصُك من دُبُرٍ
والبادىء أظلمْ)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(مشهد لن يتكرر)

آهٍ
لو تنسابين مع النور عبيرا
من هودجك المخمورِ إلى الجهةِ الشرقيةْ
تلتحفين الحلمَ وتنتظرين بشارتك الصوفيةْ !

القاهرة : أيمن حمدى

قصـــــائد قصـــيرة

عيـد صـــالح

١ ــ نصفان أنتْ .

نصفٌ تحدَّرَ . .
فى الغروبِ . .
بعُشْب قريتنا
ونصفٌ فى المدينة
يمضغُ الصبَّارَ
والعَرَق المُصَمَّغَ . .
والدُّوار .

٢ ــ مالت على صدرى

تَنَهَّدُ تحت سَرْوِ النِّيل
مدَّتْ ناظرَيْها
بامتدادِ النهرِ :
ــ هل ضاقت مدينتنا الكبيرة
باحتضان العاشِقينْ ؟
داعبتُ شعر حبيبتى الوسنان
ــ بالغةً تحدَّثُ . .
غيرَ ما ملكت يداى

٣ ــ وجهان فى المرآة . .

طولىٌّ وعرضىٌّ . .
وبينهما خطوطٌ بانكسار الضوءِ . . ،
من شُبّاكىَّ الغربىِّ . .
حاولتُ التقاط ملامحى
فتحجرت عيناىَ
فى ركنٍ قصىٍّ

دمياط : عيد صالح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

السقوط

لطفى عبد المعطى مطاوع

حين خلَّقت ،
شكل الطيورِ على راحتيكَ ،
دُمىً
من أديم الثرى
ونفخت بها نفخةً
نفحةً
قبساً من طلاوة روحكَ ،
كنتَ لها
يا إمام الثرى
مُبدعاً مرشدا
ها هى الآن يا سيدى
تَتعامَى عن المرفأ القُدْسىِّ ،
تجاذبُها حانةٌ
بالنخيل الصناعىِّ ،
حتى تطيرَ سُكارَى ،
تحطَّ سُكارى ،
وتصبغ منقارها
ريشَها الأزلىَّ ،
بلون السقوطِ
وتنعبُ
ترمى على الواجهاتِ ،
ظلال الصدى
والصدأ
فتُحيل الهوى
يا إمام الهوى
حانةً
كفَناً للرؤ ى .

المحلة الكبرى : لطفى عبد المعطى مطاوع

فى موكـب الظمـأ ..

نـور سـليمان أحمـد

يخط الزمان على راحتيك . .
حكايا النبوءات والمعجزات . .
ومازلت أنت .
برغم الجحود الذى كان منّا . .
تطوّح صندوق موسى إلينا . .
ومازال طوفانك الموسمىّ . .
يعاقر أشجارنا اليابسهْ
فُتنبت عُشباً . .
وتُثمر فى عُرْينا السنبلات . .
فيا نِيلَ مهلاً .
أما زلت تذكر من بايعوك . .
ومن تابعوك ومن أتعبوك . .
ومن فى زمان المخاض الكبير . .
استحلوُّك أغنيةً للولادة . .
ومن فى ظلال النخيل استطابوا . .
على شاطئيك صلاة العباده . ؟
« إذا الشعب يوماً أراد الحياة . .
فلابد للنيل أن يستجيب . .
ولابد للماء أن ينهمرْ »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حبيبى وما أنت إلا الحبيب . .
أُعِدُّ لك الآن عُرساً جميلاً . .
فزوْجُك أغنية البرتقال . .
فهوِّن عليك .
وما السير فى موكب الإرتحال . .
سوى غضبة منك والناس عطشى . .
فيانيلُ دعْنى مع الحلم أحيا . .
أداعب أوتار قلبى الصغير . .
ويحلو على الرغم طعم الغناء . .
وفى موكب العرس أمضى . . وتمضى . .
تجرجرنى ذكريات الطفولة . .
وأستعطف الأرض ألاَّ تلوك . .
ـ بقايا الحذاء . .
وأرقص فى عرسك الأزلى . .
على حافة الأمنيات البليدة . .
وأهديك من ظمئى دمعتين . .
فما عُدت أملك غير الدموع . .
أتســـــمعنى ؟! . .
أيها المستحمّ بعطر البقاء . .
تمهّل قليلاً . .
وعُدْ بى اليك . .
وسِرْ بى . . فإنى . .
بدونك أمضى إلى الانتهاء . .

بنى سويف : نور سليمان أحمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليلى ومحاولات قيس جديد

فتحى عبد السميع محمود

. . حاولتُ أن أنشلَ النخلَ من جبَّة الريح
لكننى ما وجدتُ يداً
وحاولتُ غَسْلَ الرّمال
ولكننى ما وجدتُ دماً
وحاولتُ نصبَ الخيامِ على شاطىء الحُلْمِ . .
كانتْ . . .
ولكنْ على شاطىء المِقْصَلهْ !

. . . . . .

ينامُ الجحيمُ على حِجرِ ليلى
ولِيلَى حقولٌ من التينِ تثمرُ فى شفتيهِ
ولؤلؤةٌ من دموعٍ يرجرجُها الانتظار
كرجرجةِ النَّهْدِ عندَ انفجارِ القميصْ
ينامُ الجحيمُ على حجرِ ليلَى
ويَشبكُ فى قُرطها أصبعيهِ
ويجذبهُ كزنَادِ المسدسِ
ينفلتُ الإنفجار
ويفركُ فى راحتيهِ النهار

. . . . . .

كما يُبْعدُ الفأسُ بين الأديم وبينَ الشجرْ
كما يُبعد السهمُ بينَ الظمىءِ
وكوبٍ على شفتيهِ
أُبْعدتُ عنها
ووجَّهنى السوطُ شَطْرَ التغرّبِ
صرتُ أوزِّعُ لونى على كلِّ بيتٍ
وأنثرُ حلمى على كل كرمٍ
وأجلسُ فى ظلِّ نجم من التوقِ
أحصى سنين احتضارى

. . . . . .

تقول الطيورُ التى صغتها فى الفؤادِ
وسرّحتُها من جبينى
تنبّئنى أن لَيلَى
على حافّةِ الموتِ تَغْزلُ اسمى خيوطاً
وتنسج منها نداءً
تشيِّعُه فى جيوبِ الشَّفَقْ
تقولُ الطيورُ
هى الآنَ فوقَ رموشِ الرَّواح
تلوك الغناءَ الحزينَ
وتبنى قبابَ الترقّبِ فوق جَناحِ المدى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تقولُ الطيورُ . . . . . .
يدوِّى الصَّدى فى دمى
ويبذرُ فى القلبِ حبَّ التوهّجِ
ألبسُ جلدى
وأقفزُ من فوق غصنِ الثُّمالة والإنطواء

ألملمنى من مرايا الجنونِ
ومن فوق عشب الفصولِ
وأدخلُ فى البَحْرِ
أخطِّطُ فوقَ الهديرِ اشتهائى
وأرسمُ خارطةً للقاء

قنا ـ فتحى عبد السميع محمود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الطَـــــــــــرْقْ

محمـــد فتـــحى غـــريـــب

المسامير تنهش فى أذنى . . . وتذوبْ
المسامير مغروسة فى الصّدَى كالندوبِ
. . . وزائفة كالمساء على صفحة النهرِ
لا آب نهر الغروبْ !
ــ تستعدّ شفاه الجسور ، ، فهل تعطنى الآن قبلهْ ؟
نلتقى بعد غد
ــ غدنا لم يجئ
والشفاه التى . . تنطفئ
آهِ نهرَ المسامير . . أصبحتَ وَحْدك ما قد يؤوبْ !
قد نزفتُ ، فبحتُ بجُرْحى
وُبحّت مناجاتنا للقلوبْ
قلت : هاك الجدارَ الأصمّ
قلتُ : سُمّ !
قلتِ : فلنبتسم مرةً
قلتُ : كُلىّ ثقوبْ

القاهرة : محمد فتحى غريب

هـــــذا أنـــت

مختـــار عيـــسى

هذا أنتَ ،
وهذا دَمِيَ السيّالُ ، يجوبُ الحاراتِ ،
ويقترضُ زجاجاتِ العطّافين
هذا أنت . .
تجلسُ فى شرفتكَ ،
تبصُّ عليكَ ،
تُناديكَ ،
يُلبِّيكَ الظِّلُّ الممدود
تُلقِى القمحاتِ إلى إلْفَيْكَ ،
يَرُدّانِ القمحاتِ عليك !

كنتَ تُقا سمنى الحزنَ ،
وكوبَ الشاى ،
وكنتَ حَوارِىَّ
تَنفُذُ من ثقبٍ فى القلب
تتمدّدُ فىَّ
وتزفُّ خلايايَ إلى الماء
يستدرجُنى الخَدَرُ إلى شَرَكِ الذاكرةِ المعطوبةْ
يطلعُ جنىٌّ ــ من سرداب الروح ــ ،
ويستلمُ تعاويذى ؛
فأُصَدِّق كفَّيك . .
حين تصيرانِ جناحينِ ،
على جَبْهِىْ

كنتُ أقولُ لهم
ــ من فتحوا صندوقك
قرأوكَ ؛ فجاءونى يبكونَ ،
يقصُّون خبيئتكَ الملتفَّةَ فى الأعماق
ويرشُّون البَدَنَ المنحولَ بآياتٍ من سُورتِهِ الأولى ــ
: « مصهورٌ بالوجدِ ،
ومنذورٌ للطرقاتْ
تَعِسٌ من يقطع خلوتَهُ
من يجترىءُ على رجلٍ هيّام الأعضاءِ ،
وبسَّام الأعطافِ ،
عَذُوبٍ ،
ونَدِىّْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تَعِسٌ . . من ضيّق زاويتهْ ،
والتاذَ بجذعِ القلبِ ونام
لمْ يتوخَّ نَبالَ القصدِ ،
فَبَالَ على سُرُرِ الأصحابِ ،
وأفرطَ فى الغِىّ ،،،

الزاويةُ انفرجتْ
وانفتح البابُ على لغةٍ عاريةٍ
يتأرجحُ بين الكتفين سؤالٌ مصلوبُ : ،
الزاويةُ انفرجتْ
فلماذا . . لم ينفرجِ القلبُ المكروبُ ؟!

ولمـاذا . .
أدركنى سهْوُكَ ، ــ حا شاك السهوُ ! ــ
ولوّثنى طُهرك ،
حـاصـرنى
بين ذراعىْ ساقطةٍ ،
ونبىّ ؟!

هذا أنتَ ،
وهذا دَمِى السيّالُ ، يجوبُ الحاراتِ ،
ويقترضُ زجاجاتِ العطافين
فأعودُ إلىَّ

المحلة الكبرى : مختار عيسى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العــزف على وتر التغــريب

سـمير درويـش

نغمة أولى/ملامحْ :

رَحَلْتُ فى مخابئِ الحياةِ باحثاً
عنْ مَلْمحٍ لِوَجْهِىَ الكَلِيلِ
شَقَّقَتْ أظَافرى : الصُّخُورَ
والصَّباحَ
والعِنَبْ .
مُغَبَّراً رَأَيْتنِى عَلَىٰ تَمَوُّجِ المياهِ
كَالِحاً بَأَسْطُحِ الزُّجَاجِ كُنْتُ
مَائعاً يُمَدِّدُ الضِيَاءُ ظِلِّىَ الهَزِيلَ قَامَةً
يَشُوبُهَا العَطبْ .
وَعِنْدَما أَلِفْتُ وَجْهَكِ القَوِىَّ رَائقاً
رَأَيْتُنِي .

نغمة ثانية/تذاكر السَّفَرْ :

تركْتُ فى شفاهِكِ : انْتِفَاضةَ الحروفِ
والْتِحَامَ سَاعِدَيْنِ
وارْتِعَاشَةَ الهَوَىٰ

دَسَسْتُ فى حقيبَتى اخْتِصَارَ مَوْطِنٍ
أَلِفْتُ مِنْ تَبَاعُدِ البِلادِ أَوْجُهَ الذِّينَ يَزْرَعُونَ
ــ بَاحَةَ المحطةِ الكَئيبةِ ــ النَّدَى .

ويُلْصقون فى بُرُودَةِ الرُّخَامِ أَوْجُهاً تَعَلَّقَتْ
رَتيبةً بِأَسْفَلَ القُلُوبِ

يكتبُونَ فى تذاكِرِ القِطَارِ : رُؤْيَةً
وبعضَ أَسْطُرِ الهمومِ

والقصَصْ .
يُمَزِّقُونَهَا . .

تُغَيِّرُ المحَطَّةُ البَلِيدَةُ الوُجُوهِ
وَجْهَهَا ! .

بنها : سمير درويش

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحفـــــــــل

عبـد المنـعم رمضـان

كيف نمضي إلى الحفلِ
كيف نغنى معاً في الطريقِ
وكيف نشاهدُ ظلَّ البيوتِ
يموتُ على الأرضِ
معجزةً
أن تكون الكُراتُ الصغيرةُ
خارجةً عن شواغِلنا
أن يقاسِمَ شيخٌ عصاهُ
فيكتشفان معاً
أننا ذاهبانِ إلى الحفلِ
ماذا يكونُ إذا اضطربتْ عرباتُ الضيوفِ
وأوشكَ أن يدخلَ الناسُ أرحامهم
أن يشوبَ عواطفَهم
مسحةٌ من غنائيَّةٍ
فتصيرَ الكوارثُ أغنىٰ من الموتِ
يصبحُ شكلُ الفؤادِ كبالونةٍ
ينفخُ الشعراءُ فتكبرُ
يمتنعُ الشعراءُ فتنحلُّ هيأتُها
نحن نعرفُ أنَّ الطريقةَ
أنْ نكترى حائطاً
كلما أوشكتْ روحُنا أن تنامَ على دَرَجِ الجسمِ
لُذْنا به
فاستراحتْ
وعاودت الجسمَ رائحةُ الذوبانِ
فنحن إذن ذاهبان إلى الحفلِ
لم يدَعِ الأصدقاءُ لنا فرصةً
أن نداورَهم
والنساءُ اللواتى اغتبطنَ
لمرآكِ في ساحةِ العُرسِ
لم يغتبطن كثيراً
لما يتخيَّلنَهُ
حين يخجلُ مصباحُ حجرتِنا
فيلملمُ أضواءَه
ويُصرَّ على النومِ منفرداً
النساءُ الخبيثاتُ
يعرفن أني أقبِّلُ شعرَكِ كي يتفكّكَ
أني أقبِّل جسمَكِ كي يتفكّكَ
أني سأجمعُ هذى الشظايا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأَلْحُمُها
بسَوائلَ نازلةٍ من ثقوبِ
تلك التى تتوَزعُ فى الفمِ
ترسبُ فى منتهى البطنِ
تخرجُ عند التقاءِ الغريمينِ
حينئذٍ سوف ترتعشين
وتبتهجين
تنالين رائحةَ الربِّ
تدّخرين لنفسكِ
أفْقاً من الحلمِ
أستَرُهُ حين نمضى إلى الحفلِ
ليس الطريقُ طويلاً
ولكننا نتباطأُ
نغتابُ كلَّ الطيورِ
وكلَّ الشجيراتِ
نسألُ عن أىّ كهفٍ يصادفُنا
نستعينُ على اليأسِ
بالشعراءِ القدامى
نكونُ وحيدين فى الليلِ
ليس جميلاً سوىٰ أن نكونَ وحيدين فى الليلِ
نملأُ كلَّ الشقوقِ بآهاتِنا
ونحاولُ أن نضعَ اللغةَ العاطفيةَ
جنبَ الجدارِ
ونكشفُ سوأتَها
ونبولُ
فنحن معاً سنكوِّنُ أوركسترا الوجدِ
ينقصُنا عازفٌ واحدٌ
وجديدٌ
فهل نطمحُ الآنَ
أن نتكاثَر فوقَ الطريقِ
وأنْ نَرِثَ الأرضَ
أنْ نعتلى سفَحها
وترائبَها

والذى لم تكنْهُ
فأنفخُ فيك من الروحِ
ما قد يراه المحبّون
منزلة
تحتها نستطيبُ الإقامةَ
نصبحُ حِلْفاً
هو الروحُ والأبُ والإبنُ
نحن سنمضى إلى الحفلِ
سوف نعاودُ ما قد بدأناهُ
نحلمُ أن نتباطأَ
أذكرُ أن أبى سوف يسبقُنى
فهو يلبُس جبّتَه وعصاه
يصبُّ على الأرضِ زيتَ يديه
فترتعشانِ
ويحملُ سبعين عاماً وأكثرَ
فى جفنتين
ويحملُ أمّى بقلبِ
علّته الحشائشُ
والحشراتُ
وآونةُ الريحِ والبردِ
يحملُ خاصيّةَ الاشتياقِ
هو الآن يعرفُ
أنَّ المباهجَ
والوشوشاتِ
ورائحة الفلِّ
والقبلاتِ التى تتدحرجُ فى الليلِ
سوف تدحرجُهُ
باتّجاهِ المكانِ الذى فيه يصدعُ
يعرفُ صوتَ الرفاقِ الذين مضوا قبلَه
ويكادُ يصافحُهم
ويكاد يبشُّ لهم
وإذا ما تلفّتَ
كانت حواليه أنسجةٌ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هى أمّى استعدّتْ
فأنْحَلَتِ الجسمَ
صار كهوفاً من الجلْدِ والعظمِ
تسكنُ فيها الدماءُ القديمةُ
والذكرياتُ
وتسقطُ عنها الأعاصيرُ
ترتَجُّ حين تشاهدُ أحفادَها
يشربون الفضاءَ بلونِ الجموعِ
ولا تدّعى قابليتها للمكوثِ طويلاً
ولكنهم لم يشاءوا لها أن تمرَّ
استجابوا لرغبتها فى الوقوفِ لدى البابِ
حتى ترى النورَ
والشمعداناتِ
تسمعُ ضجّتَهم حين يقتربون من البهوِ
تعرفُهم
إنه الحفلُ
نحن معاً ذاهبان
ولكننا نتباطأُ

نحلمُ أن نستظلَّ بكلِّ السحابِ
وأنْ نصلَ الحفلَ مبتهجَيْنِ
بأنّا فرغنا من الأرضِ
وارتضت الروحُ أن تتبدّدَ
تصبح أجنحةً
للطيور التى لا تعودْ
إننا ذاهبانِ
معى كتبى
سوف أحرقُ فى كلِّ أرضٍ
أجاوزُها
بضعةً
لأرَى كيف صارت تقاويمُ جسمِكِ
كيف استقرَّ الزمانُ به
فإذا نفِدتْ كلُّها
سنكونُ اقتربنا من الحفلِ
وانصرفتْ ريحُنا .
هكذا
هكذا

القاهرة : عبد المنعم رمضان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجهان بينهما الماء
جسمان ... بينهما الرماد

عبد العظيم ناجى

هُنَا وُلدتْ بذرةٌ فى أَصيص المساءِ القديم ، أَتى شَهْرُ هَاتُور ضَمَّخها بالرُّقَى ... ثم صارت شُجيرةَ بِلاَّذَرٍ ، وهنا نفَّض الصبحُ من إصْبعَيْه قُوَارة[1] عطرٍ ؛ فأَغفتْ على ثَدْى إحدى البحيراتِ .. يحرسها فَرَسُ النَّهر ... صارتْ عَرُوساً لها سَمْتُها الملكىُّ ... وفى اللَّيل كان الجوادُ الشجىُّ الخلاخيل ... عَرَّس حول البحيرة ... مَرَّغ فى ثَبَجِ العطر عينيْه ، ثم ترجَّل فارسُه ... فكَّ أَزْرار معطفه وبنيقتَه ... ثم ألقى إلى الدَّيْدبان الذى يحرسُ العُشْبَ خَوْذته والحمائلَ ... صوتٌ يُغنِّى على سُلَّم الماءِ ... أَنتِ إذن ؟ كان بدءُ سباقِ "المَرَاثُون" صعباً ولكنه كان وعداً بميلادنا القَدَرىِّ ... إذن أنتِ ؟ ... يلتفتُ الزمنُ المتجوِّلُ خلفَ تُخوم الرَّمادِ ... وتهبطُ من شُرْفة اللَّيلِ منضدةٌ ... مقعدانِ ... وكأسان من جَعَةٍ ... :

ـ أَنتِ مازلتِ أَنتِ ، ولكنّ أَرنبةَ الأَنفِ صارت أقلَّ غُروراً ...

* وهل تتغيَّر ماهيَّةُ الماءِ ؟

ـ قد تتغيَّر ماهيَّةُ الكأسِ ..

* كيف تُريد إلى طَهْو كلِّ الفطائر فى مَوْقدٍ واحدٍ ؟

ـ هل أقولُ بأَنى أَشعلتُ كلَّ الثِّقابِ فأحرقتُ كلَّ الفطائر ... حتى فطِيرةَ شِعْرى ؟ .

* وكعْكةُ يُوبيلنا الذهبىِّ هل احترقتْ ؟ ... كُنْتُ أَرسمها بالدَّمالج .. ثم أُتبلُها بطقوسٍ من العشْقِ ، أهمسُ فى أُذنها : لا تَشى بتفاصيلِ جسمى ...

ـ كأنى جلستُ على سُدَّةٍ بين خيط التَّحاريقِ والفيضانِ فأدركتُ أنى دخلتُ إلى أبجديـة جسمكِ ، ثم رفعتُ صَفَاةً من الأرض . . . هَبْـوةَ ماءٍ . . .

فقالت لى الرِّيحُ : إن أقانيمه تتقدَّم نحوى على صَهْوة النَّارِ . . . تهتفُ بى : هَيْتَ لكْ . . .

* فأسرعتَ تفتحُ أبوابَ جسمكَ . . . تقرؤ نى فَوْقَ سَبُّورةالشَّعْرِ . . . ثم تُخمِّن لوْنَ الصَّدارِ . . . ولونَ طلاءِ الأظافر . . . تسألنى فجأةً : كيف لى أنْ أُخمِّن شَفْرةَ نَهْدَيْكِ . . . ؟

ـ أشعرُ أنَّ القصيدةَ كوبٌ صغيرٌ تزّوجَ كلَّ الأصابع ، فلنقترحْ لغةً لا تعطِّلُ إحساسنا . . . لا تُسَيِّجهُ بالطحالبِ والفِطْرِ . . . ولنتوقفْ قليلاً لندفن جثَّةَ قاموسنا الوثنىِّ . . .

* ونسبحُ مثلَ الدَّرافيل فى غير ماءٍ ؟

ـ سنحفر فى دارةِ الشمسَ نهراً . . . ونترك أغصانَ أجسامنا تتهصَّرُ بين يديه . . . أوَاذِىَّ[٢] أحلامنا تستحيلُ حَصى وتعاشيبَ ، نُصبحُ ـ حين يكلّمنا النهرُ ـ أسْورةً فى يدىْ ربَّة الماءِ . . . أو نَمْنماتٍ على ثَوْبِ جنيَّة الماءِ . . .

* مازلتَ تعشقُ [مُوزار] ؟ كنتَ تقولُ بأنَّ طفولةَ ألحانه كطفولة زهرة بلاذَرٍ ، وبأنَّ لها مَلْمسَ الخَرَز المتخلِّق من جَسَد البحر . . .

ـ [موزارُ] . . . هذا النَّبيذُ المُعَتَّقُ . . . خبزُ العشاءِ الأخير . . . ولكنَّ مَعْزوفةَ [المَارْسِلِيز] هى النَّعْنَعُ المتخمِّرُ فى قَدَحِ الشَّاى . . . هَلاَّ نظرتِ إلى بِزَّتِ العسْكريَّة : نَوْطٌ على الصَّدر : [آلهةُ الفيضان تُزفُّ قرابينها لإله التَّحاريق] نَوْطٌ على كُفَّة الصدر : [جالوت[٣] منكفئاً فوقِ مِقْلاَعه] . . . ثمّ نَوْطٌ على خَوْذتى : [قَهْرمانٌ يُدشِّنُ مملكةَ الربِّ للصَّاعدين على سُلَّم الملكوت] ونوطٌ على زُخْرُفِ السَّيفِ . . . هل تأخذين قليلاً من الجَعَة ؟ . . . الصمتُ يقْرعُ كأسيْهما . . . ثم يشربُ نَخْبَ احتضارهما . . .

وينْبَجِسُ الشَّعْرُ كالماءِ . . . يكسر قارورةَ الأرْض . . . يكْشِطُ هذا اللِّحاءَ الذى يتكلَّسُ حَوْلَ الشَّرايين . . . فى هَرْهَراتِ[٤] الأغانى التى تتناثر من بَدَنِ الليل . . . يندفع الفَرَسُ الجائعْ . . . الكونُ يسقطُ تحت سنابكه . . . تتفتتُ كَيْنونَة الطُّرُزِ الهندِسّيةِ . . . يقضمُ أُتْرُجَّةَ[٥] الجاذبيّة . . . يُسْقِطُ هذا الإلهَ المُهَنْدَمَ من فوق دكَّته . . . ثم ينحلُّ ـ عند التقاء السماءِ بأُطْرُوحةِ الحُلْمِ ـ نَمْلاً يَثْقُب حُجْجمةَ الكلماتَ . . .

ـ كم السَّاعةُ ؟

* انتحر العَقْربان

ــ أُريد عُقاراً يُنشِّط ذاكرتى ، فأنا قد تورَّطْتُ حين تنفَّسْتُ هذا الهواءَ القديمَ الذى يترسَّبُ فى دَوْرق الصَّدْرِ ، ثم تذكرتُ حين نضوتُ ثيابَى أنى نسيتُ مناسِكَ جسمى . . .

* أتسمعُ صوتاً ؟ غُرابان يَقْتلان . . .

ــ يقولون إنهما سَرقا خِصْيةَ المهرِ . . . فالنهرُ صار عقيما . . .

* وهل تتغيَّرُ ماهيَّةُ النهر ؟

ــ حين تصيرُ جميعُ الجُزَيْئاتِ كُلاًّ . . . سيصبحُ جسمىَ كأساً . . . وتندلقين بأَوْردتى كى أُشكِّل من جَرَيانك منظومةَ الماءِ . . . ثم تكونين حيثُ يكون التقاءُ التحاريق بالفيضانِ . . . تعانين من وَحَمِ الحَمْلِ . . .

* ماذا نُسمِّيهِ ؟

ينسحبان إلى الظلِّ . . . يَخْصِفُ حولهما اللَّيلُ من وَرق السِّدْرِ . . . يرتفعان إلى رَفْرفٍ عبقرىٍّ . . .

وهذا أنا أتقرَّى مُسوَّدَةَ المَدِّ والجَزْرِ . . . كانت يدُ الرِّيح تبسُطُ كفَّ الرَّمادِ . . . فأَشْبُكُ جسمى بأُنْشُوطة الموْجِ . . . هل سوف يعرفنى الجُنْدُبُ ؟ العُشْبُ يقرأُ وجهى ؟ وَماءُ البحيرة يَحْدِسُ ريحَ قميصى ؟ .

وأَلمحُ ــ عند التقاءِ السَّماءِ ببَوابة الحُلْم ــ وَجْهكِ منسكباً فى عُقود المُزاييكِ . . . فى أعين النَّخْل وهى تُوصْوصُ للعابرين على الجسرِ . . . فى الأَبْر شيَّاتِ . . . فى نكْهة الكعْك والنارَدين . . . نُقوشِ المُلاءِ المُعصْفَرِ . . . ها أنتِ مازلتِ تنتظرين هناك . . . وهذا أنا أتقرَّى مُسوَّدةَ المدّ والجَزْرِ . . .

كان سباقُ المَراثُونِ صعباً ولكنه كان وَعْداً بميلادنا القدرىّ . . .

. . . وينحدران على الجسرِ . . .

ــ من ألف عامٍ بدأنا طُقوسَ الزَّواجِ . . . رفعنا إلى مَذْبح الماءِ مُحْرقةَ[٦٠] العُرْسِ . . .

* ماذا نُسمّيهِ ؟

ــ يأتى لنا وهو يحملُ خَاتمه واسْمَهُ . . .

* سأَقصُّ عليه حكاية بطَّتنا الذهبّيةِ : [كان الشتاءُ جميلاً وكان وديعاً كهِرَّهْ . . .

وكانت يدُ اللَّيلَ مُشْطاً يُرجِّلُ شَعْرَهْ

وفى ليلةٍ جاءتَ البطةُ الذهبّيةُ تلبسُ قُفَّازها الذهبّى وقالت لسِرْبِ الكراكىّ : لا تَتْفُلوا فوق سجَّادةِ الماءِ ، فالنَهرُ يَضْرَسُ حين ندوسُ عليه ونتْفُلُ فيه . . .

ولكنَّ سربَ الكراكيِّ شَالَ بِأَذْنابه ثم قال لها : . . .]

ــ أنتِ مازلتِ أنتِ . . . ولكنّ أرنبةَ الأنفِ صارت أَحدَّ ذكـاءً وأكثر نُبْلا . . .

ويتخذان مداراً على الماءِ . . . يَنْتصبان على سَمْتِ إحدى البحيراتِ : شَجْرة بِلاَّذرٍ وجواداً يُحْمحمُ منتظراً قبضة الرِّيح تجذبُ خيْطَ الرَّمادْ . . .

الإسكندرية : عبد العظيم ناجى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

١) القوارة : ما قطع من جانب الشيء . وهى هنا بمعنى القليل .
٢) أواذىّ : أمواج .
٣) جالوت : من المُبارزين الأقوياء لَبنى إسَرائيل ، قتلهُ دُاود النبىُّ .
٤) الهرهرة : صوت الضأن أو الأسد .
٥) الأُتْرُجّه : شجرة لها ريح طيِّبة .
٦) المُحرقة : الذبحية تُحرق تقرباً إلى الله .

محمد كامل محمد

قصة

من يحرس البراءة

جاءت نهارات الانكماش قسرا ، استطال الليل كالسرمد ، تمدد فوق الصدر جناحا الرخ الخرافى ، وهن الجسد ياصغيرى بسنوات العمر . . تثلجت الأعضاء وتيبست . فقرب منى أنفاسك لأ تدفأ . .

فى هدأة ليل الأمس نهضت أقلب فى مفكرة « التليفون » الصغيرة ، التى حشوتها طوال السنوات بأسماء من عرفت . مددت يدى بالقلم فأسقطت أسماء باتت بلا وجود ثمة من خاصمنى ، ومن صار ذبابة على الموائد ، ومن غادر فلم يعد لرقمه معنى ولا ضرورة . . . وكان منهم أبوك . . هل رحل ؟ ربما غذ فالرجاء فى عودته مستحيل .

تعال ياصغيرى . . أية مفاجأة ؟ الدهشة تملؤنى . . الفرحة تهزنى . . كيف عرفت الطريق إلىّ ؟ .

« لماذا جئت إلى هذا البيت لتعيش وحيداً ؟ »

أرهفنى الجحيم هناك . . عانـدتنى جدتك . بحمقها المميت . . ساندت أمك لتذهب إلى الرجل الآخر . . لتحقق معها كسبا . . لتمرح الاثنتان بسيارته شرقا وغربا . .

« لم أعد أذهب إلى هناك . . لأنى لا أجدك » .

الدقة كانت لينة . . لولا السكون المحدق ما سمعتها . . أحسست تردد اليد التى دقّتها . . لعل صاحبها همَّ بها بغير أمل فى وجودى . . أودقها متهيبا لا يريدنى أن أسمعها ليعود دون أن أفتح الباب . .

أسقطت الكتاب من يدى ونهضت فى الطرقة الضيقة . . ترددت وبينى وبين الباب خطوة . . هل توهمت شيئا لم يحدث ؟ .

عادت الدقة طريّة كسابقتها . . فى اللحظة أحسبنى عرفت من الواقف على الباب . .

انساب جسدك الناحل مندفعا ، حين فتحت الباب بلهفة ، ترتمى متعلقا بعنقى . . مثلك فعلت . . تعلقت بك . . اختطفتك إلى صدرى . . سحبتك لحضنى . .

تقلّبُ فى الأشياء القليلة وتعبثُ بها . . « لا أشرب الشاى بالحليب ، لا أشرب » . . كيس اللبن ياولد اشتريته بعشرين قرشا ، لا آخذ منه سوى نصفه . . فاذا بقى لساعات أخرى فسد « لا أحبه » . . حتى الكتب تبعثرها وتسأل بدهشة « من أين جئت بكل هذا ! إنها غير الكتب التى رأيتها فى البيت الآخر » . . اشتريتها . . أذكر عادتك فى العبث بالكتب هناك . . « لكن هل معك فلوس ! . . تنشغل ببعضها متأملا ، تلتفت لتقول هذا الكتاب يشبه الذى هناك . . هل تركت الآخر لأنك لا تحب جلدته الحمراء ؟ . . تصيح قبل أن أجيب بكلمتك التى أحب سماعها وأبتسم له « هل نسيت ! » كأنك تنبهنى إلى ما أغفل عنه ! . . براءة النبرة وطفولة الصوت تهزّانى . . طوفت فى الشقة الضيقة . . الحجرتين الجحرين . . الصيحة الدهشة !

ـ جدى !

ـ ماذا ؟
ـ نملة !

ألا ترى مثلها هناك فى بيت أمك ؟ ـ يحجب الوغد عنك الرؤية . . ضيّق عليك البيت الرحب . . اغتال عالمك . . هل سمعتنى أمك أم سدت أذنيها ؟ دعنى أبكى أباك ! . . تسأل بدهشة كيف انسل . . صرصار من تحت الباب المغلق ، هل خفض رأسه . . قل لى أنت : فى الطريق إلىّ خضت طفح الشارع أية مشاعر هاجمتك ؟ . . أحسبنى أعرف . . فما أتصورك ساعتها إلا شاخصا بعينيك تجاه البيت القائم على رأس المنحدر ، تتوق إلى الصديق الذى يشتاق بلهفة إليك . . كثيرا تطلبّ ماء لتشرب ، بعد أن أكلت ما قدمته لك حتى شبعت . . ثم استرخيت فى المقعد راضيا . . ليس جوعا طالت أيامه ، ولا شهوة نفس . . وإنما مواجهة انهزام ذقته حين كنت فى مثل طفولتك ؟ .

قلبت فى يدك الكوب الفارغ بعد أن شربت ، لعلك« تكتشف » على زجاجه رسما . . ثمة واحد صغير فى البيت الذى هناك ، مرسوم عليه يمامة خضراء ، كنت تحب أن تشرب فيه الساخن والبارد . . تملؤه بيدك مرة بعد أخرى . . تمسكه وتتأمله ، ثم تضعه فى أقرب مكان لتنظر إليه فى رواحك ومجيئك . . كنت أحب وجودك معى ـ كان بهيجا جدا أن تكون معى . . أتشبث بك . . أقول ليبْقَ الولد بجانبى ولتذهب أمه إلى حيث تريد . . انكسر الكوب فاشتريت لك أكوابا منقوشة بالزهور ، حين لم أجد غيرها مثيلا للكوب المكسور . . قبل ليال ، حين احتوانى النوم العاصى حلمت . . البيت الذى خلفته هناك ، لكى أبتعد ، يحترق . . كانت وسط النيران جدتك ـ وثمة ثياب تتدلى من حبل ممدود ، لا أدرى من أين جاء ، عبر الفناء . . أسرعت نحو الثياب والسنة اللهب تطولها . . التقطت من بينها جورباً صوفياً ، وهربت مغادراً . . كانت خلفى . . لم أقل لها اتبعينى . . تركت لها كل السنوات ، اختفيت عن عينيها . . عندما صرت فى الطريق كان همى لبس الجورب لأدفىء قدمى الباردتين . .

غلبك النوم ياصغيرى فى مقعدك . . وجهك النائم أتأمله . . ذات الوجه هو ـ تلك الملامح . . أمك بعينها عادت طفلة فى مثل عمرك . . ها هنا تنام . . انثال حنان دافىء فى صدرى ، انقلب فى الحال إلى دم حار متدفق يفور بالغضب . .

ماذا تتسمع عندك ؟ القطة تخمش الباب . . لا . . لا تفتحه . . دعها حتى أجهز أكلها . . « هل تجىء إليك كثيرا ؟ كل يوم تجىء بعد أن تصاحبنا . . عندما كنت أخرج للتسوق كانت تقابلنى على باب البيت . . دون غيرى ترفع رأسها لتتطلع إلىّ . . أتوقف لها فتندس بين قدمى ، ثم تطوق ساقى بذيلها الرفيع ـ أتحب أن تتصاحبا ؟ خذ الطعام قدمه لها واقعد أمامها حتى تأكله . .

مطرودة من دنياى . . أقصت نفسها عنى ليمتلكها الوغد . .

فى نومك كان وجهك يبتسم ويعبس . . كنت تئن وتغمغم . . أكنت تستعدى السماء على أيّهم . . أم تدعوها لتعيدك إلى رحم أمك نطفة ، لتخرج للدنيا بعدها فتلقى أباك ينتظر ؟ .

قلت لى والوغد يزحم البيت ويملأه رعدا ، إنك ترى فى نومك أحلاما كئيبة ، ثم تنسى بعضها ولا تعرف كيف تحكى بعضها الآخر . .

تقتنص فى الليل ياصغيرى الأحلام الموجعة فأهرب فى النهار منها ، لا أستعيدها . . يواجهنى الغول فأدير عنه وجهى بوداعتى ، بغير أن أفتّش فىّ عن أنياب وأظافر من حديد . . أغراها بى الصبر عليها ، مددت لها حباله لتفيق ، فراوغت وخدعت لتنهكنى ، ثم تحدث لأذعن . . الابنة تحدّث أباها غاظها منى الصمود وأيأسها ، أولتنى ظهرها لتواصل الشوط . .

الآن تطبق علىّ الوحدة لتخنقنى . . أجالدها متململا ؛ حين لم أفلح فى التآلف معها . . العُود المتصلب ينقصف لم أقو على مجابهة جموحها . . خذ ثمرة الجوافة هذه كلها . . حلوة المذاق لا تردها . . لا أملك أن أجىء لك بكمثرى مثل تلك التى عندها . . ثمة برتقالة من ثمار الصيف ها هى ذى . . لا تنظر إليها وتهز كتفيك . . تركت هناك تفاحة لم تأكلها ؟ وتجىء إلىّ ياولد ! . . سأعصر لك البرتقالة . . على مهل تتمصص العصير ملتذا انتظر ، سأحضر لك أنبوبة عصائر أحتفظ بها ليزيد التذاذك . .

فى قماش حريرى صرّها ، حمل على كتفه الصرة المخدوعة ثم مضى يخزها بالمسامير فتتوجع مكتومة الصوت لكى لا أسمعها أين سيذهب بها ؟ غامت فى عينى رؤية الآتى . . فرضيت مرغما بالتخبط سقوطا فى حاضر ساحق . . لكنى أشم الرائحة فى البعيد . .

احك لى ياصغيرى . . ماذا يقع أمام عينيك هناك . . سأدعك تحكى بغير تسلسل زمنى أنت لا تدركه . . تسبق موقفا لتعود إلى موقف لاحق . . تتابع فى رأسك المشاهد ، فتدلف إلى داخلها غائصا فى قيعانها تصفها . .

أسمعك . . الهدير أسمعه . . أرى واقعك الذى تعيشه محسا بأبعاده دون أن تفهمها . . من يحرس لك البراءة فى الزمن الخائن ؟ .

الرجل الآخر لا يريدك ، لكنه يحاصرك لكى لا تجيئنى . . يضرب حب كلينا للآخر حقدا . . يزاحمنى فيك تظاهرا . . نتنافس عليك ، وليس ثمة تكافؤ . . وهى ترقب ساكتة لترضيه . . هل نتقاسمك لتنشطر حياتك بينى وبينه ؟ . عندى الجدب الذى لم تألفه ، فهل تستطيبه معى . . أتعرف أين أبوك ؟ ــ « أعرف . . فى بلد بعيد بعيد . . سأكتب له ليرسل إلىّ يقول تعال » كان تعسا حزينا لفراقك . . طلّقها ، حين لم يجد مفرًا ليبتعد وتركها لحياتها . . « قال لى إنه سيرسل لى دراجة . . هل نسى ؟ . » .

تناديك ياصغيرى . . تزمرّ لك بالعربة التى تركبها . . صوتها متواصل عنيداً ملحاً فقم لها . . اذهب فهى لن تصعد ركبها الشيطان . . حتى بلهفتها عليك لا تدقّ بابى . . الصوت يتصاعد حاداً فأتداعى وتهوى على رأسى المطارق . . تنتزعك منى . . تحرسك علىّ ! ــ تعرف أنك لن تذهب إلى غيرى عرفت طريقى لأنك تريد أن تعرفه . . أنا بيتك المنقور كهفاً فى الجبل البعيد الآمن . . تسرع إليه حين تريد ليأويك حضنى . . اركب معها العربة . . تأففت حتما عندما جاءت بها تخوض برك المجارى ، وجيوش البعوض والذباب . . ساءها مجيئك إلى . . فى عودتها ستسخط تقززا وتبصق اشمئزازا . . ثم تنهال عليك باللوم والسباب .

لكنك ستجىء إلىّ . . لن تغيب عنى . . أعرف . . ربما عدت فى المساء . .

فهل على العشاء أنتظرك ؟

القاهرة : محمد كمال محمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جمـال زكى مقـــار

قصـــــة الجثـــــــة

كان النيل يهبط القرى والنجوع كما كان دوما ، وفى تلك الليلة هبطه ثلاثة رجال ينوؤ ون بحمل ثقيل ألقوا به إليه فغاب فى أعماقه ثم انسلوا متدثرين بالليل فلم يرهم أحد .

*

وبعد أيام ثلاثة ، كان سويلم يمشى على ضفته الغربية يداعب أطراف شاربه ، تفور فى عروق رقبته الغليظة دماء الصيف الحارة فيثن كحيوان برح به شوقه الغريزى ، وخين أشرأب ليحلق ببصره أكثر عند خص الصيد توقفت عيناه على صفحة النيل ، فشخص ببصره أكثر ، رأى جثة تتهادى على صفحته ، منتفخة كانت ، وكان السمك الصغير ينهش أطرافها ثم يفر بما قد غنم ، تراجعت أفكار سويلم وقال بلكنته الصعيدية :

ـ يا أولادالفرطوس ! .

الآن عليه أن يسرع قبل أن يرى أحد الجثة ليخبر محمد ضاحى شيخ خفر المخروبة حتى « يشوف له صرفة » .

فى الأغلب سيسحبونها إلى المركز الذى يليهم ليسحبها إلى المركز الذى يليه وهكذا ، ما لم يحتجها أحد العمد فى تأديب خصم له أو تربية فلاح نزق .

*

حين أزاح سويلم الباب الذى صرَّ فى عنف كان محمد ضاحى يتأمل المشبك البلاستيك المعلق فى أذن الثور الفريزين الذى استلمه من الوحدة الزراعية لتحسين سلالة البقر ، كان يفكر فى نساء الفلاحين اللواتى سيطرقن بابه وفكر مرة أخرى فى تحسين سلالة البشر ! وربت رقبة الثور لكنه امتعض حين رأى سويلم يقف كباب الوسية ينتظر حتى يفرغ شيخه من أفكاره . . قال :

ـ خير ؟ .

رد سويلم باقتضاب .

ـ جتيل .

أزاح ضاحى طربوشه للخلف وحك جلد رأسه ثم قال فى لهجة قاطعة :

ـ خد عبيد الكافر صياد الرمم وخليه يخلصنا منه .

وحين هو سويلم أن يستدير لينصرف اقترب منه ضاحى ووضع كفه على كتف سويلم ورفع إصبعه محذراً :

ـ بلا مشاكل ، فهمان ؟

هز سويلم رأسه واستدار خارجاً يهبط التبة التى تقبع فوقها حجرة الدرك والسلاحليك وهو يفكر :

ـ يعنى شيخ غفر عشان يجولّى خد عبيد الكافر ؟ « اسفوخس » !

*

فيما كانت قدما سويلم تتحسس الحجارة البيضاء الكلسية المفضية إلى النهر فاجأته الكلبة الوالدة القابعة تحت شجرة الخروع الكثيفة وقد تشبثت قدماها الأماميتان بالأرض الندية وكشرت عن أنيابها .

رفع عبيد عينيه الكليلتين بحثاً عن ذلك القادم الذى استثار مجيئه الكلبة ، فلم تدرك عيناه أحدا . . ولا التقطت أذناه غير السكون العميق يقطعه نباح الكلبة . تجمد سويلم فى مكانه .

التقط عبيد حصاة من الأرض وقذفها نحو صوت الكلبة فانسحبت إلى الداخل وظلت تزوم ، حين اقترب سويلم فى حرص وهو يلعن أبا هذه الكلبة الشرسة أدرك عبيد جالساً تحت صفصافة على حافة النهر ، يمسك فى يده سكينا صغيرة مدببة الطرف أعملها فى ورل ضخم « يصبره » بينما جلست زوجته ترتق أطراف « الغزل » ، حين رآها سويلم اضطرب قلبه وابتسم لها فى اقتضاب ، فنظرته جيدا . له رقبة ثور وكف كخف الجملُ ووجه صابح مشدود كوجه حصان لم يبدأ بعد السبق ، فتنهدت تنهيدة واهنة ، رفع عبيد عينيه اللتين أوهنهما الزمن وهش طفله الجالس بجواره ، وذبَّ الذباب عن يده ، وأبصر سويلم فغمغم بما يشبه التحية أو اللعنة التى يستنزلها على أجدادهذه المخلوقات التى لا تُرى إلا فى المصائب .

حط سويلم جثته الضخمة على حجر يبرز نصفه من الأرض السوداء المبللة برشح النهر فتململ عبيد فى قرفصائه . توأدار وجهه فأعشت الشمس عينيه الدامعتين ، قال وهو يجففهما فى طرف جلبابه المتسخ ! .

ــ نعم ؟

ــ نعم الله عليك !

لكن عين سويلم تسللت إلى أفخاذ زوجة عبيد فاضطرب ، ورأى أن يدخل فى الموضوع مباشرة . . خفض بصره قليلاً وقال :

ــ خير بإذن الله ؟ .

لكن عبيد العجوز لم تهدأهواجسه ، فأعمل سكينه فى بطن الورل كأنه يعملها فى بطن سويلم فانغرست خطأ فى أحشاء الورل وانبجس سائل أسود ، مسح عبيد مقبض السكين الملوثة بالدماء وببقايا البطانة السوداء الشفافة لبطن هذا الكائن المطروح أمامهما على ظهره ، تحملق عيناه الميتتين فى السماء بلا معنى ، مد سويلم كفه الضخمة وأمسك أحد أقدام الورل ونظر بدهشة . . قال :

ــ له كف بنى آدم . . . سبحان الله ! .

وترك القدم تسقط من كفه . . . قال عبيد :

ــ نصبره ونبيعه فى المعصرة .

حدثه سويلم عن أحمد ابن أخته الذى جاء بتمساح صغير من أعالى النيل . . يقول جلده غال يصنعون منه أحذية للهوانم .

*

أحست امرأة عبيد بعينى الدركى تمسحان فخذيها فى تؤدة ، فتشاغلت عنه وشهوتها تفور فى صدرها الريان ، أمسكت طرف الخيط بأسنانها وأوسعت ما بين فخذيها ، وسمعت زوجها يتكلم عن مولد ستنا مريم الذى انفض من أيام وعن الناس وهم يقطعون نفس الدرب ، قال عبيد إن كفه قد أدماها نقل الناس من الضفة إلى الضفة الأخرى ، ناس مجانين يقطعون مئات الأميال ليصعدوا المائة والأربعين سلما المنحوتة فى صخر جبل الطير حيث تقبع كنيسة ستنا مريم .

سمعت المرأة ما يقولان وهمست فى سرها :

ــ كافر .

تذكرت الأيقونات الحديدية والخواتم الزرقاء المرسوم عليها وجه العذراء الطيب وعرائس الحلاوة والحمص وذبائح النصارى وأضاحيهم حين يهللون لطيف العذراء وهى تطوف ترشم القرابين . . . والنسوة العجائز متحلقات ينشدن مديحة يوسف ، وكيف كانت الفتيات وهى معهن يتسللن ليلاً من الحلقة إلى حيث يرتوين من ماء النبع الفائض بلا حساب .

لكن عينى الكليلتين التقطتا نظرة سويلم المتخابثة فصرخ فى امرأته :

ــ قومى يابنت اعملى شاى ! .

دلفت إلى الخص ، وسمع سويلم صوت الوابور الجاز وهى تعطيه نفساً اثر آخر ، فهدأت شهوته المستنفرة رويداً رويداً وتذكر الجثة ، وقول محمد ضاحى :

ــ بلا مشاكل .

جميعاً لا يريدون مشاكل هذه الأيام وهو يعلم أن تعويم الجثة وسحبها بعيداً خلف قارب عبيد أمر لا مفر منه ، وإلا اضطر إلى اصطحاب النائب ذى الشعرالمسبسب عبرالنيل ليرى الجثة ويقرر وهو يضع منديلاً على أنفه لسويلم التائه فى سحر عظمته أنه قتيل وعليهم أن يسحبوه إلى البر . . . حينها ستنقلب امعاؤه من عنف الرائحة وهو يقلبها للطبيب الشرعى الذى سيكون قد جاء أيضاً .

ولما كانت الجثث بلا معالم فانهم يقيمون الدنيا ويقعدونها دون فائدة ، وفى هذه الأيام لا يكفون جميعاً عن استخدام سويلم ابتداء من حمل صوانى الطعام على رأسه من بيت العمدة وهو يلوك قطعة من اللحم المسروق إلى بيت العمدة بحرى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البلد المعد للضيوف ، وانتهاء بغسل قميص النائب وبنطاله . هنا يتحول سويلم من ملك يختال فى طرقات النجع الموحلة إلى مرمطون ، ومن ممثل للحكومة الشرعية القائمة إلى فلاحة شاطرة تجيد كل الأعمال المنزلية ، ولا يريحه من كل هذا الهوان سوى إراحة مؤخرة النائب على ظهر أتان العمدة ليصحب عبيد ثلاثتهم فى قاربه إلى الضفة الأخرى . . . بعدها يظل سويلم يلهث خلف الأتان حتى يركب النائب القطار مصحوباً بألف لعنة من سويلم الذى يقطع الدرب قافلا ماشياً بجانب الأتان تسول له نفسه الآمرة بالسوء أن يريح مقعدته على ظهرها العريض من قَرْش الفول فى الصباح والمساء ، وحين يدير رأسه شمالاً ويميناً ليأمن عيون الحاقد وابن الحرام ، يظل وجه العمدة الجهم بشاربه المفتول . ويفتر ثغره الذى يطل منه مبسم سيجارته المصنوع من عظمة فخذ ديك . . . فيتراجع سويلم عما عزم ويخزى الشيطان ويربت كفل الأتان .

ــ فيك أحسن من أربعة قناطير لحم . . . آخ ! .

ثم يرفع عقيرته بالغناء :

ده اللى جاب بعد أمك خاب . . . طلع الجبل جاب فقش غراب !

*

لكنه الآن يحمد الله كثيراً ، لأنه ليست هناك مشاكل فى البلد مثل تلك التى حدثت فى انتخابات العمدة الفائتة ، يذكر كيف لوى جريس رقبته فى وجه العمدة ، وحين جاءهم النيل بجيفة متهرئة ، استطاع العمدة أن يمد جريس على مرأى من العيون المذعورة والأبدان المرتجفة . . . والأبواب التى ترد على قاطنيها فى ثورة مكتومة تنتظر أن تمر العاصفة المدمدمة على لسان العمدة وهو يقول :

ــ ده جتيل ياأولاد الـ . . . جتيل . . . ولازم نعرف مين جتله . لكنهم لم يعرفوا . . وصرح الطبيب بدفن الجثة فغرسوها فى الأرض دون شاهد .

*

وعبيد يعرف كل هذا وفكر فيه مراراً وهو يربت بطن قدمه الموحلة المشققة بكف يده التى دبغها الشقاء . . . قال وهو يرتشف رشفة طويلة من كوب الشاى الأسود وقد نسى زوجته التى عادت ترتق الغزل ، وتفقد حرصها فتوسع ما بين فخذيها لسويلم كى يرى القشدة التى لا يراها عبيد بعينيه المقروحتين . . .

ــ خير ؟

ــ كل خير . . . النيل تقيل .

ــ تانى ! .

وأطرق برأسه ، فهو يعرف ما يجب أن يفعله فليست أول ولا آخر المرات ، أدار رأسه فأبصر زوجته المنكفئة على الغزل قال :

ــ قومى يا بنت هاتى السَّلَب .

نطت المرأة وجرت إلى الخص أحضرت الحبل ، ألقت باللفة على الأرض ، نظر عبيد إلى الورل نظرة أسيفة ونفض الذباب الراعى على يده الملوثة وأدخل لفة الحبل حتى استوت على كتفه الأعجف ، ركل الورل بقدمه فطار وسقط عند حافة الماء وقد تدلت أمعاؤه .

ــ هيا بنا .

تلمست قدمه الأرض الطميّة فى حرص ، وضع طرف جلبابه فى فمه وخاض فى الماء ، اهتز القارب الصغير وهما يعتليانه وفرت بضع سميكات كانت تستظل به ، ضرب الماء بمجدافه إلى حيث حومت الغربان .

*

نحو ربع ساعة ، أنفاسه تتلاحق وهو يرقب وجه سويلم الذى استعذب الشمس الحانية فأخذ يغفو ويفيق مع رفع المجداف وهبوطه فى قوة ليضرب الماء ، هكذا حتى حاذى القارب الجثة ، كانت كجثة الورل وبلا رأس .

ألقى ما قد حشا به امعاءه طعاما للسمك ، طوح عبيد بالخيّة والتقط كاحل القدم وربط طرف الحبل إلى القارب ، ومضى ثلاثتهم .

*

كانا من حين لآخر يرفعان أيديهما بالتحية حتى حاذيا جريس الذى كان يقف فى سرواله . . . فتسمر فى مكانه ورنا ببصره ثم ألقى بجريدة النخيل التى فى يده وتوقفت بقرته التى كانت تحرث طرح البحر ، رفع يده بالتحية . . . وقال :

ــ الله يخرب بيت أبوكم !

*

ادفأت الشمس جسد سويلم وحلته ورمت بالوسن فى عينيه فأرخى جسده الهائل فى قاع القارب وأسند رأسه على حافته ، وجعل يتذوق غناء عبيد الذى يشبه العديد .

أبدى بمن خلق السما والفلك والنيران .
خلق القمر والنجم والأكوان
يوسف حلم حلماً . . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعلى وقع ضربات المجداف وعديد عبيد وحلم يوسف أخذت صورة عبيد الذى يذهب ويجىء مع حركة المجذافين تهتز فى عينيى سويلم وغط فى نوم عميق .

*

كانا قد أمضيا ثلاث ساعات حين أفاق سويلم من نومه وتلفت حوله وقال :

ـ هنا . . . فكها .

فك عبيد الخية بيده المرتعشة التى دبغها الشقاء . . . قال سويلم :

ـ نزلنى وروح أنت . . وأنا أجى براحتى .

*

هبط سويلم ومال فى طريقه على بيت قريب له أخذه بعيدا وهمس فى أذنه :

ـ طلع ميِّتينه . . . لا . . . لا . أبقى خليه يروح فى الآخر .

ركب البيجو وطار كالحمامة الى حيث يرفرف قلبه .

*

عاد عبيد والشمس تميل وتختفى نصفها خلف الجبال الموحشة البعيدة التى لا يعرف عنها أحد شيئا سوى أنها مأوى للصوص والعفاريت والمطاريد والحيات والذئاب التى يتصاعد عواؤ ها ساعة السحر . . . مكدوداً كان ، لا تقوى ذراعاه على رفع المجدافين ، يكاد يسقط من فرط التعب فى قاع القارب ، فقد لقى حظاً سيئاً حال أن تركه سويلم ، إذ قطع ثلاثة رجال فى قارب طريقه :

ـ وقف ياولد المحروق . . . وقف .

أمسكوا بتلابيبه ، صفعه أحدهم صفعة أطارت الشرر من عينيه .

ـ أنت رميت المصيبة ده هنا .

بكى كطفل صغير وحلف بالعذراء وبعبد الرحيم القناوى وبكل من يشفعون وقت الشفاعة . . . قلبوه . . . إذ ضرب أحدهم يده فى سيالته والآخر فى صداره وأخرج حافظته الجلد ونهبوها . . وتناولوا الحبل الذى كان يجر به الجثة كى يوثقوه فرفع عقيرته بالبكاء ، وعدهم بصفيحة كلاب بحر . . وصفيحة عسل . . . تركوه يمضى يبكى حاله وماله الذى جمعه وقت أن كان يعبر بالناس إلى العذراء . . وحين ابتعد عنهم سقط فى قاع القارب ، نظر إلى الماء والسماء ومقدمة القارب والمجدافين وكره كل شىء فشق جلبابه ولطم خديه ، مر وقت حتى هدأت غلواؤ ه ، ضرب الماء بعنف حين رأى وجوه الرجال الثلاثة تنعكس على صفحة الماء هازئة منه ، فتفرقت خيالات وجوههم شظايا صغيرة ثم ما تلبث أن تتجمع بين رفع المجداف ونزوله ضاحكة حتى كلت يداه وأوهنها الغيظ . رحلوا فى سلام إلى قرار النيل .

*

تسلل إلى الخص كقط البرارى وعلى ذبالة الضوء المتساقط من مصباح الزيت رآها جالسة تغنى تمشط شعرها « بالفلاية » الخشبية وقد استحمت ، ولدها ملقى فى حجرها . . . فجاءته رائحة سويلم . . اقترب منها ، التقت عيونها لحظة فأفزعتها ، عيناه تنضان بالشك وبالجنون تجمدت الأغنية وماتت على شفتيها ، لفهما صمت رهيب ، اقترب أكثر بهيئته المخيفة وجلبابه المشقوق فتراجعت زحفاً على مقعدتها فسقط الطفل من حجرها ، مال فوقها شمها فاتسعت حدقتا عينيه فى الضوء الشحيح وبدتا مرعبتين ، أخرج سكينه ونظر إلى عنقها . . . لمعت أمامه صورة حجر ثقيل وماء نيل سوف يبتعلها فى صمت .

القاهرة : جمال زكى مقار

قصة

الصندوق

كنت ميتا داخل الصندوق ، وأختى صباح تَعُدُّ إلى مائة . كان صوتها يأتى من بعيد ، كأنها لا تجلس فوق الغطاء . نظرت من الثقب . دخل الهواء بارداً فى عينى .

دائماً تتعمد الإبطاء فى العد ، لكنى لن أصرخ ، ولن أرفع الغطاء مثلما كانت تفعل كل مرة تموت فيها ، فما أن أعد إلى عشرة حتى تصرخ وتدق غطاء الصندوق بيدها ، كانت تخاف ، أمى أيضا خافت ، قالت لأبى : لا تسافر . قالت : الناس تموت فى الغربة . ضربها أبى بكفه الغليظة على فمها ، شهقت ، ولم تنطق . قال لها : اعملى شاى . وقفت تنظر إلى الماء يغلى . كانت دموعها تنزل بدون بكاء .

أمسكت يدها . لم ترنى ، ولم تنتبه للدم يسيل من فمها . أخذنى أبى فى حضنه ، قال : أنت رجل ! .

قال : إنه سيسافر فى مركب ، وانه سيذهب إلى بلاد بعيدة عبر البحر . وانه سيأتى بفلوس كثيرة .

نظرت من الثقب الجانبى ، رأيت السور القصير ، وباب السلم ، لم أر صباح ، ولا السماء ، ولم أسمع أى صوت . يوم ألقى خالى عبد الستار الصندوق فوق السطح ، لم يكن به ثقب . كان مفروشاً من الداخل بصاج لامع وفوقه كرتون أبيض ، أما الغطاء فكان مكتوباً عليه اسم أبى بالأصداف الفضية رأتنى أمى أنزع الكرتون وأعمل منه طائرات ومراكب شراعية . بكت ، رأيت دموعها تنزل على خديها ، وكان خالى عبد الستار يقف خلفها طويلاً عريضاً يحجب كل شىء خلفه ، حملنى بذراعيه من بطنى ورمانى على الأرض جرح راسى وسال الدم .

قال إنه سيذبحنى لو رآنى ألعب فى الصندوق مرة أخرى .

أمسكت سكيناً ورحت أحفر فى الصندوق ثقباً ، حتى يمكننى رؤية خالى عبد الستار من بعيد فأهرب . وضعت أذنى على الثقب . لم يعد صباح يأتى ، فقط الهواء البارد يدخل فى أذنى . لم تكن صباح قد أكملت المائة ، ومع ذلك لا أسمع صوتها . هذه البنت لن تغلبنى . تنتظر أن أرفع الغطاء لتصيح فى وجهى : غلبتك ، وتدعى أنها مازالت فى خمسين . هل تغلب بنت رجلاً .

أستطيع أن أبقى فى الصندوق حتى العدد ألف . قال الرجل الذى أتى حاملاً حقيبة سوداء ، إن أبى ظل فى الصندوق أياماً كثيرة ، بعد أن أخرجوه من الثلاجة . قال إن زملاء أبى على المركب جمعوا له النقود ليرجع مصر فى أقرب وقت ، وإن الشركة لم تدفع ملياً ، وأخرج من الحقيبة جاكت من الجلد ، قال إنه ملك أبى ، وأعطى نقوداً لأمى ، وكانت هى لا تنظر إلى الرجل ، ولا إلى النقود . أخذت الجاكت وراحت تشمه . شده خالى عبد الستار من يدها وألقاه فى الدولاب . عادت أمى تبكى وتنظر فى حجرها . وقف خالى عبد الستار أمامها بعد أن ارتدى الجاكت وأغلق السوستة . سال أمى : على مقاسى ؟ .

لم ترد عليه ، وكل مرة . ترانى أنا وصباح نلعب فى

الصنـدوق تبكى ولا تقـول أى شىء ، وكنت أنـا وصبـاح لا نعرف لماذا تبكى كل مرة ؟ .

كانت العتمة داخل الصندوق تسدّ عينى ، وصباح لا تعدّ . هل نامت صباح أم أنها نزلت وتركتنى ميتا نـاديت . قلت : عدى ياصباح . لم ترد ، ولم أرفع الغطاء . سمعت خبطاً قوياً فوق السطح ، كأن وحشاً يـدب بقدميـه . ارتفع الغـطاء ، وغمرنى الضوء . كنت ممدداً ووجه خالى عبد الستار بشاربيه يطل على .

دمياط : أحمد زغلول الشيطى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المجلس الأعلى للثقافة
الأمانات الفنية

مسابقة يوسف السباعى للنقد القصصى

تعلن لجنة القصة عن فتح باب التقدم لهذه المسابقة بقسميها :

١ ـ المقالة النقدية : ولها سبع جوائز قيمة كل منها ١٠٠ جنيه ولا تقل عن ١٠ صفحات فولسكاب .

٢ ـ الدراسة النقدية : ولها ثلاث جوائز قيمة كل منها ٤٠٠ جنيه ولا تقل عن سبعين صفحة فولسكاب .

يقدم الانتاج من ٤ نسخ مكتوبة على الألة الكاتبة إلى الأمانات الفنية للمجلس الأعلى للثقافة ٩ شارع حسن صبرى بالزمالك فى موعد أقصاه آخر فبراير ١٩٨٩ .

ويمكن الاطلاع على التفاصيل بالعنوان المذكور .

قصـــــة الوظيـــــــــفة

أسند الدراجة على سور حديقة الحيوان . مدَّ بصره فى اتجاه ميدان الجيزة استند على الصندوق الخشبى المثبّت فوق الدراجة . تسلى بِعَدِّ علب الزبادى وزجاجات اللبن داخل الصندوق . استدار فى مواجهة سور الحديقة . رأى زرافتين متجاورتين . مشى بعينيه مع امتداد رقبتيهما . ابتسم .

أحسَّ بها تقبل نحوه . اقتربتْ وهى تتلفت حواليها . ابتسم وهو يمد يده مصافحاً . احتفظ بكفها فى كفه . سحبت كفها برفق . قالت :

ـ خايفة حد يشوفنا .

ـ وأنا خفت أحسن ما تجيش .

قالها وعيناه على الزغب الخفيف فوق شفتيها .

سألته :

ـ يعنى ضرورى نتقابل فى الشارع ؟

ـ نفسى توافقى وندخل الجنينة ولو مرة واحدة ! .

ـ لأ ياخويا كله الا الجنينة .

سارا بمحاذاة السور . أمسك كفها بيد وبالأخرى أمسك الدراجة . ينظر فى وجهها ثم ينظر فى اتجاه الطريق . رآها أجمل وقد مشطت شعرها وغسلت وجهها وارتدت فستانا للخروج ، تذكّر أنه رآه على ابنة مخدومتها . تركزت نظراته على وجهها . قالت باسمة :

ـ بص للسكة .

قال :

ـ وشك بيريحنى .

سألته ضاحكة :

ـ انت ناوى تربى شنبك ؟

قال ضاحكا :

ـ يبقى عجبك ! .

سألته :

ـ امتى تدخل الجيش ؟ .

قال :

ـ أنا أخدت الإعدادية من ثلاث سنين . . يمكن يطلبونى بعد سنة أو سنتين .

سحبت كفها واستدارت ، فأصبح وجهها فى مواجهة ميدان الجيزة . قالت :

ـ لازم أمشى . . الهانم والأولاد قربوا يرجعوا البيت .

ترك كفها مرغما . قال :

ـ لازم أشوفك . . عندى كلام كثير .

لوَّحت له مبتسمة وهى تبتعد .

*

قال أبوه مبتسما :

ـ مبروك . . ح ترتاح من طلوع السلالم واللف على البيوت بطلبات الزباين .

استفسر من أبيه . واصل الأب :

ـ الوزارة وافقت على تعيينك . . فراز أرشيف بالإعدادية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سأل أباه :

ـ يعنى مش ح روح دكان البقالة ؟

قال الأب :

ـ تروح تصفى حسابك . . وبعد يومين تستلم الشغل فى الوزارة .

شعر بالرضا عن أبيه وعن نفسه . وفكر فى الأيام القادمة ، وأنه سينعم بنومة الفجر مثل أبيه موظف الأرشيف بالوزارة ، وأنه سيخرج من المنزل مع الشروق مثل أبيه ، ولن يخرج مع أذان الفجر ، ولن يركب أول أتوبيس من العباسية إلى الجيزة ، وسيعود إلى المنزل عصرا ، ولن يضطر أن يعمل إلى ما بعد أذان العشاء .

*

فتحت له الباب الخارجى للمصعد . المؤدى إلى سلم الخدم . ناولها الراتب اليومى من علبة الزهدى . همس :

ـ عاوز أشوفك .

لم ترد . أضاف :

ـ عندى كلام كثير .

قالت :

ـ ادخل . . أنا لوحدى فى الشقة .

تردد . شدَّته إلى الداخل وهى تمسح السلم الحديدى بعينيها . وقف حائراً خجولاً .

قالت :

ـ أنا لوحدى . . نقدر نتكلم براحتنا .

لاحظت صمته واحمرار خديه . أضافت وهى تبتسم :

ـ مش بتقول عندك كلام كثير ؟

هزَّ رأسه . . لاحظت قطرات العرق على جبهته وخديه ورقبته . أحضرت كرسياً وأشارت له بالجلوس . فتحت الثلاجة وملأت كوبا بعصير الفواكه . ناولته الكوب وهى تشجعه على الشرب .

نظر إليها ثم استجاب لرغبتها . سألته :

ـ اتكلم بقى . . عاوز تقول لى إيه ؟

نظر إليها ولم يتكلم . حاول الحديث فتلعثم . كررت سؤالها . طال الصمت . قالت :

ـ لازم طلبوك للجيش ؟

قال :

ـ النهارده آخر يوم لىَّ فى الدكان .

استفسرت بعينين مفتوحتين على اتساعهما . أضاف :

ـ الوزارة وافقت على تعيينى .

قالت مسرعة :

ـ مبروك .

توقفت بنفس السرعة . قالت :

ـ يعنى لَاح تْشوفنى ولاح شُوفك ؟

قال :

ـ مش ممكن . . لازم أشوفك وتشوفينى . . إنت عارفه . . أنا وانت . . . أنا وانت . . .

ردّد الكلمتين كثيرا . ذكرته بكوب عصير الفواكة الممتلىء . انتهى منه دفعة واحدة .

ـ يعنى مش ح تنسانى ؟

أحسَّ بها أحلى من أى وقت . وأن بوجهها وجسدها فتنة وإثارة لم يلحظهما من قبل . اقترب منها وأمسك كفيها . قال :

ـ مش ممكن أنساكى . . مش مكن . . مش ممكن . . .

ابتسمت . التصق بها أكثر . أحسَّ أنفاسها تلسعه . . أحسَّ أنه أمام بنت أخرى غير التى عرفها منذ عامين ، وأنه يراها لأول مرة . ضمها إلى صدره . أبعدته عنها برفق وهى تبتسم . تشجع أكثر . ضمها إليه ثانية . لم تقاوم ولم تمانع . ألصق شفتيه بشفتيها . أبعدته عنها . قالت بغضب :

ـ دا اللى انت عاوزنى علشانه ؟!

طأطأ رأسه خجلا . فكَّر فى كلمات يعتذر بها . لم يتكلم . كررت السؤال بعينين ثابتتين حادتين . اعتذر لها . قالت :

ـ دا اللى انت عاوزنى علشانه ؟؟

قال :

ـ احنا لازم نتجوز .

قالت بحدة :

ـ مش لو شفنا بعض مرة ثانية ؟

قال بسرعة :

ـ لازم نشوف بعض .

قالت :

ـ قلبى بيقول لى إننا مش ح نشوف بعض تانى .

قال :

ـ وأنا قلبى بيقول لى إننا لازم نشوف بعض .

زمَّت شفتيها بقوة . تأمل وجهها وتمنى أن تصدقه . أحسَّ بعينيها تخترقان جلده . أحسَّ برعشة خوف مفاجئة ، وأحسَّ بها بنتا ثالثة غير التى عرفها منذ عامين ، وغير التى عرفها منذ لحظات وهو يشتهيها . وأحسَّ أن حبه لها يولد الآن ، من عينيها العاتبتين الغاضبتين . قال :

ـ ح نتجوز . . لازم نتجوز .

لم ترد . أضاف :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ صدقينى . . لازم تصدقينى .

أطبقت شفتيها أكثر . رأى فى عينيها الغائمتين عدم التصديق . تحولت رعشة الخوف إلى رعب وهو يسمع نحيبها ويرى دموعها . فتح الباب وتساند على السلم الحديدى .

*

ركب الدراجة . فكّر فى أجرته المتبقية لدى صاحب محل البقالة . فكر فى الوظيفة الجديدة ، وأنه سينعم بنومة الفجر حتى الشروق . ملأ عينيه بشوارع الجيزة التى سيهجرها ، وفكر فى البنت التى تؤجج صدره . همس لنفسه « متى أعود وأراها ؟ » .

استدعى وجهها . ركز حوَاسّه فى جميع التفاصيل والملامح ، حتى الزغب الخفيف فوق شفتيها . ذعر والملامح تبهت والتفاصيل تختفى ، ولم تبق إلا حدة العينين .

القاهرة : طلعت رضوان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصـــــة

ســـقوط الـدبـــــة

كـانت قاعـدة النافـذة المطلة عـلى الشارع أعـلى من قمة رأسى . . جـررت كرسياً من الصـالـة لأقف عليه بجـوار النـافـذة . لم أكن اسـتـطيـع رؤيـة أمى عنـدمـا تعـود ، إلا هكذا . . .

وأنا أجرّ الكـرسى نحو النـافذة ، كـانت سـاعـة الصـالـة تـدق . . . توقفت لأثنى أصبعـاً فى يدىّ لكـل دقة . عنـدما سكتتْ الساعة كانت يدى التى آكل بها قد انثنتْ فيها ثـلاثة أصابع ، واليد الأخرى أصابعها كلها مطبقة . . .

ثمانى دقات . . !

غابت أمى الليلة أكثر مما اعتادت كل ليلة . عدتُ أجـرّ الكرسى حتى اقتربتُ من حافة النافذة . . كان الشارع الكبير الذى يطل علَيه بيتنا ، كالعادة ، مزدحماً بالناس والعربات . رحت أتسلى برؤية الرجال الجالسين فى قهوة المـواردى أمام البيت . أحدهم كان يمسك شاربه بأصابعه كلما مرّت أمامه امرأة . .

يتهامسون ويضحكون . .

لابد أن شيئاً ما فى مشية النساء يضحكهم . لكننى لا أعرف حكاية النساء مع شوارب الرجال ، وساءلت نفسى : [لماذا لا يمسك الرجال شواربهم إذا مرّ بهم رجل ؟ .] .

لما مللت تكرار المنـاظر ، انتبهت إلى أن مصبـاح الصالـة مضاء . هل تركته أمى منيراً منذ خروجها عصراً حتى لا تتركنى فى الظلام ؟ أكانت تعرف أنها ستغيب الليلة أكثر مما اعتادت ، وأنا وحدى فى الشقة مع الدبّة ؟ .

لا أصحاب لى غيرهـا . وهى معى من أيام أبى . . آخـر ما اشتراه لى قبل سفره . قال وهو يخرجها من علبتها :

ــ آدى يا نسمة الدبدوبة بتاعتك .

أمى قالتْ وقتها إن اسمها [باندا] لكننى فضلّت الاسم الذى اختاره أبى . . من يومها أصبحت [دبدوبة] صحبتى . . كل لعبى معها . . ليس لى أصحاب سواها . لم تستطع أمى أن تشترى لى العروسة التى رأيناها ــ ذات يوم ــ جالسة فى فاترينة محل اللعب ، وقالت إن الحاجات كلها غالية نار . . والفلوس التى تركها أبى قبل سفره لا تكفى لشراء العروسة . بالكاد على قد الأكل . . تكفينا حتى يعود . شعرتُ وهى تجرّنى من أمام الفاترينة أنى أغضبتها . .

أوحشنى أبى ! .

نسيت ملامحه ، كأنها تتوارى منى خلف دخان يزداد على مرّ الأيام . . لا أذكر الآن إلا لون وجهه الأسمر وشعره الأكرت .

سألت عن صورته التى كانت معلقة فى الصالة . أجابت : [أخدها معاه . .] كنت أعلم أنها تكذب لأن الصورة بقيت مدة طويلة بعد سفره ، معلقة على جدار الصالة . بالأمارة تحت الساعة . . لم أقل لها ذلك وسكت . .

سكت لأن البنت التى تقول لأمها [كذابة] تدخل النار . .

فقط تضايقت من الكذبة ، ومن تركها لى كثيراً فى الأيام الأخيرة وحدى فى الشقة مع الدبّة . . . حتى الدبّة تضايقت منها وتضايقت منى . . لم أعد أتركها تنام بجوارى على السرير . . فى حضنى . . أو أحكى لها حكاياتى الحلوة . . عن فسح العصر أيام أبى ، على كورنيش النيل ، مع الذرة المشوية وقراطيس الترمس ، وهو يمسك بيده الكبيرة كفّى الصغيرة . وأنا أسير بجواره . وعندما أتعب من المشى يحملنى فوق كتفه فأقول له : [شى ياحصان . . .] ونضحك سويا . . . ضحكته حلوة حلوة . . .

أوحشنى أبى . .

عندما سألتها يوما ، متى سيعود . . ؟ قالت إنه ركب طيارة وسافر إلى بلاد بعيدة ليحضر لنا من هناك حاجات كثيرة حلوة . . تلفزيون ملون . . ثلاجة . . ريكوردر ومروحة بأباجورة . . وعربية نتفسح بها . . سألتها :

ــ وعروسة ؟

داعبت بيدها رأسى [آه طبعا . . وعريس كمان . .]

وابتسمت . . لأول مرة أراها تبتسم منذ سافر أبى . لابد أن أشياء كثيرة تضايقها وتجعل ملامحها هكذا دائماً . . . حادة . . وحديثها لى فى أكثر الأحيان مملوء بالوعيد ، خصوصاً عندما يأتى ذلك الرجل ويزعق من أسفل بئر السلم

ــ بوستة . . .

تجرى أمى نحوه فى لهفة وهى تقفل أزرار طوق ثوبها ، هابطة درجات السلم . . . ثم تعود بلا خطابات ، وغمامة معتمة من الضيق فى وجهها ، فتغلق باب الشقة علينا والحزن فى عينيها . .

× ــ × ــ ×

فجأة وقفت سيارة عند ناصية الطريق بعيداً عن قهوة الموارد . هبطت منها أمها . . انقطعت الخواطر التى تدور فى الرأس الصغير . . كانت القهوة قد شطّبت ونورها الكهربائى الوهاج قد انطفأ ، وكاد الشارع أمام البيت يلفّه الظلام تماماً لولا فانوس الحكومة على ناصية وهو يؤدى وظيفته بأمانة ، لكنه يلهث بضوئه الخابى من كثرة ما تراكم عليه من تراب .

رأت أمها ، فى الضوء ، تترنح كأنها مريضة ، وهى تغادر السيارة . . نزلت عن المقعد ، ووقفت خلف باب الشقة تنتظرها . . تسارعت دقات القلب الصغير حين دار المفتاح فى قفل الباب ثم . . انفتح . كان الظلام يسود بئر السلم لكنها لاحظت فى وهج سيجارة مشتعلة بين شفتيها ، شعرها المنكوش . . اندفعت ، فى لهفة ، تحوط ساقيها بذراعيها الصغيرتين فرفعتها إلى صدرها وقبّلتها . .

فى الفم رائحة غريبة ! .

قالت أمها إنها دواء ، ومع ذلك استكانت فى حضنها . . راحت تمسك يدها وتلفّها حول رقبتها . تلعب فى أصابعها السمراء ذات الأظافر المطلية بلون عنّابى وتقبّل كفها ثم . . تقبّل كل إصبع من أصابعها على حدة . . من مدة طويلة لم تفعل هذا ، ومن مدة طويلة لم تحتضنها أمها مثلما كانت تفعل أيام أبيها . لكنها أنزلتها إلى الأرض فوأدت طقوس الحب الملهوف . . قالت :

ــ مش وقته يا نسمة . .

ثم أشعلت عوداً من الثقاب راحت تحركه فى النافذة حتى انطفأ . . هبط رجل من السيارة الواقفة عند ناصية الطريق ، متجها إلى البيت . . وأمها تنتظر فى قلق ، خلف باب الشقة الموارب . . . عندما دخل الرجل الشقة قالت أمها بصوت هامس مبحوح : سهالخير . . [كأنما لم تأت فى سيارته . .] . لم يكن بشوارب كرجال قهوة الموارد ولكنه سمين . . وفى يده الضخمة المغطاة بالشعر سلسلة ذهبية يداعبها بأصابعه الغليظة ، وفى يده الأخرى علبة ملفوفة بورق مفضض مربوط بشريط أحمر لامع . . . علبة حلوانى لابد . . وضعها على طرف مائدة الصالة وهو يرمق الصغيرة بطرف عينه . . ثم وضع يده على رأسها مداعباً شعرها الأسود الناعم . . نظرت فى عينيه نظرة لم تطل أكثر من ومضة ، لا لخوفها من جسده الهائل الضخم أو يده السميكة كيد الغوريلا ، ولكن لأن فى عينيه شيئاً متحركاً غير مطمئن يدور فى أرجاء الشقة . . .

نظرة خائنة لا تستقر كنظرة اللصوص فى مسلسلات التلفزيون . تختلط الخيانة فيها بالسخرية . سخرية السمين كقطعة الدهن فى شوربة باردة . . همست أمها فى آذانها تطمئنها حين رأتها تنكمش فى ركن الصالة . . قال الهمس : إنه الطبيب الذى أعطاها الدواء الذى شمّت رائحته فى فمها . انساب الهمس فى الأذن الصغيرة مطمئنا ومعقولا . . وليس فيه رائحة الكذب ، فهى بعينيها شاهدت أمها تترنح من المرض حين غادرت السيارة . وهى بأنفها شمّت رائحة الدواء المنبعثة من فمها حين قبّلتها . . لابد إذن أنْ يكون الرجل طبيباً . . وبالرغم من اطمئنانها تمنّت أن ينحشر صوت أمها فى صدرها إلى الأبد ويكف تماما عن أنْ يتحول إلى همس .

إلى ذلك الهمس الذى تحس أن أمها به أصبحت غريبة عليها . . امرأة أخرى غير أمها . ملامحها مختلفة . . لا تعرفها ولم ترها فى حياتها ، فأمّها الحقيقية ، أمها التى تعرفها ، صوتها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عال صلا تخشى أحداً . . صوت ليس فيه هذا الهمس الخافت الخائف الذليل ، كأنها عملت [عَمْلة] . . لكن الأمنية ما لبثت أن توارت حين فتحت لها علبة الحلوى فبان قرص كبير من البسبوسة مرصع باللوز والجوز . . ثم أجلستها إلى مائدة صغيرة فى المطبخ لتأكل منها ما شاءت بشرط ألا تطل من شباك المطبخ فقاعدته منخفضة . سبق أن سقط منه عيّل من أولاد الجيران فمات على الفور فى المنور الضيق الغارق أسفله فى ظلام دامس كأنه بئر لا قرار لها . . والشرط الثانى ــ وهو الأهم ــ ألا تغادر المطبخ إلا إذا نادتها لأن الطبيب سيعالجها فى حجرة النوم .

جلست تلتهم البسبوسة فى صمت وتلعق أصابعها بعد كل قضمة . . لذيذة البسبوسة . . ألذّ شىء ذاقته فى حياتها . . وبين حين وآخر تمد رقبتها من بعيد ، فى حذر ، لترمق ظلام بئر المنور . .

فجأة تناهى إلى سمعها صوت ملّة السرير الخشبية تزيّق . . . وأنين خافت ثم . . صرخة مكتومة أعقبتها ضحكة خشنة و . . . همسات فيها حشرجة الرجل . .

وحين أعلنت ساعة الصالة انتصاف الليل غادر الرجل الشقة . . نادتها أمها . كانت ما تزال راقدة على السرير ، تغطى جسمها بملاءة السرير المكرمشة ، ومن طرف الملاءة يبين كتفاها العاريان . .

ــ نامى يا حبيبتى . . أنت سهرت الليلة كتير .

قالتها بذات الهمس الذى تمّنت أن ينحشر فى صدر أمها لكيلا تحس أنها أصبحت امرأة أخرى غريبة . . لا تعرفها . . . الهمس الخافت الخائف الذليل وكأنها عملت عَمْلة . . أبداً . . ليست أمها بهذا الضعف ، ولا صوتها بهذه النبرة المتوسلة الواهنة . . .

ــ نامى يا حبيبتى . .

للمرة الثانية لم تجبها . . فقط نظرت فى عينيها تبحث عن أمها التى تعرفها . . لم يكن فى العينين ذلك الدفء الذى كانت تحسه عندما تدعوها للنوم ، ولا حتى ذلك الوعيد عندما ترفض أو تتراخى ــ كما تفعل الآن ــ فى تنفيذ ما تطلبه منها . . لم يكن فى العينين سوى نظرة خاوية . . فارغة تماما من كل معنى . . غريبة لا تعرفها ومع ذلك تهرب النظرة منها بلا سبب واضح . . نظرة زجاجية خرساء لا تقول شيئاً كنظرة دبّتها [الدبدوبة] التى سئمتْها وتضايقت منها . . هل انسخطتْ المرأة الراقدة أمامها عارية على السرير ، هل انسخطتْ دبّة . . ؟!

عندما أطفأت أمها نور حجرة النوم اندسّت هى فى فراشها لتنام مثلها . . دفنتْ رأسها تحت المخدة ، لكنها راحت تفكر فى أشياء كثيرة . . فى طعم البسبوسة وفُسَح العصارى أيام أبيها مع الذرة المشوية وقراطيس الترمس . . والطيارة . . وبلاد بعيدة سافر إليها أبوها ليشترى الحاجات الحلوة الكثيرة التى يحلمون بها .

وعندما سمعت شخير أمها تسللت من الفراش . . . بحثت عن دبّتها فوجدتها فى مكانها المعتاد . وفى ضوء اللمبة السهارى راحت تنظر فى العينين الزجاجيتين كأنما تبحث فيهما عن شىء ، ثم ألقتْ بها فى بئر المنور . .

وفى الصباح ، عندما كانت أمّها تنظف البيت ، سألتها عن الدّبة . . ردت فى اقتضاب :

ــ الدبّة وقعت فى البير . . . ،،،

القاهرة : كمال مرسى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصـــــة

الهبـــوط إلى روكســـى

الزمان غير الزمان ، والعمر يطارد العمر ، ودقات القلب تناقصت فى حين تكثرت تعاريق الجبهة وغارت العينان فى محجريهما .

السنوات ملت التكرار فتثاقلت خطواتها مخلفة فيه إحساساً متضاعفاً بالرتابة والآلية . .

وجوه المترددين على منطقة روكسى تغيرت . . أجيال جديدة من المشترين والمتسكعين ظهرت حول واجهات المتاجر وبامتداد الأرصفة المزدحمة ، لاحظ أن أغلبهم من المراهقين كما ارتفع مستوى الجمال بين فتيات المنطقة بمرور الأيام . . أعمدة الشارع شاخت وتساقط طلاء البواكى العتيقة الداكنة فى شارع إبراهيم اللقانى . . كركرة الشيشة أصابها السأم هى الأخرى ، ومياهها المتغيرة كل ليلة تكفى لملء خزان سد صغير . . تساءل مئات المرات :

أين تذهب حلقات الدخان الهائلة المتجمعة فى سقف المقهى على مر الأيام ؟ . . تملكه حلم غريب ، يوماً قد تتحول سحب الدخان المتجمعة مطراً مدراراً يغرق المقهى برواده . .

الشىء الذى لم يخذله بتبدل الأيام هو ذكرياته المقيمة بين جوانحه . . بقايا الماضى الجميل لا يجاريها إلا وجوه رفاق المقهى المنتظمين ، سمار الزمان المجدب . هو يعد أصغرهم فلم يتخط الأربعين بعد مع أن الشيب ملأ فوديه والشارب الكث الذى يميزه . . أما السمار فمنهم من تعدى منتصف العقد الخامس وأصغرهم تخطى الأربعين . .

تعودوا صمته الغالب كما تعود ثرثرتهم الصاخبة . . لا يغير مجلسه فى الصيف أو الشتاء فيقبع فى الركن الأيمن الداخلى للمقهى مقابل النصبة ، احترموا اختياره فأفسحوا له المكان وحفظوه له كما اعتاد مجلسهم فى صفين متقابلين بجواره فى القاعة العليا للمقهى والتى يفصلها عن القاعة السفلى ثلاث درجات سلم رخامية وعمودان رخاميان عملاقان . . المقهى القديم ما زال يحتفظ ببهائه الغابر رغم فعل الزمن ، كما يحتفظ بنفس عماله ، يحرص أصحابه على تجديد طلائه كل عامين كما يحرصون على زيادة أسعار المشروبات فى صعود لا يتوقف . .

على الجدران الواسعة النظيفة للمقهى رصت عشرات الشيش من طرز مختلفة أعطاها ضوء النيون القوى بهاء خاصا . . يلفت إليه أنظار مئات السائرين فى منطقة روكسى ، فيقفون مشدوهين أمام واجهة المقهى الخارجية التى رانتها بضع عشرات من النماذج المختلفة للشيش المصنوعة من النحاس والزجاج الملون فى بهاء أخاذ . .

فى الصيف ينقل السمار مجلسهم إلى الرصيف الخارجى فى الأمسيات الحارة ، وبعد أن تغلق المتاجر أبوابها ، فى حين يفضل هو ألا يبرح مجلسه فى الركن العلوى برغم موجة العرق التى يسبح فيها بتأثير سحب الدخان الساخن المتصاعد مع كركرة الشيش وحرارة موقد النصبة الذى يحول المقهى إلى مناخ جهنمى لا تلطفه حركة المراوح المثبتة فى جميع جوانب المقهى

عيناه لا تتحولان عادة عن نار موقد النصبة المقابل أو حركة

السائرين على الرصيف فى الشارع بمواكيه الإنجليزية العتيقة وكأنها مظلات عملاقة تحمى المتاجر المجاورة . . أسماؤها ترسبت فى لا وعيه فلم يعد ينتبه لقراءة الأسماء .

فى الزمن العقيم شاهد فى لقطة تلفزيونية ما جعله يزداد اكتئاباً من فعل التغيير القاسى : شاهد عازف الكمان العظيم يعزف وراء مطربة ناشئة ربع موهوبة . . تذكر تخته القديم الذى صاحب أم كلثوم عدة عقود من السنوات ، وبذهابها ذهبوا وتشتتوا كما تشتت العشاق المتحلقون حول أغانيها ولياليها . . تفرقوا أو نضبوا أو ماتوا .

تتقلص مساحات البهجة فى حياتنا ! .

الحركة الدائبة فى منطقة روكسى وأمام المقهى تعرفه على أحوال المجتمع . . مودات الملابس وتسريحات الشعر وأشكال الحلى . . وأحوال العشق بين المحبين وظروف الناس الاقتصادية . . الأغانى الرائجة والأصوات الجديدة . . سعر الدولار الصاعد بلا استحياء . . طرز السيارات الرائجة . . الحدود الطبقية التى كان يرسمها للمترددين على روكسى لم تعد بنفس الوضوح القديم . . كان رواده من الطبقة المتوسطة ، أما الطبقة الشعبية فتتجه للعتبة والموسكى فى حين تتسوق الطبقة الارستقراطية من المهندسين والشواربى ومتاجر الفنادق الكبرى . . الآن أصبحت منطقة روكسى تجتذب جموعاً من الطبقات الأخرى وتداخلت الحدود ، كما لاحظ تردد السياح اليهود على المنطقة بكثرة ، يفاصلون كثيراً قبل أن يشتروا ، يحس بلحم الوطن يقتطع من كل سلعة يشترونها . .

اليوم ظهرت فى حياته من جديد . . قبل هبوطها المفاجىء إلى أيامه كانت حياته تنقسم قسمين . . فى النهار يقضى يومه بالمدرسة الثانوية الشهيرة بالعباسية حيث يعمل مدرساً أول للفلسفة ، أما النصف المسائى من اليوم فيخصصه للمقهى ، يأتى إليه فى الثامنة ويغادره فى الحادية عشرة ، لا يغير مشروباته : خمسة أحجار من الشيشة وفنجانان من القهوة كل ليلة تزيد صيفاً زجاجة مثلجة . . حتى البقشيش الذى ينفحه للنادل لا يتغير . .

السمار كانوا قد تعودوا صمته الطويل . . عندما يستبد الحماس بأحدهم يستنجد بنظراته عله يكسب تأييداً صامتاً لرأيه . . هو الحاضر الغائب بينهم . . جميعهم تزوجوا إلا هو ، وانتظامهم فى الحضور اليومى إلى المقهى مساء كل يوم . زاده اقتناعاً بفضيلة العزوبية . .

لماذا يضيقون بنسائهم وأى متعة يجدونها بين أنفاس الشيشة ؟ . . يعرف أخبار العالم من أحاديثهم ، امتنع منذ سنوات عن قراءة الصحف ، كفاه ما يحيط به من أكاذيب . . يكتفى بقراءة الكتب وسماع المذياع . . أما أخبار الحكم والمعارضة . . للصوص والطفيليين . . الحرب والسلام ، فتغطيها أحاديث السمار . . اليوم تظهر فى حياته من جديد . .

كم عام مضى ؟ . . كم حلم مات فى صدره ؟ . . وكم أمنية ابتلعها جوف الأيام ؟ . . فى الأيام الخوالى كان أكثر أصدقائه أناقة ، وأشدهم حيوية وإقبالاً على الحياة ، أما ابتسامته فكانت تميزه على الدوام . .

ها هى ذى تنقر قشرة حياته آتية من الغيب بلا موعد .

الساعة كانت تشير إلى التاسعة وعشر دقائق بالضبط .

عينه ــ لحظتها ــ تركزت فى موقد النصبة المزمجر مع حركة العامل الذى كان يحمى الفحم ، وأذنه كانت تبتلع صوت « ثومة » فى نهاية إرسال محطتها اليومى من مقهى المذياع العتيق « بينما كان مبسم الشيشة قابعاً فى هدوء بين شفتيه . . أما حديث السمار بجواره فكان منصباً على أحوال الغلاء الطاحن . . خواطره كانت مسافرة بعيدا إلى ضفاف نهر عرضه الخيال وعمقه العمر الضائع ممتطية كلمات الأغنية « أنا وأنت اللى كنا زمان أحب اثنين وأحن اثنين » . .

النادل مال عليه بلا مقدمات ، أعاده من سفره البعيد ، وأفاقه من غيبوبته . .

ــ الهانم فى السيارة تسأل عنك . .

بتقطيبته المندهشة حفز النادل لإعادة العبارة . .

أى هانم تلك ، وقد خلت حياته من النساء منذ عهد بعيد ، منذ أن غادرته فتاته ، وأغلق قلبه بعدها لائذاً بذكريات الماضى العذب ، وبعدها تكلست عواطفه التى كانت يوما تكفى لنصف فتيات المدينة على الأقل .

ــ نعم ، سألت عنك بالاسم .

انتبه السمار إلى الحديث الجانبى ، فتوقفوا عن الاسترسال ، وأصبح بؤرة نظراتهم التى تحاصره . . نظراتهم الفضولية الصامتة والتى لم تقل اندهاشاً عن اندهاشه .

ــ أى امرأة تلك التى تقتحم حياته ؟ .

العشرون خطوة التى خطاها من مكانه حتى مدخل المقهى مرت كأنها دهر ، وذاكرته تقلب عدة أسماء محتملة . . دقات قلبه تصاعدت على غير عادته ، فأى امرأة تهتم به ؟ .

أسفل الرصيف اصطفت ثلاث سيارات . . العربتان القريبتان كانتا خاليتين ، أما العربة الثالثة الواقفة مقابل معرض ايديال فكانت زرقاء لامعة . . لمح شبح امرأة فى المقعد

الأمامى . . اقترب من نافذتها الأمامية وانحنى مطلا برأسه إلى الداخل . . لم يتبين وجه المرأة المحجبة للحظته ، ولكن عندما استدارت بوجهها تجاهه شعر بمباغتة أرعشته . . العينان الخضراوان الرائعتان . . الوجه الأبيض الصغير المشرب بالحمرة ، الحاجبان المرسومان بخط ثقيل [تذكر أن شعر حاجبيها ضعيف للغاية كأنها بلا حاجبين فكانت تلجأ لرسمها بالقلم] . . أما الابتسامة الوضاءة التى كانت تميز ثغرها وتأسر الناظرين فكانت غائبة تحت الشفتين المطبقتين المرسومتين بطلاء خفيف تكشفان عن بقايا جرح قديم عندما تبتسم . . هى « هالة » امرأته التى سلبته إياها الأيام الغادرة ! . . أتعودين الآن ؟ .

ـ ازيك يامحى ! .

الحجاب الأسود كان يخفى شعرها البنى تماما فى مهابة يزيد من لمعة وجهها الصافى ، ويعلو التاير الأزرق اللامع الموشى بالترتر من الكتفين .

ـ أهلا ياهالة . .

ياللأم ! . نبراتك الحنونة المغرية . . نظراتك الوهانة المتدفقة الغادرة ، ولكن لمعة عينيها انطفأت ، حاول أن يستعيد بذاكرته بريقهما القديم لثوان . . أربع . . خمس . . تسع سنوات مرت . . لا يهم الزمان ، بل ماذا يعنى الزمان بالتحديد ؟ . . وهل حساب تلك السنين بالأيام والساعات والثوانى كفيل أن يعطيه عمر الجدب والعقم فى حياته ، أم أن زمنه الداخلى هو الأصدق ؟ . أجب ياأستاذ الفلسفة . . كل يوم من هذه السنين صحراء من الوحدة والألم والتساؤ ل . . زمان البعاد بحسبانه تعدى التسعين أو المائة عام . . ياسيدنا نوح كيف احتملت وطأة السنين ، وكيف انكرتك أجيال وأجيال حتى غدوت فى النهاية آثراً من آثار الماضى . . جبلاً أشمَّ أو بحراً غامضاً ، وأين ذهب أحباؤك يانوح ؟ الأقرباء صاروا أجداثا تغلغلت فيها جذور الصبار واستندت إليها سوق النخيل الشاهقة ، هل استعاد نوح سيرته القديمة ؟ . . ها هى صبارة أخرى تنمو على ترابك وخلايا جسدك . . أنت يا من عشت العمر على ذكرياتى معك . . أى ريح ألقت بك على شاطىء اليوم ؟ بعد أن هجر الخلق جميعهم الشاطىء المقفر .

ـ تفضل ، ادخل .

دخل ، جلس ، الكلمات ماتت على شفتيه ، والمسافة بينهما أضحت صحراء لا آخر لها . . كانت عالمه ، وفوق هواء القاهرة رسما أكبر خارطة لمستقبلهما معا ، استهانا بمنطق الفقر وصمدا . . صمدا إلى أبعد نقطة ممكنة ، ولكنها انعطفت فى منتصف الطريق واختارت الرحيل مع آخر . .

هل يلومها أم يلوم نفسه أم يلوم كل الظروف التى اجتمعت ضدهما ؟ .

ـ أوحشتنى يامحى ! .

ضجيج عشرات السيارات المارقة حولهما أضحت نقطة متنائية فى الكون الممتد ، ويوماً ما سيصل الإنسان إلى سر الكائنات الأخرى فى الكون غيره ، يا ترى هل سيشبهوننا أم سيكونون مجرد أجسام ضوئية غير متعينة ؟ . . السنوات السبع التى تفصل عمرينا وحدت وجودنا . . ذات يوم قابلها فى حفل المنطقة التعليمية ، حديثة التخرج كانت ، مدرسة العلوم حينذاك ، لم يحتج الأمر مجهوداً كبيراً للتفاهم ، فقد جذبتها قوة شخصيته وثقته بنفسه ، أما هى فكانت شيئاً مختلفاً تماماً عمَّنْ مررن فى حياته من نساء .

تندر عليها عندما أخبرته ذات يوم أنها تعودت الاستحمام فى اليوم الواحد ثلاث مرات ، فكانت لا تطيق الحر أو الرطوبة . . يعابثها بقوله إنها ستذوب يوماً تحت مياه الدش . . ينظر إلى يديها الصغيرتين فوق المقعد ، محاولاً مراجعة تفاصيل هندامه كأنها فاجأته عاريا . . عندما تركته بلا مقدمات بعد عام ونصف من بدايتهما . . كتبت له رسالة مطولة عن مبرراتها فى الارتباط بجارها المقاول الثرى ، وعن مسئوليتها عن الأسرة الفقيرة ، هل ضحت بسعادتها أم ضحت به من أجل الحياة المريحة ؟ .

نعم ، كانت كبيرة الأبناء والمسئولة عن أسرة مكونة من أربعة أفراد بعد رحيل والدها ، حاولا معا ، حاولا أن يبدءا الطريق بإمكاناتهما المتواضعة ، الحب ذلل لهما كل الصعاب ، وصوّر لهما مجتمع الانفتاح مجرد واقع تمثيلى سيهزمانه بحبهما ، ولكن رحلة البحث عن شقة أفاقتهما من النشوة ، وأعادتهما إلى أرض الواقع ، كان يرفض إعطاء الدروس الخصوصية ، ورأى فى انفلات معايير المجتمع مسألة طارئة لا تلبث أن تنقشع باعتدال الميزان ، ولكن مع مضى سنوات الانتفاح توحشت القطط السمان وصارت نموراً تفترس كل ما يقابلها . . وأصبح الرهان على عدل الحكومة أو صحوة الأخلاق أو ثورة المستضعفين ترهات تداعت مع الأيام . .

وعدوهم بالرخاء القادم ، فانتظروا مع من انتظر بلا جدوى . .

وتراجع عن فكرة زواجهما فى منزل أسرته ، فما ذنب أخَويه المقبلين على الزواج أيضا . . تشبثا بالآمال الموعودة فى الغد ،

فى ثروة فجائية أو حل سحرى تتفتق عنه الأذهان ، وظلت عينا أمها طعنات صامتة تناشدها الرحمة بالصغار . . فما عسى أن يفعل معاش الزوج الراحل الزهيد فى أيام السُعار لأسرتها ؟ أما مرتب ابنتها فيكاد ينبت له أجنحة ويطير بعد زواجها منه . . ها هى ذى أمامه تهبط إليه من المجهول ، لتلقى بأكبر صخرة فى بحيرته ، فماذا تريد وأى ريح ألقت بها ؟ .

دون أن يسألها أجابت عن تساؤلاته الداخلية :

ــ طُلقت منذ أربعة أشهر . .

كان يتتبع أخبارها فى البداية بشغف واهتمام ، الجرح الساخن وشى بطعنتها ، ولكن الأيام كفيلة بردم التصدعات المهلكة وتعود مع الأيام أن يبتلع أسئلة الآخرين ونظراتهم الفضولية عنها ، وما لبث أن كف عن تتبع أخبارها وإن كانت آثار اليسار ظهرت على أسرتها وتركت الحى الشعبى القديم إلى حى أرقى . .

ــ عشت معه سبع سنوات ، تحمل عقمى طويلاً ، وفى النهاية تغلب نداء الحياة على وفائه ، فخيرنى قبل أن يتزوج من جديد . .

ــ عقمك ؟

ــ نعم ، فلا أمل فى أمومتى . .

وصل ذات يوم إلى سر الكهف القديم ، وأهميته فى العصر الحجرى ، دخله بإرادته خوفاً من السباع الضارية ، وتعود الظلام والجوع واكتفى بعشب الكهف وماء المطر فى رى عطشه ، هل كان لكل رجل بدائى امرأة أم أن النسبة كانت مختلة ؟ ولم يعد يشعر بالأمان إلا فى كهفه ، وأصبح يتهيب تخطى عتبته مخافة الوحوش الكواسر وضوء الشمس . .

ــ وأنت ، ما أخبارك ؟

أصبحت لا أفهم لغتك . . بعض الأسئلة ليس لها إجابات ، بل لا يصح أن تطرح أصلا . . زوج الأحذية فى المتجر المقابل بلغ الخمسين جنيها ، وسفينة الفضاء السوفيتية أوشكت على الوصول إلى أورانوس بعد سنوات قلائل وبعد مضى عشر سنوات من إطلاقها فى رحلة بدون عودة ، والمكسيك أسقطت جميع الديون المستحقة عليها بلا دفع ، ووصل ثمن الشقة فى أبراج روكسى إلى مائة ألف دولار . . نساء العالم اختزلتهم فيك ، ووجهك لو ظهر أيام قدماء المصريين لا تخذوه إلها مقدسا . وكنت دائماً أخاطبك فى خطاباتى بلقب « ياصغيرتى » . . . وأول مرة خرجنا فيها وجلسنا فى المقهى الفاخر اضطررت لأخذ جنيهين منك لتكملة الحساب لأن النادل لم يكن معه فكة . . عيناك تلتهمانى ، وأنفاسك الحارة القديمة تلهب وجهى ، والعائدون من التسوق يمرون بنا يتلصصون علينا ، ووجهك الناضر شحب ، وان كان البروش الذى تزينين به صدرك يفوق مرتبى من المدرسة طيلة عامين ، والسيارة التى حلمنا بها دانت لك ، ، هجرك للتدريس مع زواجك وافق حياة الرغد ، أما أفلاطون وأرسطو وديكارت فلا يزالون آباء الفلسفة . .

ــ أعرف أنك لم تتزوج بعد !

هل ثمة علاقة بين المقاولة والفلسفة ، . . . . ولم لا ؟ .

أحدهم قال مرة إن فى مصر ١٢٠ ألف مليونير استناداً إلى إذاعة لندن . .

ــ محبى ، معى ما يؤمن ضد الفقر والأيام ، ومازلت أحبك ، أتوافق أن نبدأ من جديد ؟ .

عندما رفضتُ الاعارة اتهمنى الزملاء بالغباء والجنون ، والمقهى الذى كنتُ أنتظم فى الحضور إليه مساء كل خميس فى الزمان القديم ، أصبحتُ منذ رحيلك أتردد عليه كل مساء ، وكان هاتفك الأسبوعى يوم حضورى إلى المقهى موعداً حبيباً أترقبه حتى لو كنت رأيتك قبلها مباشرة . . وطيلة السنوات السبع منذ زواجك كف الهاتف عن الرنين . . تخيلتُ مرة أنك ستتحدثين لتسمعى صوتى ثم تنهين المكالمة ولكنه تبدد مع كر الأيام . .

حسبتُ أنك أنجبت « أورطة » من الأطفال ، وخفتُ أن أقابلك يوما فى روكسى وأنت تتسوقين فأرى الزمان قد ترك بصماته عليك كما فعل معى . .

ــ هل توافق أن أعود إليك ؟ . .

وشقيقاى تزوجاً وسافراً ، يوم زواجهما لم أتقدم بأجازة وذهبت للمدرسة كعادتى كل صباح . . ووالداى رحلا فى عامين متتاليين ، والشقة الخالية إلا منى أصبحت تخيفنى ، ويوم رآك زميل لى مع زوجك فى المطار مسافرين إلى أوروبا أخبرنى فى خبث مراقباً رد الفعل على وجهى . .

عندما عاد إلى المقهى وسط نظرات الرفاق النهمة أحس بأن الزمان قد توقف . . النادل كان يراقبه باشفاق ، وأم كلثوم كانت تشدو بآخر مقطع فى أغنيتها عند العاشرة تماماً ، القطرات الخفيفة لهذا الليل الشتوى كانت مستمرة فى رفق ، وابتسامتها المشرقة اختفت وإن كانت عيناها الخضروان ما زالتا تحتفظان بسحرهما القديم ، وآخر عبارة نطقت بها قبل رحيلها كانت تعودت معه عند توديعه . .

أكمل عباراتها كما تعود فى الزمان القديم والدموع الحارة التى

كانت تغطى وجهها لم تفلح فى إذابة جدران مشاعره المتكلسة ، والسنوات السبع التى انقضت منذ فراقهما أصبحت ضباباً كثيفاً ضلل السفينة العائدة ، استرد اتزانه وأمر النادل بوضع حجر جديد ، وعندما كان يسحب نفساً عميقاً كانت الأنوار مطفأة تماماً على واجهات متاجر الرصيف المقابل ، وسيارتها اختفت من روكسى تماما ,

القاهرة : محسن خضر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمـود سـليمان

قصـــــة

مرثيـة إلى كـل رجـل

عنـدما مـرقت السيارة محملة بـالرجـال يهتفـون أنـاشيـد مقدسة ، تذكرتك . . . كنت أنت الأخ الأكبر والأب ، وكنت أنا طفلاً صغيراً لا أدرى فى دنياى غير اللهو واللعب وكنت كثير الترحال والشرود ، كثير الغياب والعزلة .

عندما كنت أجلس بينكم ــ أنت وأصدقائك ــ لم أكن أفهم شيئاً من حديثكم .

وعندما جاء أناس كثيرون ذات ليلة ــ قبل الفجر بقليل ــ وكسروا باب منزلنا عنوة تملكنى الهلع والرعب . كانت وجوههم عابسة ، حركاتهم وحشية ، ضخام الجثة ، يرتدون ملابس عادية ، بعضهم كان يرتدى جلباباً يعلوه بالطو سميك . قلبوا المنزل رأساً على عقب ، أخرجوا بعض الورق المطبوع ، ورق كثير ثم كبَّلوك بأيديهم الغليظة وساقوك أمامهم يضربونك ويسبونك فى همجية .

هـرولت أنا إلى أمّـك . . ارتميت فى أحضانها . . ظللت أبكى حتى الصباح . . ليلتها خاصم النوم جفوننا جميعا ــ أنا وأمك وأخواتك ــ .

فى الصبـاح سـألت أمـك . . من هـؤلاء ؟ . ولمـاذا أخذوك ؟ . جذبتنى إليهـا باكيـة ولم ترد . وغبت عنـا أيامـاً كثيـرة . عادت أمـك ــ ذات مرة ــ من الخـارج . . أبلغتنى سلامك . . قالت لى إنك بكيت علىَّ كثيراً عندما حكت لك عن بكائى ــ ليلتها ــ حتى الصباح ، وتمنيت لو أننى بين يديك فتقبلنى كثيرا . بكيت أنا أيضا . . ناشدتها أن أراك . . لكنها ربتت على كتفى تطمئننى أنك ستعود قريباً .

عنـدمـا أتيت المنـزل ، كنت شـاحب الـوجـه ، منهـزم التقـاسيم ، هزيـل القـد . لمـا رأيتنى تلقفتنى . . رفعتنى إلى أحضانك تضمنى بقوة ، تحملق فىَّ بشدة حتى اندفعت الدموع من عيون الجميع . لما عاودت سؤالى لك . . من أخذوك ؟ ولمـاذا ؟ ، مسحت بيدك عـلى شعرى . . قلت لى إننى الآن صغير ، عندما أصير رجلاً سأعرف كل شىء .

صارت أمنيتى لحظة أن أصبح رجلا ، فكنت دائم السؤال لأمك . . متى سأصبح رجلاً ؟

وتكررت الزيارات لنا ــ قبل الفجر بقليل ــ كثيراً . فى كل مرة كان جسـدى يصاب بـالرعشـة . ثم أصبنا بـاللا مبـالاة أو التعود أو التبلد . بل كنت أدافع عنك فى كل مرة . أذكر تلك المرة التى ركلت فيها بعضهم بساقى الصغيرة ، فدفعنى أحدهم بقوة ، سقطت على الأرض ، نظرت إليك ، لمحت فى عينيك الدمعة تفر وتحاول منعها ، ولمحت العجز مرتسماً على قسمات وجهك .

ذات ليلة أخذوك . . طال غيابك كثيراً . . من بعدهـا لم تعد . . كنا جميعاً نزورك . . لم تكن هناك وحدك . . كان معك أصدقاؤك الذين أعرفهم وآخرون أجهلهم .

فى كل مرة كنت تضرب بيديك ــ فى رفق ــ على كتفى . . تبتسم قـائلاً . . أنت الأمـل . . أنت أملنا جميعـاً ، فيبتسم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأصدقاء مستبشرين . وماتت أمك والحزن يعتصر قلبها . . قبل أن تلفظ آخر نفس لها نطقت باسمك بينما كانت دمعتان تنحدران على وجنتيها . صرت أنت الأب والأم رغم غيابك عنا .

ومرت السنون وراء السنين سريعة . . الحال هو الحال . . لم يتغير ولم يتبدل سوى من شعيرات بيضاء بدأت تزحف على مقدمة رأسك وإحساس بالرجولة يتسلل إلى

بدأت أعى كل الأمور حولى شيئاً فشيئاً . . تذكرت سؤالى لأمك وكلامك لى : « إن الرجولة ليس لها عمر معين . بل هى تظهر فى ميقاتها قد يعيش إنسان مائة عام ولا يبلغ حد الرجولة » ــ هكذا كنت تقول لى دوماً .

ساعتها فطنت أنك كنت تُعدّنى لشىء ما منذ الصغر . . رحت أراجع كل شىء . . كلماتك لى ، أقاصيصك عن عذاب الانسان وانتهاك آدميته ، ما أذكره من حديثك ومناقشاتك مع أصدقائك .

وتزوج أخواتك تباعاً . . تركننى وحيداً . . نصحنى الجميع أن أنتبه إلى مستقبلى وألا أكرِّر خطأ من سبقنى . فى البداية لم أكن أصغى لهذا العبث ، ثم رحت أفكر فيه ــ مع مرور الأيام ــ بشىء من العقل والواقعية كما قالوا لى .

بعدها بدأت زياراتى لك تتباعد ، وبدأ إحساسى بالرجولة يتلاشى شيئاً فشيئاً كما ظهر . عندما كنت أتذكرك وأذهب إلى زيارتك ــ كنت ــ أحاول ــ جاهداً ــ أن أتحاشى نظراتك المعاتبة . . قبلها لم أكن أعرف كيف يتمنى الانسان أن تنشق الأرض وتبتلعه . كنت أتقوقع وأذوب وأتداخل داخلى ، ويكاد لحمى يتساقط خجلاً . ذبلت فرحة اللقاء بيننا . . نصف عمرى مستعد أن أتنازل عنه مقابل ارتماءة بين أحضانك ، أو نظرة عطف تمنحها لى كما كنت تفعل أيام زمان . كنت أخرج من عندك ألعن الدنيا . . ألعن هذا العقل الذى فكرَّت ووزنت به الأمور . أكابد إحساسا باحتقار النفس يتغلغل داخلى .

وتزوجت . . تزوجت قبلك أنت الأخ الأكبر والأب والأم . . دخلت عالماً جديداً لم أكن أعرفه . . الزوجة ، الأولاد ، العمل ، المسئوليات ، لقمة العيش . . وندرت زياراتى لك أو انقطعت .

ذات يوم كئيب أرسلوا لنا لرؤيتك ــ كنت فى المستشفى . . لم أستطع النظر إلى وجهك طويلاً . . كنت جثة هامدة لاحراك ولا كلام . أجهشت فى البكاء وخرجت تسيطر على رغبة جارفة فى اعتزال كل شىء حتى الحياة . .

عندما مرقت السيارة محملة بالرجال يهتفون أناشيد مقدسة تذكرتك ، كنت أبكى ولمحت طفلاً صغيراً يضحك . . سألته ما يضحكك ؟ ، . قال هؤلاء ــ مشيراً إلى السيارة ــ سألته هل تعرفهم ؟ . . قال ــ مجانين أليس كذلك ؟ .

أجبته . . أنت الآن صغير ، عندما تكبر ربما تصير رجلاً فتعى كلّ الأشياء . . وانطلقت .

المنيا : محمود محمد على سليمان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصـــة

ظـــل المحـــارب

ذهبت إليه أنا وزوجتى فلم نجده ، قالوا إنه ليس هناك أحد بهذا الاسم ، وعلينا أن نستوضح العنوان ، اعتذرنا لهم ورجعنا إلى جارتنا ثانية ، طرقنا بابها ، فأطلت من وراء فتحة مسيجة بزهور حديدية نابتة ، تدلت من بين أوراقها المدببة عناقيد ثمار منقوشة بالكتابات والزخارف البارزة ، ألقت بظلالها المتقاطعة فوق ملامح وجهها المصبوغ بالدهون والألوان الفاقعة ، قالت إنها لا تصدق ما حدث ، وراحت تطيب خاطر زوجتى مقسمة أن ندخل ، وأسرعت تفتح لنا مرحبة ، نظرت إلى زوجتى علّها تمانع ، فأومأت لى بالموافقة وتحركت داخلة ، فدخلت أنا الآخر .

كانت شقة جارتنا مفتوحة النوافذ ، والضوء يغمر حوائطها المزينة بصور مخجلة ، فتحاشيت النظر وتشاغلت بإزالة التراب العالق بحذائى وأطراف ملابسى ، لاحظت زوجتى تأففى ، فغمزت لى بعينها ، وراحت تظهر استحسانها بالشقة ضاحكة ، أيدت كلام زوجتى معلنا دهشتى لدقة العمل ، ولأن بالمدينة ــ للآن ــ من يجيد حرفته .

انتشت جارتنا وتمايلت ، فتطاير ثوبها ، وبانت أسفل الضوء ثنيات لحمها .

قالت : عله يقتنع .

وراحت تكرر اعتذارها مؤكدة أنها لم تكن تقصد ، وأنها بعد اختفائنا اكتشفت ذلك ، فخافت ألا ندرك الأمر ، وتمنت لو تلحق بنا .

قالت : أخشى الظنون .

ودست أصابعها داخل صدرها وأخرجت ورقة قدمتها لنا ، فتناولتها بحرص ورحت أقرأها ، كان العنوان مكتوباً بخط واضح ، فدعوت لها .

قالت : يارجل .

وأعلنت أنها تقوم بالواجب فقط ، وأن الطابق الأرضى بالنسبة له مكان مناسب ، وعليه أن يفهم ذلك ، ولا داعى للمكابرة ، سألتها إن كانت ــ هى الأخرى ــ قد فكرت فى الحصول على شقته ، هزت رأسها بخجل ونفت ذلك .

قالت : فلينزل هو

ونصحتنا ألا نهمل الأمر فغيرنا يحاول ، وعلينا ألا نضيع الفرصة ، فلابد ــ فى النهاية ــ أن يوافق ، شكرنا لها حسن ضيافتها وسألناها إن كانت ترغب فى أن نحمل له أية رسالة ، تراقصت من الفرح وأحمر جلدها

قالت : المهم أن يوافق .

وأضافت ــ سأنتظر .

كانت جارتنا قد حكت لنا فى أول لقاء ، ونحن نقف فى الطابق الأرضى عند مدخل باب شقتنا ، أن الحرب أكلت نصفه ، وأن الألم لأجله ــ يوجع قلبها ، واشتكت لنا من جهازه الذى لا يكف عن الصلصلة أثناء تحركه ، وتساءلت عن السبب الذى يدعو واحدة للاقتران به .

قالت : أنت تفهم مقصدى .

وتراجعت إلى شقتها ضاحكة ، فبادلناها الضحك . كانت شمس نهارنا تنحدر مكللة بالسحب ، فآثرنا الالتفاف حول المكان علّنا نصل قبل غروبها ، سألنا عليه ، فأشاروا لنا على البيت ، وعرضوا المساعدة ، شكرناهم وانطلقنا لنلحقه .

كان البيت من طابق واحد تآكلت جدرانه من الرطوبة وتساقطت ، فخشينا من الدخول ونادينا عليه ، لكن أحداً لم يرد ، تقدمنا ناحية الباب بحذر وطرقناه فانفتح ، كانت مفصلاته السائبة تئن من القدم فتمنيت لو أعود ، لكن زوجتى أصرت على أن نقابله ، ومدت رأسها مستطلعة ، فمددت رأسى أنا الآخر ، كان ظله الممتد بطول الحائط والمحاط بالأشعة الغاربة ، يلأمس فى تأرجحه أطراف بدلته المعلقة .

القاهرة : وفيق الفرماوى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إبراهيم فتحى عبد العليم

قصة الأوزة

* إيمان :

أوشكت الشمس على المغيب . لون السماء الرمادى يغب النظر . مع ذلك فان بصرى حديد . كالصقر أرى الأوز الأبيض الجميل خارجاً من البحيرة ينفض عن نفسه الماء . أعداد لا حصر لها تتتابع صاعدة الشط ، من جميع الأعمار ، منظر جميل . تظن دلال أنها ستكسر أنفى . لم يحدث أن أحداهن كسرت أنفى من قبل .

كان الصيد هوايتى منذ الصغر . قالوا إننى أميل إلى الخشونة وأننى فى الحقيقة صبى ولست فتاة ولكنى أعرف أنهم يغارون من قدرتى على الإمساك بالبندقية والتنشين بدقة . تلك الدقة التى يعجز عنها أمهر الرماة الرجال . وماذا إذا كنت أكثر رجولة من أى ذكر ؟ ليس ذلك عيباً على أى حال . . فثمة من الرجال من يميل إلى إناث على شاكلتى .

أحب أن يكون شعرى قصيراً لأنى أضيق به . ولأنه أيضا خشن ومجعد ومنطفىء . عند الكوافير لا أشعر بالمتعة التى تتحدث عنها الفتيات . البنطلون مريح ويجعلنى أكثر حرية فى الحركة . والماكياج ممل للغاية عند وضعه . مازلت صغيرة وأحب اللعب . أما الصيد فهو مصدر متعتى .

اخترت هذا المكان لأنى أعرفه . اصطدت فيه كثيراً من قبل . غير أننى ــ للحق ــ لم أتوغل أبداً إلى هذا المدى . أردت أن أخيف دلال لكى تنسحب . لا أنكر أننى أخشى أن تهزمنى . . فأنا طبعاً ماهرة فى الرمى . . غير أن للصدفة دوراً فى نجاحى فى غالب الأحيان . ودلال تتحدث بثقة كبيرة فماذا وراءها ؟ لم أنازلها من قبل . تحدتنى أمام صديقاتنا على العودة بعدد أكبر من الأوز .

وحتى الآن لم ترهب الأمر على الرغم من قرب توغل الليل . تلك الرقيقة الجميلة ذات الوجه الأبيض البيضاوى والشعر الأسود الطويل . . والجسد المتناسق المشدود .

لكنها تمادت فى التحدى : وانضمت إليها صديقاتنا فى حماس يراهن على أننى سأنهزم أمامها حتما أعرف أنهن لا يحببن غرورى الوقح . . ولكنى أحبه . .

سأنشن على هذه الأوزة المنتفخة . تبدو زعيمتهم إذ تنظر إليهم وتصيح ثم تلتفت وتسير فى المقدمة . ما أحلى أن تقتل قائد السرب لكى يتناثر أفراده فزعين فى كل اتجاه .

طاخ . ثم تسقط الأوزة ويتفرق الجميع . انحنيت عليها لكى آخذها معى . لا أسمع أصوات طلقات رصاص أخرى . مؤكد أن دلال لم تنجح فى اصطياد نملة . ضحكت منتصرة وأنا أمد يدى .

رأيت فجأة خيالين على الأرض أمامى . . ثم يدان صلبتان كالحديد تقبضان على ذراعى من الخلف وبعد ذلك سحبت سحباً بقسوة لم تتح لى الفرصة لكى أرفع رأسى لأرى وجهيهما .

ولم أستطع أن أصرخ . .

دخلاً بى كوخاً حقيراً . بالداخل جلس عدد من الرجال غريبى الملابس . قذفاً بى على الأرض . وشعرت بيد ثقيلة تميل رأسى من الخلف على طبلية لها سن ناعم أسندا زورى عليه . سمعت صوتاً يتمتم : باسم الله ما شاء الله . . اللهم صبرك على ما بلاك . .

لم أفهم لم يريدون ذبحى . ورأيت خيال سكين ضخم يكاد يهوى على رقبتى . . وراحة يد خشنة تمسح قفاى عدة مرات . .

طاخ ! وانغلقت عيناى تماما . كأن مخى أصبح صفحة بيضاء . ولكنى مازلت أفكر . أسمع أن أعضاء الجسم تظل حية بعد الوفاة لفترات تختلف . . فهل مازال مخى حياً بعد سقوط رأسى .

فتحت عينى لأجد أننى مازلت على وضعى السابق . صوت احتجاج حامل السكين وبعض الرجال . أيد ثقيلة تمسك بى وتحملنى لأقف . رحت أتحسس رقبتى فى دهشة .

هل حقاً لم أمت ؟ .

رأيتهم يسحبون دلال داخلين بسرعة من باب الكوخ كما فعلوا معى . أجلسوها بخشونة على ركبتيها وأمالوارأسها . الرقيقة ! هل تتحمل ؟ .

أزاح حامل السكين شعرها الطويل بيده اليسرى عن قفاها وراح يمسحه براحةيده . وهويبسمل ويحوقل .

أغمضت عينى لكيلا أرى رأس الجميلة دلال يتدحرج .
وهوى السكين الكبير على الرأس الرقيق .
الوداع يا دلال . . الوداع يا حبيبتى . .

* دلال :

يقولون عنى دائماً الجميلة الرقيقة . وهذا لقب يسعدنى . وان كنت أضيق به أحياناً . . فهذا مرادف للضعف البشرى بالمفهوم الذكرى . جسدى متناسق ورشيق ووجهى دائرى وبيضاوى وملامحى دقيقة وشعرى طويل وأسود . . كأنثى أتيه فرحاً بنفسى . . أما كإنسان . .

تثير إيمان حنقى كلما أتت فعلاً جريئاً . لست أنكر أنها تذكرنى بضعفى . . حين كنت صغيرة تمنيت أن أكون ولداً مثيراً للاهتمام . ثم كبت رغبتى تلبية لأوامر أبى وأمى . . اللذين أخذا يذكرانى بأن ثمة سلوكاً خاصاً بالإناث . .

تمنيت كثيراً أن أستعمل بندقية الصيد . أعرف طريقة عملها من مشاهدة أخى وهو يصطاد بها الطيور . غير أننى لم أحملها قط على كتفى .

حين تحدثت إيمان ــ بغرور وقح ــ أمام صديقاتنا عن قدرتها على الصيد ، تحديتها علنا أمام الجميع . قلت إنها تبالغ مستغلة جهل الجميع بفنون الصيد . كنت أريد إغاظتها . تحمست صديقاتنا ووقفن فى صفى . زاد حماسى فادعيت أننى سأهزمها فى الصيد لو أتيحت لى الفرصة .

تورطت فى كذبة ولم أستطع التراجع .

ثم قلت إننى واهمة فى خوفى . . فلا يحتاج استخدام البندقية إلى شجاعة خارقة ولا إلى موهبة خاصة فى التصويب . يكفى أن أسند مؤخرتها إلى كتفى الأيمن ثم أُنشن من سن نملة الدبانة كما يفعل أخى ، وبعد ذلك أصوب . . وستصطاد الرصاصة حتما .

ليس من الضرورى أن تتعارض الرقة مع مهارة التصويب . .

سرقت بندقية أخى أثناء غيابه فى رحلة . وودعتنى صديقاتنا مع دعاء بالتوفيق . أمسكت إيمان ببندقيتها فى يدها من وسطها وسارت بسهولة . أما أنا فرفعتها بيدى فوق كتفى كالشومة كما رأيت أخى يفعل إمعاناً فى إظهار الشجاعة .

صحبتنى إلى مكان مجهول . انقضى أكثر من نصف النهار ونحن نسير حتى أصابنى الإعياء كانت تريدنى أن أستسلم وأبين هزيمتى .

شعرت بخوف شديد لا أرى مصدره . غير أننى تماسكت بقوة .

عند بحيرة صغيرة لا أدرى من أين ظهرت قالت إننا سنفترق وتذهب كل فى اتجاه ثم نتلاقى بعد ساعة . .

سرت فى طريقى وأنا لا أرى أوزا . قاربت الشمس على الاختفاء ولم أفعل شيئاً . وشعرت بقلق شديد . ثم سمعت طلقة مفاجئة فى الناحية الأخرى وصرخة إيمان المنتصرة تمزق السكون . أصابتنى غيرة . . فحثثت نفسى على السير .

رحت أبحث بعينى عن أى أثر لطيور . أخيراً وقع بصرى على طيور الأوز خارجة من البحيرة تنفض نفسها من الماء . نشنت وأطلقت رصاصتى المرعبة ، فسقطت أوزة جريحة وفرت الباقيات . أطلقت صرخة فرح وانحنيت لالتقاط الأوزة .

غير أن يدين حديديتين قبضتا على ذراعى . شعرت بألم شديد ثم بجسدى كله يجر إلى المجهول سقطت البندقية فى مكان ما . وراحت قدماى تحتكان بالأرض بعد ضياع حذائى .
ماذا يحدث ؟ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رأيت كوخاً قذراً أقاد إليه . بداخله رجال غريبو الأشكال والملابس . . الشوارب فوق الشفاه الغليظة . . والحواجب سميكة . . وغطاء الرأس من القماش الأبيض عليه شال بلون بنى . . وفى الأيدى عصى غليظة . .

أرقدونى على الأرض على ركبتى أمام طبلية غريبة لها سن خشبى أملس . ويد خشنة تميل رأسى بعنف فوقها . ثمة يد تزيح شعرى إلى الجانب . وراحة يد تمسح قفاى عدة مرات . وصوت قبيح يردد :

باسم اللهما شاء الله . . اللهم صبرك على ما بلاك ! .
ما هذا الذى يحدث ؟ .

خيال غريب ليد ترفع سلاحاً أمام عينى . على بصيص ضوء لمبة جاز صغيرة أرى ما يشبه السكين فى اليد . . هل سيذبحوننى ؟ .

ولكن ماذا فعلت لهم ؟ .

خبطة مفزعة كأنها طلق نارى . هل قبضوا على إيمان ؟ . تراجعت اليد حاملة السكين إلى مكان مجهول . مازال رأسى على الطبلية أخشى تحريكه . ثم ماذا ؟ .

أيد غليظة تمسك بى من ذراعى لتنهضنى . لا أقوى على الوقوف . إيمان بجانبى تضحك . وثمة امرأة أخرى يلقون بها على الطبلية مكانى . وترتفع اليد حاملة السكين بعد البسملة . ولكن توقفها صرخة فجائية لامرأة ملتاعة . ويحتج حامل السكين .

ما هذا الذى يحدث ؟

* سائقة السيارة فيات ١٣٢ :

فى الطريق فوجئت بشاب يرتدى جلباباً بنياً يقف فى منتصف الشارع تماماً ويشير إلى للوقوف . قال لى إنه يريد أن يذهب إلى أهله على بعد كيلو مترين . وقلت لها بعدأن ركب إننى أريد بعض الماء لسيارتى فرحب .

راح يقص على شيئاً عن قبيلته . كان يشكو من تخلفها عن العصر . ومن أنهم يعيشون على الخرافات وقال إنه الشاب الوحيد فى القبيلة الذى استطاع أن يخترق الحصار ويخرج للعمل فى المدينة . وقبلوا ذلك بعد أن رأوه يحضر إليهم أشياء لم يسمعوا بها مثل راديو بحجارة . قال انه يعمل فى المدينة فى كل شىء : فى حمل الحقائب فى نقل الطوب فى البناء فى الخدمة فى البيوت فى المقاهى . . أى شىء . . ثم يعود إليهم محملاً بالهدايا . ولولا ذلك ما قبلوا أن يختلط بالأغراب .

وأرانى ساعة رخيصة كان قد اشتراها وقال إن أهله سيعجبون بها . وجدت الأمر مسلياًفرحت أستحثه على المزيد . فجأة فرقع اطار السيارة الخلفى . صاح :

لحسن الحظ أن قبيلتى قريبة جداً . .

خرجت لكى أغير الإطار فانتظرنى لكى يعطينى الماء . فتحت شنطة السيارة الخلفية . . وأثناء بحثى عن الإطار « الاستبن » فوجئت بيدين حديديتين تقبضان على ذراعى وتسحبانى بعيداً . شعرت كأننى أطير . وسمعت احتجاجات « برجل » غير أنهما لم يعيراه التفاتا .

أدخلانى كوخاً به بعض الرجال الأقوياء وفتاتان واقفتان . ثم أركعانى فجأة على ركبتى . وأخفضت يد ثقيلة رأسى من الخلف لكى توضع حنجرتى على سن خشبى أملس . ارتكزت بزورى على السن وأنا فى دهشة . وصوت أجش يتمتم ألفاظاً لم أعها جيداً . ضوء خافت جداً ينبعث من لمبة صغيرة . السكون يملأ المكان . . ثمة خيالات كثيرة من حولى لم أفهمها . .

صوت برجل محتجاً :

ــ ماذا تفعلون ؟

وصوت يرد بخشونة :

ــ لا شأن لك . . لقد قتلت أوزة !

لكنه انهضنى وصاح :

ــ لم تقتل شيئا . . كنت معها فى السيارة . . وهى تريد بعض الماء . .

ــ سمعنا صوت إطلاق نار !

ــ ليس إطلاق نار . . بل كان صوت فرقعة إطار السيارة . . أقول لكم كنت راكباً معها سيارتها . . وبعد ذلك اعتذروا إلى بشدة ولكنى لم أفهم علام . أمر رجل بأخذ الجركن من السيارة وملأه بالماء . .

الفتاتان تقفان فى حالة دهشة . لا يبدو أنهما من أهل القبيلة .وقالتا لى إنهما غريبتان فوعدتهما بتوصيلهما إلى أى مكان تريدان . ثم شرحتا لى ما حدث بطريقة بشعة . صرخت وأنا أكاد أقىء .

ــ تعنيان أننى . . كنت سأذبح . . هنا . . منذ قليل ؟

وقال برجل ضاحكاً :

ــ نعم . . كانوا سيذبحونك بسبب خطأ بسيط . . ولكن اطمئنى . . فقد أنقذتك من الذبح !

وعلى اللعنة إذا كنت قد فهمت شيئاً !

* برجل :

أحضر سفرجل الجركن مليئا بالماء . فاختطفته وأعطيته

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

للمرأة مع ابتسامة معتذرة . . فخطفته منى ومضت مسرعة إلى سيارتها . قالت لها إحدى الفتاتين بحسرة :

ـ إلى أين ياست ؟ ألن توصلينا ؟

ولكنهما ساذجتان برغم جمالهما . .

وسمعت صوت سيارة المرأة وهى تدور وتبتعد . . خسارة أن تصطدم هكذا بأسوأما فى قبيلتنا . كنت أشرح لها شيئا عنا وبدأت تنسجم منى وتضحك ، وتطلب المزيد . . حكيت لها عن عملى فى المدينة وعن محى النور ومعرفتى التامة بكيفية مجىء القرش . وتطرق الحديث إلى القبيلة فخضت فى سيرتها وهاجمت قوانينها وأكثرها غرابة هو هذا القانون الذى يعاقب من تقتل أوزة بالذبح ، وإلا أصيبت نساء القبيلة كلهن بالعقم الدائم وانقرض نسلنا .

والغريب أن هذه العقوبة تطبق على النساء الغريبات عن القبيلة فقط . . ولكن لم يحدث أبدا أن رأيته ينفذ : وتخطىء إحداهن فتقتل أوزة فتعاقب بقطع أنفها .

كنت أسمع هذا القانون مثل غيرى من شباب القبيلة . ولكن لم يحدث أبداً أن رأيته ينفذ : فنساؤنا يحرصن على ألا يخرقن القانون ، كما أن قبيلتنا لكونها تسكن مكانا منعزلا يزورها أغراب قليلون . .

والعجيب أن الرجال الذين يقتلون أوزة كانوا ـ بحسب القانون ـ يطبق عليهم قانون مختلف تماما : فالرجل منهم لا يذبح . . بل تقطع أذنه اليمنى إذا كان من رجال القبيلة ، واليسرى إذا لم يكن .

لا يجرؤ أحد بالطبع على أن يسأل من سن هذا القانون الغريب وإلا عد مارقا . . وعقاب المارق هو القتل لأنه عضو فاسد يجب بتره .

ولكنى لم أتوقع أن يطبق هذا القانون أول ما يطبق ـ فى حياتى على الأقل ـ على تلك المرأة التى أكرمتنى ، وكنت سائراً فى حال من الإنهاك والعطش بعد يوم عمل شاق .

لذا فقد هجمت على حامل السكين وأبعدت يده قبل أن تطيح برأسها الجميل ، معرضاً نفسى للإصابة . .

غير أنى ضقت حين رأيت الفتاتين الجميلتين تنتظران تطبيق القانون .

خسارة . . فأنا أحب النساء الجميلات .

ولكن ماذا بيدى ؟

الدنيا تتطور والناس يصعدون إلى القمر . .

ولكن ماذا بيدى ؟

وبعد انصراف المرأة ، وباشارة من الشيخ العجوز هجم رجلان على الفتاة ذات الشعر الطويل وأقعداها على ركبتيها وأزاح أحدهما شعرها جانبا ، فيما راح حامل السكين يمسح قفاها براحة يده اليسرى عدة مرات وهو يبسمل ويحوقل ، ثم يرفع يده اليمنى حاملة السكين . . عندما أوقفته صرخت امرأة من نسائنا . . المعروفة بحدتها وبذيلها الممدود .

احتج حامل السكين بشدة وألقى بسكينه بين القش . .

وأطلقت الفتاة ذات الشعر الطويل فجأة صرخة قصيرة جداً وهى تضع مازالت رقبتها على سن الطبلية الخشبى . ويبدو أن صرخة المرأة والقاء السكين فى القش أيقظا فيها بقية شجاعة سلبتها منها غرابة الموقف .

وحين سكتت الصرخة ولم تتكرر اعتقدوا أنها كانت لاحدى الفتيات تلعب مع صاحباتها .

وعلى الفور أقاموا الفتاة الأولى ذات الشعر الطويل ، وانتزعوا الفتاة الثانية ذات الشعر القصير التى صرخت صرخة قصيرة كدجاجة مذبوحة . ووضعوا رأسها على الطبلية . ورفع حامل السكين سكينه وتلا التعويذة .

غير أن صرخة أخرى من نسائنا أوقفت يده فى الهواء . ودخلت امرأة تصرخ وتولول :

ـ ابنى سقط فى الترعة !

وهرع الرجال إلى الخارج . وألقى حامل السكين بسكينه بعيداً بغضب . وأطلقت الفتاة الراكعة صرخة قصيرة أخرى . وقال لها حامل السكين :

ـ حظك سيىء ! كلما شئنا ذبحك حدث شىء ما !

حامل السكين الصدىء :

ـ هيا انهضى . . عليك اللعنة !

صفقت بيديها مرحة وقالت :

ـ الحمد لله . . لم أذبح !

نظرت إليها بغيظ ولم أجرؤ على فتح فمى .

اللعنة على نساء القبيلة ! دائماً يصرخن فى وقت غير ملائم . .

أتولى ذبح الدجاج والخرفان فى القبيلة . . حتى فرغ المخزون منها . . فلا أعمل منذ مدة . . غرقت فى الخمر لأنسى همومى . حين أخبرونى بأن امرأتين قتلتا أوزتين شربت كأسين من العرقى لتثبيت قلبى .

سمعت أن حاملى السكاكين الذين سبقونى كانوا يشكون من كثرة العمل . أصابتنى غيرة شديدة وكنت أتمنى لو تقتل امرأة غريبة أوزة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لم يحدث أن أقمت الحد على امرأة لهذا السبب . . حتى سمانى شباب القبيلة ـ عليهم اللعنة ـ حامل السكين الصدىء . . أطلقت أولا على سبيل الفرفشة . . ثم صارت فيما بعد جزءاً هاماً من الوظيفة . ولم يقبل شيخ القبيلة العجوز التسمية ، ولكنه لم يرفضها : فما يهمه هو بقاء العادات والتقاليد وقوانين القبيلة غير ممسوسة . . أما ما عدا ذلك فهو رهن بالظروف .

والأدهى من ذلك أن يقولوا إننى نحس ، فمنذ توليت منصبى هذا خلفا لشقيقى الأكبر منذ ثلاث عشرة سنة لم أذبح سوى دجاجة واحدة .

بعد ذلك ماتت كل الدجاجات والخرفان لسبب لا يعلمه أحد . ومنذ هذا التاريخ وأنا عاطل أشكو الفراغ حتى بت أصدق بالفعل أننى نحس .

الفتاتان اللعينتان لهما عمران مجبسان . أفلتتا من الذبح مرتين . وبعد الثالثة لن يحق لى إقامة الحد عليهما ـ حسب نص القانون اللعين . .

لذا فقد خشى رجال القبيلة من اجراء محاولة أخرى قد تفشل فتحق اللعنة على القبيلة بأكملها .

أخرجوا الطفل الغريق من البحيرة سليما . ثم قرروا حبس الفتاتين ريثما ينتهون إلى قرار .

لا أنكر أن الفتاتين جميلتان . . غير أننى لا يجب أن أتأثر . .
أنا عبد المأمور . .
يداى أصابتهما الحكة . .
سأشرب كأسين من العرقى لئلا تر تعشا . .

* شيخ القبيلة العجوز ذو اللحية البيضاء :

نظرات أعينهم تتهمنى بالتحجر والجمود . أنا رمز التخلف والعفن . الحافظ تراث الأجداد منذ آلاف السنين . يدعون أن العصر اختلف ! وينسون أن البشر لم يختلفوا قط ! .
ولكنهم لا يعملون . .

استلمت الراية عالية خفاقة من أبى منذ زمن بعيد . حافظت على كل كلمة انطلقت من فمه ومن أفواه شيوخ القبيلة الكبار . . وكنت أسمعها صبيا . وبعدها صرت وحدى المتصرف فى شئون القبيلة . العبء كله حملته فوق ظهرى . لو لم أحمله لانفرط عقد القبيلة . ليس برجل وحده الذى ذهب إلى المدينة وتنور . فعلت ذلك فى شبابى . . وعدت بأفكار ومبادىء جديدة . . وعارضنى أبى والشيوخ ووقف فى صفى بعض الشباب وكادت تحدث فتنة .

ثم اقتنعت أخيراً بأن الحفاظ على تماسك القبيلة أجدى من أى تطور عصرى قد يكون له وقته وينتهى .

لا أنكر أن الفتاتين جميلتان . . ولكن هذا لا يبرر تركهما تخرقان القانون .

لم يطبق هذا القانون من قبل طوال حياتى ـ لأنه لم يحدث ما يدعو إلى ذلك . ولا رأيته طبق فى عهد أبى . . ماذا كان سيفعل أبى فى هذا الموقف ؟ .

لم تفلح عملية إقامة الحد على الفتاتين الجميلتين مرتين . . وبعد الثالثة سيكون من حقهما أن تنصرفا إلى حال سبيلهما . . لأن هذا معناه أن الله لم يرد .

ولكن معناه أيضا أن الله أراد الفناء للقبيلة : إذ أن اصابة نساء القبيلة بالعقم الدائم لا يعنى شيئاً آخر غير ذلك .

هذا ما جعلنى أتوقف عن إجراء المحاولة الثالثة . سيكون هذا عسيرا على النفس . . لا أريد أن تفنى القبيلة فى عهدى . تبدو نظرات التمرد فى عيون الشباب . ولكن من أدرانى بأن المسألة عبث ؟ لا أستطيع أن أغامر . . فى المرة الأولى طلقة رصاص أو كاوتش سيارة ، وفى المرة الثانية صرخة امرأة ابنها غريق . .

اقترحت أن تكون المحاولة الثالثة قبل الفجر بقليل ، حيث ينام الناس وتقل السيارات وتنعدم المشاكل . سيتم ذلك فى هدوء حتى لو كان ثمنه تمرد شباب القبيلة .
فالتماسك فى القبيلة أجدى من ترهات شباب قليل غدا سيفهمون الخبرة .

* ايمان :

أجلوا المحاولة الثالثة إلى الفجر . لا شك أنها الأخيرة ، فأنا أسمع أن الثالثة ثابتة . فشلت المحاولتان السابقتان لأسباب لا يد لنا فيها . ولكن هذا لا يعنى شيئاً . سأحافظ على تماسكى لئلا تنهار دلال الرقيقة . أشعر بذنبى لأننى استدرجتها إلى هذا المكان المهجور . أيعيش أحد بهذه العقلية فى القرن العشرين ؟ .

الظلام ينسحب سريعاً كأنه يتعجل . مازلت لا أفهم كيف أفلتت من الموت مرتين ! . لم أصطد أوزا كثيرا من قبل . ولا يعدو ما أفعله نوعا من الغرور الأحمق لأثر موهبة . . وتظهرها الدعاية ضخمة كالفيل أشعر بأننى فى حاجة إلى حضن دافىء . .

* دلال :

تحضننى إيمان المسكينة . . تبدو أمامى ضعيفة فى حاجة إلى رعاية . أشعر كأننى أمها . سأضغط جسدها بعنف لأشعرها

بالأمان . يراودنى إحساس بالذنب لأننى استدرجتها إلى مصيرها بتحد غبى سيطر على عقلى . لو لم أفعل لكنا الآن نلعب ونتضاحك مع صديقاتنا .

ماذا سيحدث عند الفجر ؟ .

ليس من الضرورى أن تنقذنا أحداث من السماء . والليل يوشك أن ينقضى ليترك مكانه للفجر . الخوف يعصر قلبى بعنف . ليتنى أستيقظ من الكابوس . أرى فى عينى برجل نظرة عطف . هو الوحيد الذى يفهم هنا بعض الشىء . سأشغل عقله بنظراتى .

ينبغى أن أفعل شيئا .

* برجل :

تعلق قلبى بتلك الرقيقة دلال . فى نظرة عينيها شىء ما يشدنى بقوة . بدلا من جلوسى لانتظار المصير المجهول يجب أن أتحرك . لن أفقدها من أجل قانون قاس سن منذ آلاف السنين بواسطة شخص مجهول ربما كان واقعاً تحت تأثير المخدر . ولم أره ينفذ طوال حياتى ، كما لم أسمع بأن أحداً رآه ينفذ . وان كان هذا شيئاً مثيراً للفضول . . غير أن ثمنه سيكون فادحاً .

بدأ شباب القبيلة يستجيبون لدعوتى . . سأثير حميتهم وحماسهم . هم جميعا يعيشون فى حال بائسة . وقد رفض أبى نزولهم إلى المدينة . أما أنا فعارضت بشدة فسمح لى بشرط أن أتنازل عن مشيخة القبيلة . . ففعلت ، فلا يعدل المتعة التى أجنيها من نزولى الجبل إلى المدينة أقصى ما يمكن أن أصل إليه من مناصب فى هذه القبيلة التعسة .

سنبدأ فى التحرك عند الفجر . وليذهب الشيخ وقانونه إلى الجحيم .

القاهرة : ابراهيم فتحى عبد العليم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سـمير أحمـد الشـريف

قصـــة حـــــيرة

ثمة شيئان يحرقان دمه ويفجران التساؤل والحيرة فى دماغه ؛ .

لحظة أن يخطو بقدمه اليمنى عتبة مكتب البريد ليودع رسالتها ، ولحظة أن يمد يده يتسلم منها الرد عندما يودع رسالته إليها . يختلج قلبه ، يدور دماغة فى دوامة من القلق المزمن .

هل تصلها ؟ هل هى راضية ؟ هل مازالت متلهفة لسماع أخباره ؟ هل غيرت رأيها فيما ألحت به عليه فى كل الرسائل ؟!

عندما يمد يده . يلصق الصابع وينزل الرسالة صندوقها . يحس بقلبه يدق بعنف ويخاله ينزلق على قعر الصندوق الأخضر وعندئذ تنتابه إحساسات شتى ؛ هل يقدر لهذه الرسالة أن تغير موقفها إزاء ما تلح به عليه من سخافات لا تستحق الرد ؟! هذا الحزن النابت كبر . تسعى جاهدة لتعزف مبعثه . تحاول أن تفتش فى رسائله كل الحروف وما بين النقاط . وتتساءل دائما عن مبعث هذا الحزن . يراوغها . يبتعد بها بعيداً عن أجواء رسائله ومفرداته التى تصر على فضح ما يخفيه . أما هى فتقف فى وجهه بحزم واضعة الخطوط الحمراء تحت الكلمات ، تفجر فى وجهه التساؤل [لماذا كل هذا الحزن ؟] .

كعادتها تختبىء خلف تساؤلاتها . تريده أن يتحدث عن الحب . تتنهد وتسائل نفسها لماذا لا يكتب لها كخلق الله عن ليالى العاشقين ؟ عن خيالات تسبح فوق الغيم مبللة بقطرات ليلة غائمة سوداء يلمع فى ردائها البرق لينير طريق السائرين ؟! .

لماذا لا يتحدث عن مشاريع المستقبل ؟ عن نوع السيارة ؟ عن شكل الشقة ؟ .

بل لماذا لا يخبرها بماذا يفكر ؟ وماذا يدور بين جدران هذا الرأس الأصلع ؟ .

ويركض جاحاً . ينزوى . متناسيا كل الخطوط الحمراء تحت السطور . يسبح . ينفث همومه مع دخان سيجارته المتصاعد هل تستطيع أن تنصت لأخباره لو صارحها ؟!

هل هى مستعدة للوقوف إلى جانبه نهاراً أو دقيقة من ليل عندما يلفه صقيع الوحدة ؟!

واهم هو ان صدق ذلك . فهى لا تلح لمعرفة مبعث هذا الحزن الا جريا وراء حب استطلاع أعمى . تفاخر به صديقاتها لتقول إنها تعرف عنه الكثير وأنها أقربهن إليه عيناها صافيتان . يرتاح قلبه فوق شواطئها عندما يحدق فيها . لكن وخزة لخوف ما تلبث ان تدق جدار القلب فى صدره .

كلماتها ترشح عاطفة ولوعة وشوقا لمشاركته . للاقتراب منه . ومشكلته أنه عندما يقنع نفسه بأهمية الكتابة لها . تتصلب أصابعه على القلم . كبغل حرون . وتأبى الانطلاق . هو مرهق لهذا الصمت الذى لا شك يؤلمها . وهو يدرك أنها متوجعة على هذا الذى لا يود الافصاح أخيرا . وبعد أن نحر كل الخيارات المعقولة وغير المعقولة . قرر أن يكتب لها ! انبلج الماضى أمام ناظريه . وها هو فى حيرة قاتلة . تشله لحظة

البداية التى تحيره كيف تكون ؟ هل يبدأ من حيث انتهت آلامه ويعود بها حتى البداية ؟!

هل يختار لها مواقف صعبة ؟ كيف سيضمن أنها لن تحرف المقصود بهذا الاختيار الذى لن يكون فى رأيها موفقاً ؟!

إذا فليختر لها مواقف أقل تأزما لكنه كذلك يخاف أن تظن به جبنا زائداً عن الحد المعقول عندما تعتقد أن هذه الأزمات الصغيرة لا تستحق كل هذا اليأس وهذه الحسرة التى يقطر منها الألم ! .

فى حيرة هو ، وهذه الحيرة يجب ألا تطول . فعلى الجانب الآخر هناك من ينتظر ومن قد تأخذه الظنون بعيداً .

البداية لابد منها مهما كلف الأمر وكيفما جاءت النتيجة . طالما أنه اقتنع بجدوى الاعتراف فستعرف الكبيرة والصغيرة ولو بعد حين .

سيكتب لها عن عبوره جسر اليأس ، عن الرياح التى كانت تصفر بين أوراق الشجر . كيف يكتب لها إحساسه عندئذ ؟ تذكر أنها قادرة على تخيل الموقف . خاصة وأن حبها له سيساعدها فى شحذ خيالاتها الجامحة . وعندئذ ستضعه فى المكان الذى يريده لنفسه فى خيالها .

وحيداً كان الليل بارداً . كرابيج قارسة حارة تلسع صدره العارى إلا من قميص خفيف اخترقته شعيرات صدره السوداء ، التى انتصبت تصد عنه النسمات تلك التى أيقظت فى صدره كوامن جيوش الربو النائمة .

وحيدا . كان يسير . لم يتناه إلى سمعه فى خطواته الأولى غير وقع نعاله فوق أرضية الجسر الخشبى .

لم يبتعد كثيراً . كانوا خلفه عندما استدار ليبصق . لم ير عيونهم . بقايا عواء لذئاب حملتها النسمات إلى أذنيه متخافتة من بعيد .

بحركة لا إرادة له فيها حرك يده انغمست أصابعه فى جيب بنطاله كالح الألوان . اضطرب . دق قلبه . تقلصت أصابعه تمسك الفراغ فى جيبه المخروق .

ضاعت هويته . دون أن يدرى كيف وأين ؟؟ ضاعت رغم كل الترتيبات التى اتخذها كى لا تضيع . اقترب ــ ذو الشارب الذى تدلى على شفته العليا ــ منه همس له بصوت يتلفع بكل معانى الحيرة والذهول . وبأحبال صوتية راجفة . ترجمت عيناه شرحا للموقف الذى هو فيه « اضعت هويتى !! » .

قلب شفته السفلى التى بلون الدم . بسرعة خاطفة استدار خلفه . يكاتف يديه خلف ظهره الذى أبان حدبته يربطهما بشىء له رنين .

ببلاهة واستخذاء ، حدق باليد الراجفة التى وقعت على ورقة استلامه ليجد بعدها جسده ملقى فى مستطيل من الجدران الأسمنتية الباردة الغليظة .

مرت الثوانى على قلبه ثقيلة . تهرس أمانيه . تحطم كل الخيالات التى بناها ولم يمر بباله أن سيكون لهذا الليل الطويل من صباح .

ما جدوى الضوء بين جدران أسمنتية سمكية . تشكل الرطوبة على سطحها اشكالا غير واضحة المعالم ؟ .

وكما وجد قدماه من قبل تدبان فوق ذلك الجسر . وجد نفسه خارج الجدران المستطيلة كالمصعد . لم يتأكد بعد إن كان الوقت ليلا أم نهارا ، يمد يديه أمامه . يسير . يتعثر تتناهى إلى سمعه أصوات الشارع والباعة وزعيق أبواق السيارات .

اكتشف أخيرا أنه يسير على هدى قلبه وبواسطة اللمس .

تذكر الأصوات التى كان يسمعها وما تلبث أن تموت مع دقات الأحذية الثقيلة فوق رخام المكان ، يستهدى إلى طريقه بيديه . ينكمش على نفسه . يسير محاذياً لجدار الذى اخفى ظله جسده كفأر يحاذر أن يقطع الشارع المكتظ .

مربوط الخطى . يمد يديه . يستقرىء ملامح وجوه أصحاب هذه الأصوات التى تنسيه حزنه وتلهيه عن التفكير فى نهاية هذا الدرب الطويل .

صوت هذا الباص . زعيق ذلك البائع يعيد اليه سرحاته فى شوارع العاصمة . عندما كان يقف رجلا يدخن من انفه وفمه ويحدق من خلف نظاراته الشمسية فى اعلانات السينما . صوت هذه المرأة يبدو طازجاً . يدل على أنها فى مقتبل العمر . « ليتها تقترب حتى أشم رائحتها ! .

كل الكتب التى وقع إهداءها لمن تعرف بهن ، ذكرته بجريه المتواصل خلف آخر كتاب نزل السوق وصديقه [زفر بعمق وتنهد] يجوب بقلبه وكل خلجات روحه خارطة الصداقة التى تثنت أطرافها وتناسلت خيوطها . يتحسر على عمره الذى أضاع فيه كل الأصدقاء !

أنفاسه تندفع من فمه متعبة . يلهث كمن يركض فى تراب محروث . يتعجب لماذا يلهث وهو يسير ببطء ؟ حتى أنفاسه يحس كأنما يسحبها من قرار بعيد . يخالها حبالا تلتف حول رقبته تعصرها .

يمتد الطريق أمامه . نثيث الثلج الذى بدأ يتراكم فوق

حذائه يعيق خطواته . البرودة مسامير من نار تقتحم شرايين قدميه . صدره صحراء مقفرة . آهات تتكاثف كهذا البخار المندفع من فمه وهذا الجليد على أذنيه .

خطواته تقصر . روحه يخالها تنسل من جسده ببطء . جسده يدب فيه الثقل . يطاحن يديه . يرسلها على جنبيه . تصطدم يده اليمنى بحقيبته التى نسيها تتأرجح على خاصرته . خريطته هذه الحقيبة وعالمه لن يكون خارج سحابها « إذا وقعت هل يحملنى أحد من الناس ؟ . تباطأت خطواته . ثقلت أقدامه . بصعوبة يخلعها من سطح الأرض . يحاول أن يستدير .

هرير كلاب ينساب إلى أذنيه . يؤنس وحشته فى ذلك القفر المطبق ! يبتسم فى مرارة ! لماذا يستدير وهو لا يرى ؟! .

توقف فجأة . رفع يديه . احتضن بهما صدغيه . يحمل رأسه الذى بدا ينزف طرقات موجعة تدق جدران جمجمته . طنين كطنين خلايا النحل يخترق دماغه . يغلفه الصمت . يقرفص ببطىء يكفنه الاعياء .

يتنهد . ظهره يلامس جدارا أملس .

ترتفع كفه . تتحسس السطح الأملس صف من السنوات ينمو فى خياله . يبتعد . يصغر فى خط مستقيم مستدق حتى يتلاشى فى نقطة صغيرة غير محددة الملامح .

هرش لحيته التى لم تطالها شفرة الحلاقة من زمان بعيد . وتسلقت كفه رأسه يهرشها ايضا كأنما يمسح تلك الصورة التى استبدلها خياله بصورة طير وحيد يحاول النفاذ عبر مجموعة كثيرة من الأقفاص المتلاحقة التى تفضى إلى بعضها .

نهايته الحقيقية هى هذه . تذكر عندما خطى خطواته الأولى داخل بوابة مبنى البريد أنه لم يكن أمينا فى سرد نهايتها . حرف فيها قليلا . يعترف انه حاول أن يظهر أمامها بطلا امتعض لذلك .

بحركة لم يخطط لها من قبل . وجد أصابعه تمزق الرسالة التى أنت أوراقها عندما استدار على عقبيه لم ير عيون الموظف التى زرعت فى ظهره سهام الاستغراب والدهشة .

الأردن : سمير أحمد الشريف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصـــــة

حبيبتى التى كانت ..

الخبر الصغير

خبر صغير جدا ، همس به أحدهم فى أذن الآخر ، أومأ فى صمت ، ثم نقله بدوره إلى جاره الآخر . . . مصمصت إحدى الزميلات شفتيها . . . قامت لتنقله للمكتب الآخر . . . عرف الجميع الخبر حتى الساعى . . .

الجيران تناقلوا الخبر أيضا . . ولما كان الخبر ـ فى الأصل ـ صغيرا . . . فقد زادوا عليه كثيرا . . . أصبح نادرة . . . حكاية . . موضوعا لسهرة فى المنزل . . وللسمر فى المقهى .

من وراء النوافذ جعلن يرقبنه ، فى المقاهى المجاورة يتركون ما بأيديهم من مشروبات وألعاب حتى يشاهدونه تماما ، فى المكتب ، يتعمد الجميع أن يحيوه ، يطلبون منه أشياء تتعلق بالعمل ، أو لا تتعلق ، الساعى يحضر له « الشاى » ويحدثه بصوت مسموع ثم ينظر إلى الزملاء والزميلات ، ويشير بعينه .

. . . .

كان يلتزم الصمت . . . فقط يلتزم الصمت . . .

. . . .

خبر صغير جدا . . . بدأ باتهامه بالخرس ، فقد القدرة على الكلام ، ثم الصمم ، ووصل الآن للجنون .

القـرار :

كان هادئا ، لا شىء يثيره ، النظرات القلقة تجاهه ، الكلمات التى بدأت ترتفع حوله ، التعليقات ، لم يكن الموضوع يتعلق به ، أو بأحد يعرفه ، نظامه لم يتغير ، الاستيقاظ صباحا ، الإفطار ، والذهاب للعمل ، الجلوس إلى المكتب ـ قراءة الجريدة ، وحل الكلمات المتقاطعة ، استخدام التليفون والحديث مع الزملاء والزميلات عن أى شىء ، ثم الاستئذان من المدير ، إن لم يكن هناك عمل يؤديه ـ وهو غالبا لا يجد عملا يؤديه ـ شراء بعض ما يلزمه خاصة المأكولات ، العودة للبيت وإعداد الغداء وتناوله ، النوم . . ثم الاستيقاظ للذهاب للمقهى . . . اللعب والضحك مع الزملاء . . . حتى ساعة متأخرة من الليل لينام . . .

يوم حافل بالحديث والضحك . . . لا شىء تغير الصمت . . . ألغى البنود الخاصة بالحديث مع الآخرين . . . أما برنامجه اليومى فلم يتغير فيه شىء آخر . . .

فكر أسبوعا ثم جاء القرار حازما . . . « لن ينطق بكلمة » . . .

. . . . .

خطوة ضرورية :

جلس فى هدوء . . . خرج كما دخل . . . فى المرة الثالثة ترك أخاه . . . وذهب بمفرده استرخى . . . أغمض عينيه . . . اقترب منه الطبيب تحدث طويلا . . . وقع عليه الكشف . . . سأله عدة أسئلة . . . لم يرد . . . قال له الطبيب :

ـ ليس لديك أى مرض عضوى . . .

جلس . . . أشعل سيجارة . . . قال للطبيب باختصار شديد :

ـ أنا لست أخرسا . . .

ـ ولماذا امتنعت عن الحديث اذن ؟

ـ ماذا أقول ؟ ما فائدة الكلام الآن ؟

. . . .

عاد لحالة الاسترخاء والصمت . . . والتدخين بشراهة . . . الوجه المتجهم . . . والعيون المغمضة . . . والموسيقى الهادئة التى اختارها الطبيب . . . قام مسرعا . . . غير الموسيقى الهادئة . . . وضع بدلا منها السيمفونية الخامسة لبيتهوفن . . . أغمض عينيه . . . عض شفته السفلى بعنف مع سماعه للحركة الأولى . . .

بدأ الطبيب يتحدث . . . عن أخطار القلق والكبت وضرورة التفاؤل . . . والمجتمع الطاحون أوقف الطبيب الموسيقى . . . فقام من استرخائه قال بهدوء :

ـ مشكلتى لا تستطيع أن تحلها لى . . ولذا كنت أرفض المجىء هنا .

ـ حدثنى عنها ربما أستطيع مساعدتك . . .

ـ ببساطة أنا منذ فترة فقدت القدرة على . . . .

عاد للصمت والنظر فى الأرض . . . حاول الطبيب أن يشجعه ليتغلب على الخجل والقلق . . . ترك الطبيب وخرج مسرعا .

. . . . .

العجز والخلاص :

العجز والإحباط . . . والخوف يكمل المثلث المرتسم على وجهه الحزين . . عاد بائسا .

ـ لم أجد من يسمعنى ويستطيع فهمى غيرك فجئت . . .

ـ وأنا سوف أسعد بالحديث معك . . .

ـ باختصار شديد . . . أنا فقدت القدرة على الأحلام . . . ما عدت أحلم منذ عدة شهور

ـ هذه ليست مشكلة . . . فنحن لا نصنع الحلم بإرادتنا . . .

ـ يا دكتور الأمر أخطر من ذلك . . . أنا لا أحلم . . . الحلم بالنسبة لى كان ضروريا . . . كل مساء . . . ما عدت بقادر على صنع حلم يقظة . . . ما عاد هناك أمل فى شىء . . ما عدت أنتظر شيئاً . . . فانتهت حياتى . . . حياتى عبث . . .

ـ هل كنت تسعد بأحلامك ؟

ـ لم تكن كلها سعيدة ، ولا حتى معظمها . . . لكنى كنت أشعر بإنسانيتى . . . بشىء ما يشغلنى . . . يهمنى . . . أفكر فيه . . .

ـ لماذا امتنعت عن الحديث مع الآخرين ؟

ـ لم أجد فائدة من محادثة الآخرين . . . فالتزمت الصمت . . . لقد قلت كل شىء كان بوسعى أن أقوله . . . وسمعت كل شىء كان بوسعى أن أسمعه . . . لا أستطيع أن أمنعهم من الحديث . . فمنعت نفسى . . . قلنا كل الأشياء التافهة . . . وكل المشكلات التى لا تحل لم يستطع أحد منا أن يحل للآخر مشكلته . . . لماذا نتحدث إذن ؟

ـ لهذا الحد تكره الناس ؟

ـ حتى أنت . . . لا تفهمنى . . أنا لا أكره أحدا . . . ولا أحب أحدا . . . الحب مصدره القلوب . . . وأنا قلبى تراكم فوقه صدأ . . . تحجّر . . ثم تفتت وتهشم . . . لقد احتواه الموت منذ سنوات . . . . . أتحدث معك الآن وأنا أعرف أنك لا ترغب فى سماعى إلا لأن هذه مهنتك . . . ولأنى أدفع لك ثمن استماعك لى . . . آسف يا دكتور . . . هذا ما أراه .

ـ هل تعرف بالتحديد آخر مرة حلمت فيها ؟

ـ منذ عدة أسابيع . . . تساوت عندى كل الأشياء . . . الحياة والموت . . . الخير والشر . . . فقدت القدرة على التمييز بين الأشياء . . . لم أكن أملك غير الانسحاب من العالم فالتزمت الصمت . . . ومنذ يومين تركت العمل . . . واعتزلت فى البيت . . .

ـ هل تذكر آخر حلم لك ؟

ـ . . . اعتقد . . . نعم . . . تقريبا . . . لا . . . بالتأكيد . . . بالتأكيد . . . اذكره . . . قد لا أتذكر تفاصيله . . . لكنى أذكره . . .

ـ إذن أغمض عينيك وحاول أن تقصه لى .

. . . . .

الامتحان / اللغز :

دخلت لجنة الامتحان . . . جلست فى مكانى . . كانت الخيمة المعدة لامتحاننا تضفى على الجو الحار إحساسا بالضيق والاختناق . . .

كنت متلهفا لمعرفة الأسئلة . . . إذ كنت مطمئنا تماما لمذاكرتى ومعلوماتى . . .

الامتحان بالنسبة لى لا يمثل مشكلة على الإطلاق . . . انه مجرد إجراء روتينى لابد منه . . . وأنا أتقبله بسعادة . . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وُزعت علينا أوراق الأسئلة . . . وأنا ـ كما تعرف ـ أدرس الأدب واللغة . . . . قرأت ورقة الأسئلة . . . وكانت صدمة رهيبة . . . الورقة تحتوى على مسائل رياضية هى بمثابة ألغاز لا أفهمها . . . أنا أدرس الأدب . . . ما علاقتى بامتحان فى الرياضيات ؟ . . . وأنا منذ صغرى ضعيف جدا فى مادة الحساب والرياضيات عموما . . . حاولت أن أفهم المراقب أن هذه الورقة ليست لى . . . نهرنى وأكد أنها ورقتى . . .

تفحصت الوجوه حولى . . . قرأت فى أعينهم الحائرة نفس الذعر والتعجب . . . نظرت إلى يمينى كان صديقى جمال عبد اللاه الذى يجلس فى هذا المكان بجوارى طوال سنوات الدراسة الأربع . . . وعلى يسارى كان خالد العطار بخطه الرقيق . . . وتنظيمه الجذاب للورقة . . . كنت دائما أنظر لورقة إجابته وأستمتع بنظافتها . . هذه المرة لم يكن فى الورقة شىء . . .

أمامى كانت تجلس (هـ) بخصلات شعرها المنسابة برقة . . وهدوئها المعتاد . . . لم يغير أحد منهم مكانه . . . طوال سنوات دراستنا . . دائما نجتمع نحن الأربعة . أيام الامتحانات فى نفس المكان . . .

كان الأمل الوحيد أن أسأل جمال أو خالد . . . مساعدتى فى هذه الأزمة المفاجئة . . . أما (هـ) فكانت ـ كعادتها ـ تنتظر مساعدتى . . . نظرنا جميعا لبعضنا بعيون حائرة . . . أصبنا بالعجز وبالإحباط . . . طلبا مساعدتى . . . وضحكت بهستيرية . . سألتنى (هـ) إن كنت أعرف شيئا . . . لكنى لم أستطع مساعدتها . . . فضلت الانسحاب ـ كعادتها وقت الأزمات ـ سلمت ورقتها بيضاء وخرجت . . . ظل مقعدها خاليا . . . فانسحب الأمل الباقى بداخلى . . . اختفى المراقب دون أن نحس بذلك . . . تركنا نتحدث سويا . . . لكنا التزمنا الصمت رغما عنا . . . قال البعض إن هذا ظلم . . . نحن لم ندرس هذا . . . وطالب البعض بتقديم تظلم . . . وقالت زميلة إن المساواة فى الظلم عدالة . . . ورسوبنا فى هذه المادة سوف يكون رائعا . . . ، انفعل جمال عبد السلام الجالس عن يمينى خبط المكتب بعنف « هذا ظلم . . . هل يتساوى من تعب ومَنْ لَمْ يتعب » التزم خالد الصمت كعادته . . .

كان الوقت يمر سريعا . . . كلما نظرت للساعة أراه يقترب من النهاية . . . وأنا لم أكتب شيئا وأنتظر العون من زملائى لكنهم مثلى عاجزون عن الحل . . . أما (هـ) فأنا المسئول عنها . . كانت تعتمد على مساعدتى . . . وخذلتها . . .

انتهى الوقت زادت ضربات القلب سرعة وارتفاعا . . . مد المراقب يده ليأخذ الورقة بيضاء تشبثت بها صرخت كثيرا . . .

جعلت أصرخ حتى استيقظت من النوم . . . . . .

ـ هذا هو آخر حلم ؟

ـ كان هذا هو الحلم الأخير لكنه جعل يتكرر كل ليلة . . . حتى كرهت النوم والليل . . . أخاف أن يتملكنى هذا الكابوس المزعج . . . حاولت أن أحلله وأفسره لأكشف رموزه . . .

فيتوقف العقل الباطن عن إعادته . . . لكن لا فائدة . . . يبدو أن هذا هو كل المخزون بداخلى . . .

ومنذ أسابيع تكرر ثلاث مرات فى ليلة واحدة . . . وكنت أعرف أثناء الحلم . . . أن هذا حلم . . . وأنه سرعان ما ينتهى ، وأننى سوف أستيقظ . . . لكن مشاعر الخوف كانت كما هى . . . فمزجت الصراخ بالبكاء . . وأيقظنى أخى وأنا أصرخ . . . جلست على السرير . . . وجعلت أستكمل صراخى وبكائى بعنف شديد . . . قصصت على أخى الحلم فى الصباح ثم . . توقف . . وتوقفت أحلامى . . . أغمض الآن عينى . . . فلا أرى شيئا . . . ولا أتخيل شيئا . . . ولا أتذكر شيئا إذ ليست لدى الرغبة فى أى شىء . . أغمض عينى فينتهى كل شىء . . . تنتهى الحياة .

. . . . .

استفسارات وإيضاحات :

ـ هل تذكر زمن أحداث الحلم ؟

ـ نعم ، مرحلة الليسانس . . . منذ سنوات سبع أو أكثر قليلا . . .

ـ مَنْ خالد وجمال ؟

ـ هما أعز صديقين لى . . . ـ أو هكذا كانا ـ . . . فنحن الآن لا نلتقى إلاّ مصادفة كل عدة سنوات .

ـ من هى (هـ) ولماذا لم تذكر اسمها ؟

ـ هذه تحتاج لايضاح أكبر .

حكاية (هـ) حبيبتى التى كانت :

كانت زميلتى فى الكلية فى نفس الدفعة . . . ببساطة أحببتها ، وأحبتنى . . من يدرى أنها أحبتنى وحدى ؟ ربما أحبت الجميع ؟! . . كنت أقرأ فى عينيها التحدى والإصرار كانت كل الماضى والحاضر . . . كانت بدوية . . . وكانت . . . بصراحة كنت أشعر معها بالأمان . . . كنت أكتب لها قصائد حبى . . . تقرأها بسعادة . . . طلبت منى أن أخفى اسمها عن السائلين :

« حبيبتى من تكون ؟» وعدتها . . . لذا أشير إليها بحرف (هـ) . . .

كنت أحلم أن أتزوجها وهى كذلك . . . فى السنة الأخيرة تقدم لها منافس لى . . . كانت تكرهه بعنف لكنه كان يمتلك مالا أمتلك . . . أصبح حبنا عذابا متواصلا . . . وخوفا من الفقد والفراق . . . وعجزا . . .

فى يوم رحلت عنى فى هدوء . . . رحلت دونما عودة . . . قالوا أصيبت بصدمة كهربائية قالوا . . . وقالوا . . . أشياء كثيرة . . . لكنها رحلت دونما عودة . . .

عودة للاستفسارات والايضاحات :

ـ لماذا لَمْ تتقدم لخطبتها إذن ؟

ـ كنت طالبا . . . لَمْ أكن أملك شيئا . . . هل تتصور ؟ لَوْ أنها وُجدت الآن لما استطعت . . .

ـ لماذا ؟

ـ لأن الظروف لم تتغير كثيرا ـ أقصد لم تتغير للأحسن . . . أعمل منذ تخرجى أى منذ سنوات سبع . . لا أملك شيئا . . . . . لا أملك حتى الأحلام

ـ هل كان هذا السبب الوحيد فى ضياعها منك ؟

. . . . .

اضافة قد تكون ضرورية :

ـ هل تريد أن تضيف شيئا ؟

ـ بالأمس . . لا أمس الأول . . . لا . . لا أتذكر تماما . . . قبل أن أحجم عن الكلام . . . قابلت « خالد العطار » . . . الذى حدثتك عنه من قبل . . لم ألتق به منذ حوالى خمس سنوات . . . سعدت برؤيته كثيرا . . . هل تصدق ؟ لقد حدثنى عن نفس الحلم الذى قصصته لك . . . ورقة الامتحان التى بها مسائل رياضيات . . . ثم ضياع الحلم . . . بالأمس وأنا أجلس فى المقهى . . . سمعت بعض الشباب يقصون لبعضهم نفس الحلم . . . الغريب أنهم كانوا يقصونه بلا مبالاة . . يقصونه ويضحكون . . . ما الذى يثير الضحك فى هذا ؟الآن قصصت لك كل شىء فهل تستطيع مساعدتى ؟ . . . أو أعود كما جئت لعالمى الصامت ؟

ـ مشكلتك بسيطة . . . عندما نلتقى الأسبوع القادم فى نفس الميعاد . . . سوف أجد لك حلا يريحك تماما . . .

ـ هل تسمح لى بسؤال يا دكتور ؟

ـ نعم . . . ما هو ؟

ـ هل تذكر آخر مرة حلمت فيها ؟

ـ . . . . .

خرج فى هدوء وقد استراح بعض الشىء . . . أما الدكتور فقد ألغى مواعيده المتبقية فى تلك الليلة . . . وحاول جاهدا أن يتذكر آخر حلم رآه ، لم تسعفه الذاكرة فشعر بالاحباط . .

. . . . .

اعتراف جاء متأخرا :

ـ اليوم رأيت فتاة تشبه (هـ) فى كل شىء . . . سرت وراءها . . . أحسست أنى أعرفها منذ زمن . . . سمعت البعض يتحدثون عن مأساتها . . . كانت جميلة . . . كحبيبتى . . . وبريئة كحبيبتى . . . سمعت البعض يتنبأ بمصيرها مصير حبيبتى . . . التى كانت . . . . . وجدت أنه من الضرورى الذهاب إلى الدكتور . . . وأخذ رأيه . . . فى الموضوع . . . سجلت فى كلمات قليلة اعترافى الذى سوف أصرح به للطبيب . . . الوحيد الذى يستطيع أن يسمعنى ويفهمنى . . . ووعدنى بحل مشكلتى . . . كتبت بصراحة :

« أعترف أننى . . . كنت جبانا . . . و . . . وكتبت أشياء أخرى . . .

. . . . .

كانت العيادة مغلقة . . . قرأ لوحة على الباب بتوقيع الدكتور « اضطررت للسفر للخارج لحضور مؤتمر طبى وسوف أعود للعمل بعد ستة أشهر »

. . . . .

عاد فى صمت . . . فى المساء داهمه الحلم الكئيب وفى الصباح ذهب للعمل . . .

المنيا : جمال نجيب التلاوى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طارق عبد الوهاب جادو

قصة | مولد

« ١ »

وحده . . .

حين أطل على القمر من مكانه الموروث فوق الرف . . المعلق على الجدار . . المزين بقماش السرادق . . الملون والمزخرف . . علم أنه الموعد .

وحده . . .

بين المجموعة الكبيرة . . المرصوصة . . التى تنعكس عليها أضواء مصابيح النيون الزاهية ، وتلهو بها ايقاعات المواويل المنبعثة من مكبرات الصوت . . تنبه .

وحده . . .

أحس بها مختنقة فى الركن . . على الرف المقابل .

« ٢ »

جاءوا فى جماعات كالنمل . . ضج المكان بضوضائهم . . امتدت أذرعهم الطويلة تشير إليها . . تطلبها لأولادهم . . حاول الرجل الذى قيد أقدام الفرس ولصقها على قاعدة خشبية أن يرفع الثمن . . زايدوا .

اندفع وسطهم رجل بدين . . تقدمهم . . أخرج من جيبه أوراقاً كثيرة بينما انقضت نظراته عليها . . تلتهمها . سال الزبد على جانبى فمه ببطء . . قبل أن يسلمه البائع شرفها . . اهتزت أقدامه هو . . ضغطت على بطن الفرس فى قوة .

« ٣ »

دمع جسدها السكرى فطار الناموس والذباب . . حط على وجهها يلعقه . . تألم . . ملأه الغضب . . حاول تحريك السيف المغروس فى ذراعه .

« ٤ »

بعد أن فاض اشتهاء لسانه الضخم وفمه الواسع المظلم لاحتوائها . . أمسك بخصرها . . اعتصره . . بلع ريقه واستعد .

فى الدكان . . قبل أن تطفأ الأنوار . . سقط بفرسه فوق الرأس الذى يعد صاحبه النقود فى فرح . . انبثقت منه « آه » طويلة ودم غزير . . تحررت أقدام الفرس . . انطلق . . . . ما يزال فى طريقه للحاق بها .

بنها : طارق عبد الوهاب جادو

قصـــــة

زمـــن الأســـفلـــت

مرفوع الهامة يمضى . . فى النفس أمنيات وأحلام وردية . سيذهب إلى القرية ، إلى مسقط الرأس بعد أن وصله هذا الخطاب اللعين .

ـ نفيدكم بأنكم قد بلغتم السن القانونية للايداع بالمعاش .

إيداع ؟ هكذا : . بعد كل هذا العمر ، بعد كل هذا العطاء . لم يحزن حزنا عاديا . بل حزن من حرم قلبه من السكينة . مسقط رأس الحزن كان قلبه . الاستاذ عبد القادر ، القادر دوما على حل كل المعضلات التى تقابل الصف الحديد من صغار الموظفين فى الهيئة العامة للمواصلات السلكية واللاسلكية . قرر ألا يبقى فى العاصمة التى تنكرت لجل جهوده وضنى أيام شبابه وحزم أمره وأغلق باب شقته التى كان يقطنها وحيدا بعد أن رحلت زوجته فى العام الذى مضى . سار فوق الأحزان حاضنا كتاب الله وفى يمناه حقيبة ملابسه القليلة ، فهو الزاهد فى الدنيا . ماذا يطلب غير الأغيرة الداخلية وجلباب أو اثنين وشبشب « زنوبة » ركب القطار وحملق فى الشريط الممتد من النباتات العشبية فى محازاة شريط السكة الحديدية .

ننهد فى ضيق . فتح مصحفه وراح يقرأ بعينين كليلتين داعب النعاس جفونه فاسترخى فى غفوة مبتعدا بها عن صخب مجموعة من المجندين العائدين إلى قراهم لقضاء أجازتهم بين الأهل والخلان .

وصل القطار مسقط الرأس عاد بعيون مطفأة بعد أن عبر دروب الصمت طيلة عمره الوظيفى . تلفت عبد القادر حوله . كل شىء على غير ماكان عليه تماما . تبدلت المحطة ، كاد يعقد مقارنة بينها وبين محطة السكة الحديدية بالعاصمة وطئت قدماه أرض الأسفلت المتاخمة للسلم الرخامى عند نهاية المحطة ، تلفت حوله فى حيرة وفى تشكك . اختفى الرياح الأعظم . ذلك الشط الذى كان مزروعا بأشجار التوت والصفصاف ، لم يعد للرياح ولا للصفصافات أو لأشجار التوت أى أثر ، امتد به طريق الأسفلت ، سار بضع خطوات فى تباطؤ ، قفز فى ذهنه أن يسأل أحد أولئك الشباب من لابسى الترنجات ذوات مضارب البينج بونج (هل هذه قرية أشمون جريس ياأولادى ؟) التف الشباب من حوله وجاويوه وحاورهم فجاوبوه فبكى فضحك الشباب وسرى عنه وانكسر الخط الفاصل بين الغريب القادم وبين النبت الجديد من أبناء القرية بعد أن أحضر واحد من جيل أبناء الأوائل فى القرية مقعدا للوافد القريب على طوار البوتيك الذى يملكه . قال المضيف للشباب ـ

ـ اذهبوا بعيدا بمضاربكم وصخبكم . هذا وافد عزيز من أبناء القرية عندما كانت قرية .

قال عبد القادر فى يأس ممرور .

ـ ولم تعد . .

أجاب صاحب البوتيك .

ـ إنها سنّة التقدم .

صرخ عبد القادر .

ـ زحف الاسفلت على الريَّاح ، اختفى الريَّاح !

أجاب صاحب البوتيك وهو يقدم للضيف كوباً من الليمون بعد أن ضرب الليمونة فى الخلاط وأضاف الثلج المكعب والسكر .

ـ اشرب . ليمون الخلاط (فريش) أى طازج كما علمنى أصغر أبنائى .

أعاد عبد القادر يد مضيفه بالكوب وهو يحملق فى وجهه فى رجاء .

ـ لا أشرب ليمون الخلاط . . عندى حموضة . أفضل الشاى الفلاحى الغامق . . المر . . ثم الأخف والأخف والأكثر حلاوة فى دوره الثالث حتى يعتدل رأسى .

ضحك المضيف صاحب البوتيك وأخرج تنهيدة عميقة من صدره .

ـ الله يرحم أيام شاى الكانون وطبيخ الكانون..لكن لا أكتمك سرا . . المدينة أريح .

أطرق عبد القادر برأسه فى صمت . . صفق المضيف بيديه رافعا صوته .

ـ ياعبّادى يابتاع الكافتيريا . هات واحد شاى تقيل حبر وخلى السكر لوحده .

شرب عبد القادر الشاى ، ودع صاحب البوتيك . راح يسأل كل من يقابله عن مسجد الشيخ الخضرى ، لم يعرف أحد إلا عجوز كفيفة فى نهاية الدرب قالت صارخة فى غضب .

ـ اياكش تقصد زوية عمك خضيرى ؟

قال : نعم .

قالت . .

ـ أزيلت وحل محلها المدرسة الأزهرية . . والعضمتين خدوهم وحطوهم فى حفرة فى الجامع اللى فى نهاية طريق الأسفلت . .

الشمس توسطت كبد السماء ، الميدان الواسع من حول عبد القادر تمرق فيه السيارات الفارهة الضخمة . بانوراما من لافتات تعلن عن أطباء ومحاسبين ومحامين واخصائيين فى الطب النفسى . .

دار للسينما ومديرية للثقافة . مكاتب لأفلام الفيديو . . الأسفلت قد احتل كل ما كان ترابيا من قبل ، انزرعت بوتيكات ، مطاعم مكتبات ، مخابز افرنكية تعرض الفطير المشلتت والخبز الأفرنكى المغلف . الأسفلت احتل مكان الدار التى كانت من جدود الجدود ملكا للأسرة ولم يفرط فيها أى فرد من أفرادها .

« الأسفلت غطى حتى القراريط الخمسة التى كان يملكها عبد القادر ويؤجرها للشافعى ابن خالته . لف عبد القادر طيلة يومه على قدميه اللتين تورمتا من كثرة السير ، ومن حرارة الأسفلت الذى يبعث نار جهنم من جوفه . . أخيرا وصل إلى دار الشافعى ابن خالته .

ـ عاش من شافك ياشافعى !

ـ تلعب لك جيم أتارى معاى ؟

ـ أين قراريطى الخمسة ياشافعى ؟

ـ بعتهم ياابن خالتى واشتريت التليفزيون الملون د. ه واشتريت الفيديو وكمان الأتارى .

ـ اين دارنا ياشافعى ياابن خالتى ؟

أطفأ شافعى جهاز التليفزيون الملون ، نزع فيشة الأتارى فى مهارة فأوقف اللعبة ! رفع سروال بيجامته الحريرية وسوى خصلات شعره المنسدلة على جبينه وقال فى هدوء .

ـ أقسطلك حقك فى القراريط ياعبد القادر

ـ والدار .

ـ ماغارت ! خدتها الحكومة فى التنظيم .

ـ وأين كنت ؟

ـ وماذا أنا أو غيرى أمام التنظيم والحكومة والبلدية ياعبد القادر ؟

ـ وأنا ؟

ـ مالك ؟ . ما أنت زىّ الفل المجوز أهه !

ـ أحلت إلى المعاش .

ـ وماله ؟ خير وبركه .

ـ سبت مصر .

ـ فقرى طول عمرك .

ـ جئت لاستقر فى مسقط رأسى .

ـ اشغلك معاى وتلعب مع العيال الاتارى ورزقى ورزقك على الله . .

على الأسفلت ، عندما حل المساء . . تجمع الشباب ، امتلأت الساحة أمام بيت شافعى بمن يرتدون السراويل الجينز . خططوا ملعبا فوق الأسفلت . خط الدفاع على استعداد للعب ، خط الهجوم فى مكانه فى انتظار صفارة البدء من حكم المباراة . الرجل الذى وسط الملعب يسيطر . .

خرست النواطير فى كل الأرجاء . والطيور هاجرت مع السكينة ونقيق الضفادع على جانبى شاطىء الرياح اختفى ولم يعد لها اثر بات عبد القادر ليلته غريبا يلعن أيدى العهوان . . ايدى . . العمران التى أحالت الحقول التى كانت ممتدة على مرمى البصر إلى مساكن شعبية ومتاجر تبيع كل الاشياء إلاشيئا واحداً . . تنهد عبد القادر باحثا عن اسم هذا الشىء الذى لا يباع . . فتح المصحف أدرك أن القرية قد أغلقت فى وجهه باب الرحمة . اغمض عينيه و . . . ومات . . !

القاهرة : أمين بكير

أمينـــة ابراهـــيم زيـدان

قصـــــة

أنـت والأرض وأن أكـون

تجاوزتنى السيارة بعد أن أشرت اليهـا ، توقفت ، سـرت إليها أكاد أركض ، لم يعد هناك مـزيد من الـوقت أضيعه ، تخذلنى خطواق الضيقة ، تتحرك السيارة ، تبتعد لتصبح دائرة حول كلمة مـطموسـة ، ليس هناك فـرق ، السير أفضـل ، ينتفض الصوت بداخلى : إلام السير ؟ ماذا لو لم أذهب ؟

يقذف طرف حذائى الكتل الحجرية المتناثرة على امتدادات الطريق ، آمل لو يتجسد العالم ، أجمع كل الأحجار وأرجمـه بها .

عند حدود بابى أقف ، تحتمى طفولتى السـاذجة بـأمى ، خلف جلبابها الأسود ، ترشق الرجل الكبير بكلماتها :

ــ لن نرحل ، هذا بيتنا ، صور زوجى وآبائنا الأولين حجج فوق جدرانه ، آثار دمه القانى بين تجاويفه ، لم يغسلها المـطر بعد . .

يدفع الهواء ثوب أمى ، يصفع وجهى ، يغسل الدمع براءة عينى ، يتماوج الرجـل الكبير خلف عبـراق ، يجأر فى وجـه أمى ، يلطم وجهها القمرى . تنتقل رعدة أمى إلى جسدى ، أكبو على خـوفى ، أركض ، أحتمى بالبـاب الخشبى ، أبلله بدمعى ، ألعق بلله ، مالح ، حار تنتصب أمى سامقة ، ظلها يوازى ظل التوتة السرمدية الوجود ، تزعق فى وجه الرجل :

لن نرحل ، لن نرحل ! ألتقط كتلة طينية أرشق بها الرجل الكبير ، بينما أمى تصرخ : لن نرحل .

انخرط فى زحام المـدينة ، تختلط أشكـال البشر وتتبلور . زميـلات المدرسـة بزيهن الأزرق القـاسى ، ضحكاتهن بغـير سبب ، تنسل منهن الدعابات والنظرات البراقة ، أبحث عنى بينهن ، حزينة مطرقة أسير ، بينى وبينهن فراغ مكان وزمان ، أتعلق بودهن تباعا ، لا يلبث أن يتساقط عنى ، أسقط .

زنيب ، سلمى ، نداء لا يتجاوز زمام شفتى ، لكنه ينطلق عبر حواسى إلى زمن كبلته وأسرته فى أعماقى .

أسير وأبكى ، تتراءى لى صور مطموسة الحدود ، مشوهة ، أعداد كبيرة من البشر ، إلى أين ؟ أتساءل ماذا لو لم أذهب ؟ أتساءل .

أستمهل الزمن أن يتوقف عن النخر فى عمـرى ، ويجمد اللحظة . . إنه هو . . هو كما عرفته دوما ، حبيبا ، يد بامتداد خصره داخل سرواله ، والأخرى تمتد إلى تلتقـطنى ، يجذبنى دفؤهـا ، يمتص شجنى وقنـوطى . أسكب عمـرى الفـائت والقادم فى عينيه أسأله بشوق السنوات .

ــ أين كنت ؟ انتظرتك ، تغيبت ، بحثت عنك طويلا ، وطئت أيـامى وسنواق سبـلا إليك . نـظر إلى كثيرا بمقلتـين حزينتين مطفئتين رغم نداهما ، قال

ــ فى الحقيقة . .

ابتسمت ، قلت وأنا أضمه بعمرى الذى لم أعشه :

ــ الحقائق تؤلمنى ، أنت تعرف . .

وسط ازدحام الشارع نقف ، تتـداعى حولنـا الأشكال ،

وتحدق عيون البشر فى صورتنا . أرد بصرى إلى عينيه ، غائرتين ، فراغ ، فراغ ، أين هو ؟ ، تلاشى كدخان ، أتلفت ملتاعة ، أين هو ، أصرخ بلا صوت ، أكاد أسقط ، أبكى وأصرخ أين أنت ؟ يعود صوتى إلى أعماقى المضطرمة رفيعا مخنوقا يمزق صدرى . أراه . . ها هو ، يسير خلفها ، تجذبه بجديلتها السوداء الحالكة كوجودى بدونه أفترش الطوار وأصرخ : لا تتركنى !

يشقق النداء طبقات الوجود حولى بصراخى أهيل الساعات القاسية والأيام المريرة فوق رأسى وأصرخ : لا تتركنى ! ، لن تتركنى ، لن تتركنى فأنت لى . لن تفوتنى ، لن تكون كالبيت المنهوب ، وتضيع منى كما ضاعت زينب وسلمى ، لن أتركك .

أركض خلفه ، أتشبث بأطرافه ، أجذب ذراعه ، يلتفت مذعورا ، عيناه جاحظتان ، أقطع جديلتها بأسنانى ، أشد قبضتى عليها فاذا هى سوط مبين *

السويس : أمينة ابراهيم زيدان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مسـرحية

انتـهـت الحـفـلة

(مسـرحيـة من فصـل واحـد)

أنـور جعفـر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشخصيات :

محسن زايد ..... رجل أعمال ثرى
غريب ..... سكرتير السيد صابر المندراوى
جابر حامد ..... كاتب غير معروف رقيق الحال
مكرم عبد الله .. مدير عام للمشتريات بإحدى المؤسسات
سلامة سالم ..... صحفى مشهور بصحيفة حزبية
صابر المندراوى. ... عريف سابق ــ على كرسى بعجل

المنظر : صالون ــ الجدران حجرية تبدو عليها آثار الرطوبة والقدم بشكل ظاهر ــ فى المواجهة فتحة مستديرة عالية يتم الوصول إليها بواسطة درج رخامى متعدد الدرجات ــ إلى اليمين واليسار عدة فتحات متماثلة بين كل فتحة وأخرى دولاب للكتب عامر بالمجلدات المذهبة ــ فى الوسط عدد من المقاعد الوثيرة تتوسطها منضدة مستديرة ــ فى الأركان نباتات ظل يانعة الخضرة .

منظر فرعى : أحد دهاليز الفيلا ــ يمكن الاستعانة بالاظلام وانزال [فوندى أسود] ــ مع تركيز الإضاءة على شخصيات المشهد .

(١)

[يرفع الستار عن المنظر الأساسى ــ غريب عند إحدى فتحات اليسار ــ يدخل من اليمين محسن زايد] .

محسن : ألا أحد هنا ؟ .

غريب : أهلاً وسهلاً .

محسن : السيد صابر ؟

غريب : لا ياسيدى ، أنا أحد معاونيه .

محسن : لا تؤاخذنى يا عزيزى المعاون ، فأنا فى الواقع لم أتشرف بالتعرف إلى السيد صابر من قبل ، ولكن وصلتنى منه اليوم دعوة كريمة إلى حفل ساهر هنا ... [يتلفت حواليه] يبدو أنى وصلت مبكراً ؟ .

غريب : بل فى الموعد المحدد تماماً ياسيدى .

محسن : عجباً ، أين الحفل إذن ؟ لا أنوار ولا موسيقى ولا حتى مدعوين ، أهو حفل وهمى أم ماذا ؟ .

---

* جميع الشخصيات عدا غريب شاركت فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

غريب : معذرة ياسيدى ، إذ انقطع التيار الكهربى فجأة فاضطررنا إلى تشغيل المولد الاحتياطى .

محسن : كان الله فى عونكم ، هذا هو حال الضواحى دائماً .

غريب : معذرة ياسيدى ، سأخبر السيد بوصولك .

محسن : تفضل .

[يخرج غريب من اليسار ـ يدخل جابر حامد من اليمين] .

جابر : مساء الخير .

محسن : مساء الخير .

جابر : من ؟ محسن زايد . . النفر ثلاثة ؟

محسن : وأنت . . دعنى أتذكر . . أنت النفر خمسة .

جابر : أنسيتنى ياحسن ؟ أنا جابر حامد .

محسن : لا . . لم أنس ، ولكنه الزمن وبصماته الثقيلة على الذاكرة .

جابر : يبدو أنك طويت صفحة الجندية وأيام الجندية طيّاً ياحسن ؟

محسن : لم أطوهما فحسب بل محوتهما محوا . . ياإلهى ! كم من الأعوام المثقلاب بالأعباء والأحداث مرت منذ أن خضنا الحرب معا ياجابر ؟ .

جابر : خمسة عشر عاماً بطولها .

محسن : وأين كنت طوال هذه المدة ؟ .

جابر : فى الدنيا ياحسن .

محسن : لم أسمع عنك شيئاً منذ أن سُرِّحنا من الخدمة ، هل سافرت للعمل بالخارج ؟

جابر : لم أغادر مصر يوماً ، كنت هنا طيلة الوقت أتسكع وأقرأ وأكتب وأتابع بشغف واهتمام أخبارك خاصة بعد أن أصبحت من أشهر رجال المال والأعمال بمصر .

محسن : قاتل الله تلك الشهرة اللعينة التى تكبدنى الكثير !

جابر : وأى شهرة ياحسن ؟ إنها فاقت شهرة نجوم المسرح والسينما .

محسن : سبب ذلك كله هو الإلحاح الإعلانى المتكرر فى الصحف والتليفزيون ليل نهار .

جابر : ولماذا لا تقول قرارات المدعى الاشتراكى أو الفضائح التى تزكم رائحتها الأنوف ؟

محسن : فضائح ؟ أية فضائح ياجابر ؟ أنا رجل عصامى شريف ، وكل قرش فى ثروتى بذلت مقابله جهداً وعرقاً .

جابر : الجهد والعرق وحدهما لا يصنعان الملايين ، وإلا لكان كل الكادحين اليوم « مليونيرات » .

محسن : تباً لك ياجابر ، لن تتغير أبداً ، مازلت عند ظنك القديم أن أغلب أصحاب الأموال صنعوا ثرواتهم من الاتجار فى المخدرات أو السرقة .

جابر : لا ، لم تعد المسألة بهذا التسطيح الساذج للأمور ياصديقى .

محسن : كيف أصبحت إذن ؟

جابر : أصبحت المسائل أكثر عصرية وأماناً . يكفى أن تعرف كيف تلج من الأبواب الخلفية هنا وهناك لتتضخم ثروتك عشرات المرات .

محسن : هناك قاعدة ذهبية فى دنيا التجارة ياجابر اسمها « القرش صياد » فلماذا لا تفسر تضخم ثروة إنسان بالمهارة فى استخدام ذلك القرش الصياد استخداماً أمثل .

جابر : هذه القاعدة قد تعين التاجر الذى يحبو لكى يخطو ، وللذى يخطو لكى يجرى ، أما الطيران بسرعة الصاروخ ، فذلك أمر بعيد كل البعد عن عالم التجارة بأمانة وشرف .

محسن : أنت لا تعرف شيئاً ياجابر ، التجارة عرض وطلب ، ربح وخسارة ، والأكثر من هذا هى تنين له ألف ذراع وذراع إن لم تكن يقظاً على الدوام احتواك على الفور ، تلك مسائل لا يفهمها أمثالك من الذين لا هم لهم إلا الثرثرة الجوفاء والحقد الأسود على أصحاب الأموال .

جابر : إياك والغضب ياحسن وإلا ارتفع ضغط دمك وراحت عليك فرصة الاستمتاع بالحفل .

محسن : لقد ارتفع ضغط دمى بالفعل منذ رأيتك هنا وتذكرت كل خلافاتنا القديمة فى الرأى أيام الجندية .

جابر : لقد كبرنا الآن ياحسن ، وأعتقد أن نظرتنا لكثير من الأمور قد تغيرت .

محسن : حدث هذا بالفعل ، ولكن ذلك لا يعنى أن تتفق وجهات نظرنا .

جابر : وكيف يتفق القط والفأر ؟!

محسن : حقا . أيها الفأر !

جابر : [يضحك] أفضل أن أكون فأراً عن أن أكون قطاً سميناً يستحق الذبح !

محسن : عيبك أنك مازلت تردد تلك الكلمات الجوفاء البلهاء التى عفى عليها الزمن وياخت من كثرة مالاكتها الألسن . . اسمع ياجابر ، واضح تماماً أنك مازلت فى أول درجات السلم وأنك لم تحقق لنفسك شيئاً .

جابر : ومن قال لك إنى أصلا على السلم . .

محسن : اذن أنت فى « البدروم » .

جابر : لكل وجهة نظره ياحسن .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محسن : لكى تخرج من هذا « البدروم » وترى الشمس ، يجب أن تتحرر من كل هذه الأفكار التى قولبت رأسك فى ذلك القالب اليسارى الضيق . .

جابر : لماذا تصر على اتهامى باليسارية ؟

محسن : ألست يسارياً ؟ ألم تكن تقرأ بحماس كتبهم فى أوقات فراغك بالجبهة . .

جابر : قراءة كتبهم لا تعنى إيمانى بأفكارهم . وعلى أية حال يامحسن كونى يسارياً لن ينقص أو يزيد من قدرى ، ولكن الواقع أنى لست كذلك ، أنا أقرأ لكل التيارات ولكل المفكرين بلا استثناء . .

محسن : دعك من الفكر والاحتفاء بالعقل والثقافة إلى هذا الحد الذى حجبك فى « البدروم » وانظر إلى الدنيا بمنظار جديد وضع نصب عينيك مصلحتك الخاصة أولاً ، هذا هو قانون العصر ياجابر إن كنت تريد الثراء والنجاح .

جابر : هى نصيحة قيمة حقا ، ولكنها جاءت للأسف متأخرة ربع قرن كامل من الزمان .

محسن : أنت حر ، انما أنصحك لوجه الله .

[ينظر محسن إلى ساعة يده ــ ثم يهب واقفاً] .

جابر : إلى أين يامحسن ؟

محسن : الموعد المحدد فى الدعوة هو السابعة ، والآن جاوزت السابعة والنصف ، وأظن أن من حقى أن أنصرف .

جابر : إنه حفل ساهر يامحسن .

محسن : وما دخل الحفل الساهر فى ضرورة احترامنا للوقت ؟

جابر : يظن البعض أن لا قيمة لدقائق قبل أو بعد الموعد المحدد لحفل .

محسن : تلك آفتنا وسر تأخرنا ، ليتنا نؤمن أن لكل دقيقة ثمنها وقيمتها .

جابر : أنت تقول هذا الآن لأنك أصبحت تقيس الوقت بالمال ، ونسيت سنوات الانتظار المرير على ضفة القناة .

محسن : لم نكن نملك وقتها إلا الانتظار ، أما الآن فأنا أعيش وقتى الذى هو ملكى وحدى لقد تأخر القوم كثيراً ، ولهذا أنا مضطر للانصراف ، إلى اللقاء ياجابر .

[يخرج محسن من اليمين ــ يدخل غريب] .

غريب : مرحباً بك ياسيدى .

جابر : أهلا . من أنت ؟

غريب : أنا أحد معاونى السيد صابر ياسيدى .

جابر : أنا لست سيدا يابنى ، أنا مجرد كاتب غير معروف .

غريب : لا تقل هذا ياسيدى ، أنت معروف لنا جيداً ، إذ قرأ السيد كل مقالاتك وكتبك ، كما قرأتها أنا أيضا .

جابر : شىء طيب أن يجد الكاتب من يقرأ له هذه الأيام .

[يمد ساقيه وهو يتأوه فى ألم] .

جابر : معذرة يابنى .

غريب : لا عليك ياسيدى ، خذ راحتك .

جابر : لا أدرى لم أحسست ببعض الحرج أمام محسن فكانت الجلسة رسمية أكثر مما يجب ؟

غريب : رغم أنه رفيق سلاح وحرب .

جابر : ورغم أننا كنا نتقاسم الرغيف سويا ، ولكنه المال يابنى يقيم الحواجز والسدود حتى بين الأشقاء ، إنه الآن « مليونير » وأنا كما ترى . . وشتّان ما بيننا .

[يعاود التأوه فى ألم وهو يدعك قدميه] .

غريب : أمتعب أنت إلى هذا الحد ياسيدى ؟

جابر : لا تنزعج يابنى ، لا شىء بى ، كل ما فى الأمر أنى سرت طويلا ، إذ لا أملك سيارة ولا حتى دراجة ، والمسافة بينكم وبين آخر خطوط المواصلات العامة بعيدة جداً .

غريب : حسب السيد حساب كل تلك المشقة فأرسل لك سيارته ، ولكن السائق لم يجدك فى المنزل .

جابر : أنا لا أعود إلى المنزل فى الغالب إلا عند الفجر بعد انصراف كل الأصدقاء إلى بيوتهم ، أما مقرّى الدائم فهو المقهى حيث ألتقى بهم أو أنتحى ركنا وأكتب . ولكن قل لى يابنى . . لماذا لم يصل أى من المدعوين إلى الآن ؟ .

غريب : كل شىء بأوان ياسيدى .

جابر : إذا أذنتم لى بالاطلاع على بعض هذه الكتب ، لن أمل الوحدة أبداً .

غريب : إنه بيتك فافعل ما شئت .

جابر : شكراً لك يابنى

[يخرج غريب من اليسار ــ يدخل مكرم عبد الله من اليمين] .

مكرم : ألا أحد هنا ؟

جابر : من ؟ النفر ستة ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مكرم : أأ نت مدعو إلى هذا الحفل ياجابر ؟

جابر : ومعى دعوة .

مكرم : لم أكن أتوقع رؤ يتك هنا .

جابر : ولم لا ؟

مكرم : كنت أظنه لقاء لرجال المال والأعمال فقط .

جابر : الظاهر والله أعلم أنه حفل لرفاق الحرب فقط . .

مكرم : الحرب ؟ .

جابر : محسن زايد كان هنا من لحظة ، وها أنت تصل الآن . .

مكرم : محسن زايد كان هنا ؟

جابر : أجل .

مكرم : وأين ذهب ؟

جابر : مل الانتظار وانصرف .

مكرم : ياالسوء الحظ .

جابر : حظ من ؟

مكرم : حظى أنا بالطبع ، لقد لبيت هذه الدعوة خصيصاً من أجل أن ألقاه .
كنت أريده فى أمر هام جداً

جابر : تبادل منافع لا شك .

مكرم : ماذا تعنى ياسليط اللسان ؟

جابر : خطر ببالى أو وجود رجل من كبار رجال الأعمال كمحسن مع مدير عام للمشتريات لابد أن يسفر عن صفقة كالسمن على العسل .

مكرم : لن تتغير أبداً ياجابر ، مهما تقدم بك العمر ، ستظل كما أنت انساناً شكساً طويل اللسان سيىء الظن بالناس . . لكن قل لى ياجابر ماذا تصنع الآن ؟ .

جابر : لا شىء بالتحديد .

مكرم : كنت أثناء الخدمة تعد نفسك لتكون كاتباً بعد الحرب ، هل حدث هذا فعلاً ؟ .

جابر : أنا على الطريق يامكرم أواصل التجربة .

مكرم : أما زلت مستغرقاً فى القراءة ، أما زلت تحلم بتلك المدينة الفاضلة التى لن تتحقق أبداً ؟ .

جابر : القراءة والكتابة إدمان يامكرم ، والحلم يجمل الحياة .

مكرم : ماذا فعلت ، أصرت كاتباً ؟ .

جابر : أصدرت أربعة كتب ورواية .

مكرم : تذكرت الآن أنى رأيت اسمك على غلاف أحد الكتب ، للأسف ظننته مجرد تشابه فى الأسماء ، لو كنت أعرف أنه لك لكنت اقتنيته ولو للذكرى .

جابر : الكتب لا تشترى للذكرى ، وإنما تشترى للقراءة .

مكرم : وأين الوقت ياجابر ؟ .

جابر : لا تتعلل بالوقت يامكرم ، أنت إنسان لا يقرأ أصلاً إلا صفحة الإعلانات المبوبة وصفحة الوفيات ، ماذا كنت ستصنع بكتابى لو كنت اشتريته ، لعلك كنت ستحول أوراقه إلى مراكب تلهو بها فى « البانيو » .

مكرم : ولماذا كل سوء الظن هذا يارجل ؟

جابر : هى حقيقة لأنى أعرفك وأعرف مدى كراهيتك للكتب .

مكرم : الكتب ، الكتب ! أتكسب الكثير من مهنة الكتابة هذه ياجابر ؟ .

جابر : الحمد لله ، الستر .

مكرم : يقولون إن الكتّاب فى الخارج يكسبون الملايين من كتبهم .

جابر : ونحن كذلك هنا نكسب الملايين يا مكرم .

مكرم : أتهزأ بى ؟ .

جابر : ولم لا أهزأ بك وأنت على هذا الحال ؟

مكرم : أى حال ؟

جابر : بربك ، ألا تدرى حقاً أن معظم الكتاب فى بلدك إمّا أسرى الوظيفة ، مثقلون بأعبائها يكتبون فى الوقت الضائع بين اليقظة والنوم ، وإما صعاليك يعيشون على حد الكفاف .

مكرم : صدقنى ياجابر لم أكن أعرف هذا . . كنت أظنهم نجوماً كنجوم السينما . . يعيشون فى بحبوحة من العيش ولكنهم لا يميلون إلى الظهور .

جابر : الصيت ولا الغنى يامكرم .

مكرم : وأنت أيضا كذلك . . تعيش على حد الكفاف ؟

جابر : الحمد لله أعيش من ريع ميراث قديم يكفى لطعامى وشرابى وسجائرى .

مكرم : وما الذى يجبرك على التشبث بهذه الحرفة التى لا تجلب إلا الفقر ووجع القلب ؟ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جابر : لأنه لا قيمة لى بدون الكتب والورق .
مكرم : المهن المربحة كثيرة ، فلماذا لا تتحول إلى إحداهما لتعيش فى رفاهية ؟ .
جابر : أنا لا أطمع فى أكثر مما أنا فيه .
مكرم : أنت واهم ياجابر ، تلك أكذوبة صنعتها وصدقتها لطول ماترددتها لنفسك .
[يدخل محسن ثائرا]
محسن : ما هذا الذى يجرى هنا ؟ مَا هذا ؟
مكرم : محسن ، ماذا بك ؟ .
محسن : الحمد لله أنك هنا يامكرم .
مكرم : ألست على ما يرام ؟ .
محسن : من أين دخلت ؟
مكرم : ليس من النافذة بالطبع .
محسن : أنا لا أمزح . . من أين دخلت ؟
مكرم : من الباب يامحسن .
محسن : تعال ، أرنى إياه .
جابر : اهدأ أولاً يامحسن وقل لنا ماذا جرى ؟ .
مكرم : حقا ولماذا أنت منزعج هكذا ؟ .
محسن : يبدو أننا ضحية مقلب سخيف أو مؤامرة قذرة . إنه شىء لا يصدق ، بل هو أمر مثير لكل الشكوك والريب ، لا أدرى أهو اعتقال ، حبس اختطاف . .
جابر : ماذا جرى يامحسن ؟ .
محسن : لم أجد الباب ، هذا هو كل ما جرى .
مكرم : عجباً . . أى باب يا محسن ذلك الذى لم تجده ؟ .
محسن : الباب الذى دخلنا منه أنا وجابر وأنت .
جابر : لعلك ضللت الطريق يامحسن ؟ .
محسن : لست بهذه السذاجة ياأستاذ ، لقد وجدت مكانه سدّاً ، حائطاً من الحجر .
مكرم : ولكننى دخلت الآن منه من لحظة . .
محسن : من لحظة من برهة من ثانية من دقيقة ، لاحد لما قد يتفتق عنه الذهن البشرى من أفانين خاصة فى مجال الشر .
[فترة صمت] .
محسن : قل لى يامكرم ، أتعرف السيد صابر هذا من قبل ؟
مكرم : لا ، لقد جئت فى الواقع لمقابلتك أنت .
محسن : وأنت ياجابر ؟
جابر : لست واثقاً . . ولكنه لا شك يعرفنا وإلا ما دعانا .
مكرم : والعمل ؟ لقد بدأت أرتاب فى الأمر .
محسن : لابد أن نخرج من هنا .
مكرم : هيّا بنا .
محسن : أنا على يقين أن محاولة الخروج من الباب مستحيلة . . لذا يجب أن نجرب وسيلة أخرى .
مكرم : لم لا نجرب هذا الدَّرجَ ؟
محسن : ولكنه ربما . .
مكرم : قد نجد شيئاً نصنع منه حبلاً . . ومن أحد النوافذ نتدلى . .
محسن : هيا بنا ياجابر . .
جابر : اذهبا انتما . . سأنتظر الحفل .
محسن : صدقنى لا حفل ولا سخام ياجابر .
جابر : لن أخسر شيئاً من الانتظار .
[يتجه محسن ومكرم إلى الدرج ــ يصعدانه بحذر ــ وعندما يقتربان من الفتحة يومض ضوء باهر متقطع ــ يجبرهما على النزول وقد استولى عليهما الهلع ــ يتهالكان على المقاعد] .
[يدخل غريب من اليسار] .
غريب : أكنتما تبحثان عن شىء ياسادة ؟
محسن : لا . . شكرا ، إنه مجرد فضول .
مكرم : من هذا يامحسن ؟
محسن : إنه معاون السيد صابر .
مكرم : متى سيبدأ الحفل ياحضرة المعاون ؟
غريب : بعد قليل ياسيدى .
محسن : متى بالتحديد ؟
غريب : عندما يكتمل العدد .
محسن : وكم عدد المدعوين ؟ .
غريب : أربعة ياسيدى .
محسن : أى حفل هذا ؟ .
غريب : إنه حفل خاص جداً .
مكرم : لرجال الأعمال .
غريب : بل لرفاق الحرب .
مكرم : الحرب ؟
محسن : وأين هذا الرابع ولماذا لم يصل إلى الآن ؟
غريب : سيصل حالاً ياسيدى .
محسن : والسيد صابر لماذا لم نره إلى الآن ؟
غريب : سيصل حالاً ياسيدى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محسن : والسيد صابر لماذا لم نره إلى الآن ؟

غريب : سترونه فور وصول الضيف الرابع . أما من خدمة تأمرونني بها ياسادة ؟

محسن : شكراً .

[يخرج غريب من اليسار]

محسن : عدد المدعوين أربعة وصل منهم ثلاثة . . أنا وجابر ومكرم . . من الرابع ؟

جابر : سلامة سالم الصحفي بالتأكيد .

مكرم : هو حفل إذن لمن بقوا على قيد الحياة من الجماعة الأولى .

محسن : تلك مسألة محيرة حقاً .

جابر : بالعكس ، إنها واضحة وضوح الشمس بالنسبة لنا .

محسن : ماذا تعني ؟

جابر : تذكرت الآن أنا كنا اتفقنا ونحن ندفن شهداء جماعة الاقتحام . . أن نلتقي بعد خمسة عشر عاما من انتهاء الحرب . .

مكرم : حقاً ، اتفقنا على هذا .

جابر : ألا تذكر هذا الاتفاق يا محسن ؟ .

محسن : قلت لك من قبل إني محوت من ذاكرتي أيام الجندية محواً .

جابر : ألا تذكر أننا اتفقنا أن نصون تضحيات شهداء الحرب وأن . .

محسن : قلت لك لا أذكر شيئاً . . ولن أنتظر رابعاً وخامساً . . أنا ذاهب لأبحث عن مخرج ولو كلفني ذلك عمري . . هيا بنا يامكرم . . إنهم جماعة من المخمورين نبّاشي القبور يريدون العبث بنا . . هيا . . هيا يارجل !

[يخرجان من اليمين ـ بينما يضحك جابر ساخراً] .

« اظلام »

[المنظر الثاني ـ إضاءة مركزة على محسن ومكرم معا بأحد دهاليز الفيلا] .

مكرم : إنها متاهة لا أول لها ولا آخر ، يا إلهي ! ، ماكل هذه القاعات والغرف الخالية المظلمة التي لا تنتهي ؟ .

محسن : مهما جرى يجب أن نواصل البحث .

مكرم : والأشباح التي تطاردنا في كل مكان يامحسن ؟

محسن : أية أشباح ؟ .

مكرم : تلك الخيالات التي تضحك في وجوهنا بلا صوت ثم تختفي .

محسن : أنا لم أر شيئاً .

مكرم : والهياكل العظمية والجماجم والجثث المسجاة في أكفان دامية . .

محسن : قلت لك أنا لم أر شيئاً .

مكرم : والأصوات . . ألم تسمع ذاك الأنين الخافت والنشيج المكتوم وصوت ضربات السياط .

محسن : أنت تهذي ! .

مكرم : لا يا محسن ، هذا كثير .

محسن : صدقني يامكرم لاشيء من هذا ، ربما خيل إليك ، ربما . .

مكرم : أنت معي خطوة بخطوة فكيف أسمع ما أسمع وأرى ما أرى وحدي . .

محسن : لا أدري يامكرم ولكني أقول لك الحق .

[فترة صمت ـ يجذب مكرم ذراع محسن]

مكرم : اسمع . .

محسن : أسمع ماذا ؟

مكرم : صه . .

محسن : ماذا جرى ؟

مكرم : عواء ذئب ، تجاوبه نباح كلاب شرسة ، ووقع أقدام تهرول نحونا . .

محسن : أجننت ؟ .

مكرم : هذه المرة إياك أن تنكر أنك سمعت .

[فترة صمت]

مكرم : أنت يامحسن ، لماذا تحدق فيّ هكذا ؟ أتظنني جننت حقا ؟ أتظن أن الصدمة العصبية التي أصابتني بعد دفن شهداء الجماعة عاودتني . . [يضحك بعصبية]

: اطمئن ياعزيزي ، الناس لا تصاب بالصدمات العصبية كل يوم . . لقد انتهت الحرب بما تجلبه من فزع وفظائع ، لم تعد هناك جثث دامية وأشلاء ممزقة ، لم تعد هناك ألغام مبثوثة جاهزة للانفجارات تحت الأقدام في أية لحظة لم تعد هناك قنابل تدك المواقع وتطيح بالجنود يمنة ويسرة كندف القطن . لقد انتهى كل هذا يامحسن بانتهاء الحرب . . فلماذا تحدق في هكذا ؟ لماذا تحدق في هكذا ؟ .

[يعاود الضحك بهستيرية]

محسن : اسكت . . اسكت يامكرم . . اسكت . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مكرم : انظر ياحسن . . هاهم قد عادوا . . إنهم الزملاء رفاق الحرب . . إنهم عبد الرحيم السوهاجى وسعد الرشيدى ونسيم توفيق وزغلول أبو الوفا وممدوح المدلل ابن المستشار . . إنهم مدعوون أيضا إلى الحفل . . . حاذر أن تكذب عليهم لقد خُنّاهم ولم ننفذ الاتفاق . . سرقنا ونهبنا وارتشينا من أجل المظاهر . . الشقة والسيارة والرصيد فى البنك باسم الزوجة . . نسينا الشهداء وتضحياتهم . . انظر كيف ينظرون إلينا باحتقار .

[يضحك بهستيرية وهو يمد يده كأنه يسلم على شخصيات وهمية] .

محسن : اسكت . قلت لك . . هيا بنا من هنا . . هيا بنا من هنا .

مكرم : أنا لست مجنوناً أنا لست مجنوناً . أنا ذاهب إلى الحفل معهم . . أما أنت فاهرب لأن حسابك عسير . . حسابك عسير ! .

[يهرول ناحية اليسار ـ بينما يخرج محسن من اليمين] .

« إظلام »

(٣)

[المنظر الأساسى / جابر وسلامة معا]

سلامة : لم تقل لى لماذا لا تعجبك مقالاتى ياجابر ؟

جابر : لأنها وقحة .

سلامة : أتصف رصدى الصادق الأمين للواقع الحالى بالوقاحة ياجابر ؟ لا . . أنت لا تطاق ! لم أكن أصدق كل من يصفونك بالغرور وكنت أتلمس لك الأعذار ولكن يبدو أن فشلك قد أورثك الكثير من العقد . .

جابر : قد أكون فاشلاً ياسلامة ولكنى لا أحشو كتاباتى بالأكاذيب الفاجرة التى لا أدرى من أين تستقيها أو من الذى يخترعها لك . .

سلامة : إن لى مصادرى ياأستاذ .

جابر : حثالة « البارات » إياها .

سلامة : الحقيقة دائماً مرة ، لذلك لا تصدقها .

جابر : لم أكن أعلم أنك تعفنت إلى هذا الحد المزرى ! ، لقد فهمت الآن لماذا بعت قلمك لهذا الحزب وجريدته ، ولماذا دأبت فى الآونة الأخيرة على تصوير كل شىء حسن يجرى فى البلد على أنه انحراف وانحدار ، ولماذا تصف الحيتان المستغلة أمثال محسن بأنهم بناة الغد .

سلامة : أنت دائماً ياجابر تحاول الظهور بمظهر الوطنى الغيور وتمثل دور مصلح زمانه ، ولكنك نسيت أن لكل وجهة نظره ، لقد انتهى عهد وجهة النظر الواحدة ، والصوت الواحد ، ثم إنه ياأخى عمل شريف أكل عيش .

جابر : بل أكل « بوفتيك » واحتساء « ويسكى » .

سلامة : وهل هناك من يكره النجاح والثراء .

جابر : بشرف ، وليس بالكذب والتشويه والتضليل .

سلامة : أفِقْ ياجابر ، أفق يارجل ! ، لقد شبنا وتقدم بنا العمر ، وليس أمامنا وقت للكفاح من جديد ، لقد حاربنا وعرضنا صدورنا للرصاص بعد سنوات من الانتظار المرير ، ولما عدنا من القتال ونحن نحلم بأن الأرض كلها قد تطهرت كما تطهرت سيناء ، وجدنا الأرض وقد مادت تحت أقدامنا . إذ كانت الساحة قد امتلأت بالقوادين واللصوص والأفاقين والأدعياء . . . أتعرف بمن ؟ بالذين لم يكتووا بنار الحرب ، بأولئك الذى كانوا يمضون أيامهم أمام شاشات التليفزيون يديرون أشرطة الفيديو لأن البرامج التى كانت تقدم كلها برامج وطنية وأناشيد حماسية . . لم يكن أمامنا إلا أن نسير فى ركابهم . . أو نموت من الجوع . . والفقر . . ألم يحدث لك ولى ولكلنا هذا ؟ . أم ستمثل دور القديس وتقول لى إنه كذب وتهويل ؟ .

جابر : ولكن ياسلامة . .

سلامة : اسمعنى ياجابر . . الفساد فى أرضنا أقدم منى ومنك ومن أجيال وأجيال مضت . . لست مسؤولا وحدك ، ولا أنا مسؤول وحدى ولا مئات الشرفاء مسؤولون عن اقتلاع هذا الفساد لأنه أقوى منى ومنك ، ولأن جذوره ممتدة فى الأعماق متشعبة . . فلا تحاول .

جابر : بربك يا سلامة ألا تحتقر نفسك الآن لأنك تبرر كل فعال السوء التى ترتكبها فى حق بلدك بهذا التبرير الساذج الأبله ؟ بربك ألا تشعر بالضعة لأنك تكتب ما يمليه عليك سادة حزبك بدلاً

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من أن تكتب فكرك أنت ؟ ألا تشعر بفقدانك لذاتك واتساع الهوة بينك وبينها لأنك تحولت من محارب حمل السلاح يوماً إلى دمية تحركها الأيدى وتنطق بما يملونه عليها من أكاذيب .

سلامة : مهلاً ياجابر أنا أحد قادة الحزب ولست دمية .

جابر : بل أنت مجرد دمية ، مجرد عميل ، عبد ذليل ، تمد يدك لتقبض النقود مقابل حركاتك البهلوانية ، افتعل موقفاً وانظر ما الذى سيجرى لك . . . ستطرد شر طردة ، سيضعون مكانك آخر أطول لساناً وأكثر فقدانا لضميره ، ومن السهل جداً أن يصنعوا نجماً آخر . لا تظن أن الحزب سيتهدم لطردك أو أن الكون سيتوقف لموتك .

سلامة : لن نتفق أبداً ياجابر . . وجهات نظرنا مختلفة تماماً .

جابر : لأن سبلنا مختلفة تماماً ياسلامة .

[يدخل محسن ــ متعباً ــ يتهالك على أحد المقاعد]

سلامة : ما بك يا محسن ؟

جابر : أين مكرم ؟ .

محسن : أهلا ياسلامة . .

جابر : أين مكرم ؟

محسن : لا أدرى . . فقدته فى المتاهة . .

[يدخل غريب ــ يحمل عدة مظاريف]

جابر : أين مكرم يابنى ؟

غريب : فى الفراش . . أعطيناه حقنة منومة . . لتهدئته من الهياج العصبى . .

محسن : شكراً لإنسانيتكم . .

غريب : أيها السادة ، السيد صابر قادم حالاً ، ولكنه يرجو منكم قراءة ما بهذه المظاريف قبل حضوره . .

[يناولهم المظاريف ويخرج]

[يفضون المظاريف ويشرعون فى القراءة]

سلامة : إنه يعرفنا جيداً .

جابر : يذكرنا ببطولاتنا .

محسن : ولكنه يمزج لنا السم بالعسل .

سلامة : حقا . . اسمعوا ماذا يقول « هذا هو سجل بطولاتكم ، أما فضائحكم ومخازيكم وخياناتكم لدماء الشهداء وتضحياتهم فلن أعددها لكم لأنكم أدرى بها » .

محسن : من صابر هذا ؟ ومن الذى أعطاه الحق ليوجه لنا هذا الخطاب ويبكتنا كل هذا التبكيت . . من صابر هذا وما الذى يريده منا ؟

[تضاء الفتحة المستديرة ويظهر على حافتها صابر على كرسى بعجل]

صابر : مرحباً بكم فى دارى المتواضعة يارفاق .

الجميع : العريف سليمان ! .

صابر : سليمان محمد صابر المندراوى .

محسن : ظننـاك استشهدت فى لحظة انفجار اللغم بالقرب منك أيها العريف .

صابر : الله سلّم ، فقدت ساقاً والحمد لله .

سلامة : معذرة ياعريف لم نكن نعرف هذا ، لأننا إلى أن سرحنا من الخدمة ، كنّا على علم بأن اسمك بقوائم المفقودين .

جابر : حمدا لله على سلامتك ، نحن سعداء بهذا اللقاء ياصابر .

صابر : لا أعتقد أن فيكم من هو سعيد بهذا اللقاء الذى ذكركم بأهوال الحرب .

محسن : مادام الأمر كذلك ، فلماذ دعوتنا ؟

صابر : لنتحاسب كما اتفقنا .

محسن : علام نتحاسب ؟

صابر : على الكثير يامحسن .

محسن : أعتقد ياصابر أن الوقت تأخر ولذا أرجو أن تسمح لنا بالانصراف .

صابر : لن تنصرفوا قبل أن ننفذ اتفاقنا .

محسن : أى اتفاق هذا الذى أنت متمسك به إلى هذا الحد ؟ .

صابر : اتفقنا على أن نحاسب أنفسنا بعد خمسة عشر عاما من الحرب لنرى إن كنا قد حافظنا على دماء الشهداء وتضحيات الرفاق .

محسن : لا أذكر أنى اتفقت مع أحد على شىء من هذا .

صابر : ذلك لأنك أسقطت من عمرك أيام الجندية ومحوتها محواً من ذاكرتك .

محسن : التاجر منا عندما تنتهى مهمة دفاتره يحرقها . وأنا أديت ما علىّ من ضريبة للوطن . . فلماذا أحتفظ بذكراها ؟ .

محسن : على أية حال ، حتى ولو كان هناك اتفاق من هذا النوع فإنه باطل ، لأنه تم فى فورة حماس فرضته الظروف .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صابر : ودماء الشهداء وتضحياتهم ، أكانت فورة حماس فرضته الظروف ياحسن ؟ .

سلامة : واقع الأمر أنه تم فى غيبة العقل ، لأننا لم نأخذ فى الاعتبار ظروف الحياة وواقعها المرير بعيداً عن ميادين القتال . أنت تعلم إلى أى حد هى قيود ثقيلة تلك التى تكبلنا وتضطرنا إلى أن نلهث وراء مقومات الحياة لهاثا متصلا حتى نسقط إعياء أو نموت .

صابر : أهذا هو المبرر أيها الصحفى الهمام الذى تبرر به فعالك ؟ . تبرر به عدم وفائك لدماء الشهداء وتضحياتهم !

محسن : اسمع ياصابر . . استشهاد بعضنا كان قدراً مقدوراً . ولو كانوا هم مكاننا الآن لما فعلوا أكثر مما فعلنا أو أقل .

صابر : كل هذا لا يبرر إلغاء الاتفاق ، كلكم متهمون ومدانون . . حاسبوا أنفسكم وأصدروا أحكامكم . . أمهلكم ثلاثة أيام وبعدها سأصدر أنا أحكامى .

محسن : سلامة . . إنه يقول ثلاثة أيام . .

سلامة : وعملنا . . الجريدة . . الحزب . . ثلاثة أيام . .

محسن : أنت مجنون . .

صابر : شكراً .

محسن : أنت مصاب بجنون العظمة ، مصاب بلوثة اسمها السلطة . . لعلك ظللت تلوك حقدك وغيظك طوال هذا السنوات لتدبر لنا هذه المؤامرة القذرة لا ياصابر . . لقد انتهت سلطتك بانتهاء خدمتنا العسكرية . . وكان يمكن أن نتفرق ولا يعرف بعضنا بعضاً . . بدليل أننا التقينا اليوم هنا . بعد خمسة عشر عاماً من الحرب . . كانت الصلة مقطوعة تماماً .

سلامة : تكلم ياجابر ، لماذا أنت صامت كأبى الهول هكذا ، هل أنت راض عما يحدث لنا هنا .

جابر : أعتقد أن الحل بيدنا يارفاق . دعنا وحدنا ياعريف صابر وسنصل إلى حل

محسن : أيها القذر . . لماذا تماثله ؟ . وما الذى يملكه ضدنا . . وما هى السلطة التى تخول له احتجازنا ؟ .

صابر : أيها الرفاق . . غرف النوم إلى اليمين من هنا . . وطعام العشاء معد ، واطمئنوا على مكرم فهو فى رعاية الطبيب . . وتذكروا أن المهلة الممنوحة لكم للحكم على أنفسكم . . ثلاثة أيام وبعدها لى مطلق الحرية فى تدميركم .

[يستدير بكرسيه وينسحب ـ تظلم الفتحة]

« اظـــلام »

(٤)

[نفس المنظر السابق]

مكرم : نذالة ، سفالة ، وحشية !

سلامة : حقا ، ثلاثة أيام ونحن فى عزلة عن العالم ، ثلاثة أيام وأنا متغيب فيها عن الجريدة ، بماذا ياترى سيفسر زعماء الحزب اختفائى المفاجىء هذا ؟ أخشى أن يكونوا قد رفعوا اسمى من الصفحة واستغنوا عن خدماتى .

مكرم : ليس هناك ما يدعو إلى كل هذا التشاؤم ياسلامة .

سلامة : ليس تشاؤما يامكرم ، انه أمر متوقع ، فالأمور فى حزبنا على حد قول جابر لا تخضع لقواعد المنطق والأصول ، انها شىء أشبه بلعبة الكراسى الموسيقية أو رقعة الشطرنج كش ملك مات الملك .

محسن : على أية حال انها مجرد وظيفة يمكنك العثور على غيرها ياسلامة ، أما البلية الكبرى فهى حالى أنا .

سلامة : ماذا ياحسن ؟

محسن : كاظم أخى توعدنى منذ أيام بأنه سيعمل جاهداً على هدمى ، ولوح لى بأنه حصل على مستندات هامة لو اطلع عليها جهاز المدعى الاشتراكى لفرض على الخواسة وصادر أموالى وأخشى أن يكون قد انتهز فرصة غيابى المفاجىء هذا ونفذ وعيده .

مكرم : لستما وحدكما من يفريهما القلق .

سلامة : أأنت أيضا محاصر بالقلق يامكرم ؟ .

مكرم : وأى قلق يارفاق . من كان منكم بلا خطيئة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فليرمها بحجر . . كلنا ندفن أسراراً لا نود أن يعرفها أحد .

سلامة : الوحيد الذى لا يقلقه شىء هو جابر . . ينام جيداً ويأكل جيداً ويمضى يومه مدخنا محتسيا الشاى والقهوة بلا حساب فى المكتبة . . أعوذ بالله .

مكرم : الحق أقول ، لقد استفدت كثيراً من الحبس الاجبارى هذا .

سلامة : وأنا كذلك يامكرم .

محسن : وما الذى استفدتماه . . أفيدانى أفادكما الله .

سلامة : يمر العمر كله أحيانا يامحسن دون أن ننفرد بأنفسنا لحظات نعيد فيها حساباتنا ، وبعيداً عن اللغط وزحمة الحياة وزيف المظاهر التى تجبرنا على الاستمرار فى الاحتفاظ بأقنعتنا على وجوهنا ، استطعت هنا أن أنفرد بنفسى وأعيد حساباتى بصدق .

محسن : حذار ياسلامة ! وأنت يامكرم ، إنه يومنا الأخير هنا وإياكما أن يجركما الافتتان بمثالية جابر الجوفاء ، فتسقطا فى هوة الكشف عن أسراركما بحجة التوبة وما أشبه من تعبيرات ساذجة . . اليوم سنخرج من هنا وسترون من منّا الذى سيدمّر الآخر . . أنا أو صابر . . إنه ثأر شخصى بينى وبينه . . سيدفع ثمن هذه الأيام الثلاثة غالياً جداً .

[يدخل جابر]

جابر : واضح أنك لم تستفد من التجربة يامحسن . مازال ثراؤك يصور لك أنك قادر على كل شىء .

محسن : لا شأن لك بى ياجابر ، ابتعد عنى وأرحنى من ثرثرتك بالله عليك . .

جابر : سنفترق حالا ، ولن يرى أحدنا الآخر بعد ذلك .

مكرم : متى سنخرج ياجابر ؟

جابر : بعد قليل ، ولكن يجب أولا أن نصدر الأحكام على أنفسنا كما طلب السيد صابر .

محسن : واضح تماماً انك أصبحت بوقا أميناً له أيها المتشرد .

جابر : لست بوقا لأحد وأنت تعرف هذا جيداً .

مكرم : أحكام بالادانة بالطبع .

محسن : أأنت أبله يامكرم ، أى إدانة تلك ؟ لن يصدر أحد الحكم على أحد ، وسنخرج من هنا إن عاجلاً أو آجلاً . .

[يدخل غريب]

غريب : الملف ياسيد جابر .

[يناوله الملف ويخرج]

جابر : هذا الملف . . فيه صور المستندات التى تحت يد شقيقك . . وقد تكون الآن تحت يد جهة أخرى لا أدرى ولكن أعتقد يامحسن أنه يهمك الاطلاع عليها .

[يتناول محسن الملف فى لهفة ويقلب أوراقه] .

جابر أنت تعرف بالطبع كيف تضاعفت ثروتك ، وكم من الأزمات خلقتها بالأسواق عمدا لتتحكم فى الأسعار كما يحلو لك . إن هذه الأوراق تدل دلالة قاطعة على إفسادك للحياة فى بلدك يامحسن .

محسن : [يطوح بالملف] من أنت أو غيرك ليتهمنى بافسادى للحياة فى البلد ياجابر ؟ لقد حاربت وعرضت صدرى لرصاص العدو بعد سنوات من الانتظار المرير . فلما عدت إلى الحياة المدنية وبحرها المتلاطم الأمواج كان على إما أن أسبح مع التيار أو أغرق ، فضلت النجاة بالطبع لأنى لست أبله ، ان الذين أفسدوا الحياة ياجابر هم أولئك الحيتان الذين لم يحاربوا ولم يكتووا بنار الحرب ، إنهم اولئك الحيتان الذين لا يعرفون للوطن ولا للقيم ولا لدماء الشهداء معنى . ما الذى يريده صابر منى ؟ أيريدنى أن أوزع ثروتى على الجمعيات الخيرية والملاجىء وأن أتحول إلى شحاذ يستجدى لقمته تحت اسم الوطنية والوفاء والانتماء ! ماذا سيكون حال البلد لو تحولنا جميعاً إلى شحاذين ؟ . وممن سنشحذ .

جابر : أتنكر يامحسن أنك تعيش فى بذخ أسطورى فى بلد يعيش الناس فيه فى المقابر ؟ فى بلد يدعم رغيف خبزه وتتناوب فيه الأزمات على الإنسان كالذبحات الصدرية ! . انك يارجل تتصرف فى أموالك تصرف الوارث السفيه دون أن تفكر فى بناء مدرسة أو مستشفى أو حتى رصف طريق فى قريتك يجنب أطفالها مشقة الخوض فى الوحل والطين كل يوم وهم فى طريقهم إلى مدرستهم . .

محسن : خطبة عصماء تستحق عليها عاصفة من التصفيق الحاد أيها الدجال المهرج !

سلامة : لم يقل جابر منكراً يا محسن . . لا . . لقد تجاوزت الحد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محسن : أنا ياسلامة الذى تجاوز الحد ؟ أنسيت نفسك ، أنسيت من أنت وإلى أى جانب تنتمى . لا تظن أنك بتضامنك مع هذا الأحمق وسيده صابر ستفجر قنبلة من الدخان تستر مخازيك . . إنهم يعرفون جيداً تلك الإتاوات التى تفرضها على الشخصيات والمؤسسات لتكف لسانك القذر عنهم فى صفحتك المشبوهة . . وإلا فمن أين لك الشقة الفاخرة على النيل ومن أين رتل السيارات الفارهة لك ولأولادك . . أم تظننى أجهل ما أنت عليه . .

سلامة : إنه عمل شريف على أية حال . . ولا تستطيع أن تقول فيه كلمة . .

محسن : وهل من الشرف أن تبدأ مع اليسار . . ثم تتحول إلى كاتب إسلامى فلما انكشف زيفك ودجلك هرولت إلى حزب المومياات المتحجرة تبيعهم قلمك وتضرب عرض الحائط بشرف المهنة وما يجب أن يكون عليه الصحفى الأمثل الذى يحترم قلمه .

مكرم : بربكما كفاكما تجريحا . .

سلامة : دعه . يامكرم دعه يفرغ أحقاده . . .

محسن : أنا الحاقد أم أنتم ؟ إن الحقد هو الذى جرنا جميعا إلى هذا الموقف المعقد الغريب . . وأنت ياأستاذ ، ماذا تظن نفسك . . أيها المدير العام ، لعلك تظن أنك مبرأ من كل عيب . .

مكرم : أنا أعرف عيوبى وأخطائى جيداً . . أعرف أنى مدان وأستحق العقاب ولست فى حاجة إلى من يعدد لى مخازى ، لقد اتخذت قرارى فعلاً وسأنفذه حال خروجى من هنا يامحسن .

جابر : هذا هو خلق المحارب حقا .

محسن : أنت إذن الملاك الوحيد فينا ، المبرأ من كل عيب . . [يضحك] إن كان فينا من يستحق اللوم والعقاب حقاً فهو أنت . . أيها العاطل الكسول ، الذى لا ينفع المجتمع بشىء على الإطلاق . لو كنت نجاراً أو سباكاً لكان ذلك أجدى لك وللوطن من تلك الكتب القميئة التى وجدتها لك فى هذه المكتبة . حرام والله هذا هو الورق الذى استهلكته المطابع والأحبار التى أهرقتها على هذا الغثاء .

جابر : قد توصلت إلى هذا فعلاً .

محسن : ياالصفاقتك !

جابر : لقد انتهزت الفرصة وأنا هنا لأنفرد بنفسى حقاً وأراجع حياتى فاكتشفت أنى كنت أعيش فى وهم . لقد كنت تواقا لأصبح كاتبا ، فاقتحمت ذلك الميدان بلا أسلحة تعيننى على الاستمرار ، لذا فشلت ، ولم يلتفت أحد إلى كتاباتى اللهم إلا قلة نادرة لسبب أو لآخر أنا عاجز عن فهمه . الحقيقة أنى غير مبدع ، ولن أكون كاتباً مؤثراً فى يوم من الأيام ، لذلك سأبحث عن عمل ، ولكنى لن أهجر القراءة لأن فيها من المتعة ما يعادل متعة الكتابة ذاتها .

محسن : ياالهى ! أى شيطان صابر هذا ؟ ما الذى جاء بنا هنا ؟ ولماذا دعانا ؟ إن ما جرى هنا لهو أقسى من أى عقاب سنواجهه إذا خرجنا .

مكرم : لقد جرحنا بعضنا . بل تعرينا من ثيابنا وأقنعتنا وفقدنا احترامنا لأنفسنا . .

جابر : ولكنه درس .

سلامة : وأى درس ؟ .

[يدخل صابر على كرسيه المتحرك]

الجميع : العريف صابر . . .

صابر : جئت لأقول لكم إن الأبواب مفتوحة أماكم . . لقد انتهى الحفل يارفاق .

الجميع : بل . . بدأ الآن ياصابر . . .

سلامة : [يقبله] كم كرهتك . . ولكنى الآن أحبك كإنسان قريب إلى نفسى جداً ياصابر . . كنت أظن قبل أن آتى هنا ، أن الإنسان أشبه بالمقذوف النارى الذى ما أن يضغط الانسان على الزناد حتى ينطلق ولا شىء يوقفه الا الاصطدام بالهدف . . أو فقدانه لقوة دفعه الذاتى ولكننى تعلمت فى هذه الأيام ، أن على الإنسان أن يراجع حساباته دائماً ويصلح من مساره ما أمكن . أشكرك ياصابر . . وإلى اللقاء قريباً جداً لأستنير برأيك فى أشياء تهمنا جميعا . .

[يخرج]

محسن : هيا بنا يارفاق . .

جابر : خذنى معك يامحسن . . اذ لا أملك سيارة ولا حتى دراجة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صابر : [يضحك] سيارتى فى انتظارك ياجابر لتوصيلك . .

مكرم : إلى اللقاء ياصابر . .

صابر : بابى مفتوح لكم دوما . . وآمل أن أراكم قريباً وقد عادت لكم روح المقاتل الحقيقى . .

« ستار »

الاسكندرية : أنور جعفر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حول استخدام الحرف العربى فى التشكيل

د. محمد جلال محمد عبد الرازق

شهدت الكتابة العربية على مر عصورها أنواعاً مختلفة من الأنماط . . فسارت بين فخامة الثلث وانسيابية الديوانى وهندسة الكوفى وزخارفه . . ووذهبت بها سهولتها فى التشكيل إلى أن تصبح من العناصر الهامة فى الزخارف العربية ، التى ازدانت بها صفحات المصاحف والمخطوطات وجدران المساجد والقصور وأسطح المشغولات ، وغيرها من الروائع التى تشهد لها المتاحف العالمية بالجمال والذوق الرفيع .

وتلك هى نفس الصفات التى جعلت حروفها وكلماتها تستغل فى أيامنا كعناصر تشكيلية لها أهميتها فى إخراج الأعمال الفنية ، سواء استخدمت بشكلها النمطى المعروف أو بصورة غير مقيدة بالقواعد التى وضعت لها ، بل وصل بها الفنانون إلى سيطرة حروفها وكلماتها على بناءات التكوينات ، بعد أن كانت لا تستخدم فى اللوحات الفنية إلاّ كمجرد توقيع لاسم الفنان أو كعنوان لملصق أو لاعلان أو كشرح لمعنى الصورة الأدبى .

واستخدام هذه العناصر الكتابية فى فنوننا التشكيلية المعبرة تعدّ من الموضوعات الهامة ، التى كثيراً ما كتبت فيها أقلام النقاد والمحللين ، بعد أن أصبحت ظاهرة أو دعوة التفت حولها مجموعات كثيرة من فنانينا على مستوى الوطن العربى . ومن هؤلاء الكتاب من اعتبر ذلك ظاهرة لفن قومى يؤكد الانتماء ، أو انعكاساً للتشبث بالتراث الذى ينتظر له البقاء الطويل ، واعتبرها البعض أزمة فى الابداع واتجاهاً نحو الأسهل . وفى كل بلا شك كثير من الصواب ، فلقد تعددت الأشكال والاستخدامات ، واختلط بالفعل الصالح بالطالح وتشعبت القضايا النقدية واختلفت ، حتى أصبح الأمر يتطلب وقفة تهدأ فيها الأنفاس إن صح التعبير ، ويتم خلالها تقديم ما يشبه كشف الحساب عما قدمه فنانونا فى هذا المجال ، حتى لو كان فى صورة تصنيف لها بعيداً عن هذه القضايا وفى نفس الوقت قد يلقى شيئاً من الضوء على طريق تحليل هذه الأعمال وتقييمها وهو ما سنحاول الاقتصار عليه فى دراستنا هذه ، من خلال بعض الأعمال الفنية على سبيل التمثيل لا الحصر ، وقد جمعت من المعارض العامة والجماعية والخاصة وبعض الكتب العربية والأجنبية إلى جانب المجلات والنشرات الفنية .

ونظرة شاملة على ما أنتجة التشكيليون العرب على مدى ما يقرب من نصف قرن فى هذا المجال ، تدل على أنهم قد ينقسمون إلى ثلاث مجموعات رئيسية [انظر الجداول الثلاثة] ويمكن تصنيفهم فى محاولة سبقتها إجابة على سؤال خاص بالأسس التى ستتم بها عملية التصنيف ، فإذا كانت حسب التسمية التى وضعها الفنان ، فإننا سنكون بعيدين عن الواقع المرئى لعناصر اللوحة وستصبح نظرتنا اليها مثل نظرتنا إلى لوحة الفنان « ستانلى هاتير » الذى حفر فيها مجرد علاقات خطية متداخلة ومتراقصة أسماها [امرأة فى شبكة] دون أن يكون هناك ما يشير إلى امرأة أو إلى الشبكة ، وخصوصاً أن بعض فنانينا قد ارتقوا بتسمياتهم إلى مستوى السيمفونيات المرقمة وإلى التسبيحات . ومنهم من لم يطلق على لوحاته أية تسميات وكانت لوحاتهم مجرد تكبير لتوقيعات خطية معينة ملأت اللوحة [وكأنهم قد صنعوا ما يشبه « الزووم أب » على هذا الجزء الصغير الذى كان يحمل توقيع الفنان فى لوحات العمالقة الأقدمين] ، أما إذا كان التصنيف بناء على ما يقرأ فى اللوحة فإنه ومثلما هو مدون فى الجداول لا يقدّم فى معظمه كتابات مقروءة وبخاصة فى اللوحات التى تحمل عددا من الحروف والكلمات . لذلك رأينا أن يكون التصنيف مرتبطاً بالأساسيات التى بنى عليها الفنان لوحته تشكيلياً وما تحتويه من عناصر مرئية وحروف مستخدمة ، إما كعناصر أساسية وإمّا مجرد عنصر مساعد فى إعطاء المعنى . ولو تابعنا الحركة الفنية العربية فى نصف قرن فسنجد أن مجموعة من الفنانين استخدمت الحروف أو الكلمات كعناصر تشكيلية أساسية فى بناء تكوينات لوحاتهم [انظر الجدول رقم ١] حيث يلاحظ أن من بينهم :

أ ـ فنانين اعتمدوا على ما تعطيه الكلمة من معنى معروف ، فمنهم مثلاً من استخدم كلمة [الله] لما تحمله من مضمون يعدّ مجمل ما يقال فى عقيدة الذات الالهية التى جاءت بها الأديان وكل ما يتصوره العقل البشرى من الكمال فى أشرف وأرقى الصفات والمثل العليا ، [لوحة ١] .

ومن هؤلاء الفنانين أيضاً من استغل أسماء الأعلام بما لها من تاريخ ومكانة مثل الفنان الفلسطينى [ميشيل نجار] الذى ملأ لوحته بكلمة فلسطين وجعلها مسيطرة عليها سيطرة كاملة [لوحة ٢] وذلك لمعرفته الجيدة بأنها ستعطى معنى لا يختلف عما يعرفه الشعراء والمشردون والفدائيون والشهداء ومتابعو القضية . ومن الفنانين من أراد الوصول إلى هذه المعانى المعروفة بطريقة غير مباشرة وشبيهة بطريقة الفوازير مثل الفنان المصرى صلاح طاهر عندما ملأ لوحته بالضمير [هو] فقط ، ربما ليعود بمعناه إلى الله [عز وجل] [لوحة ٣] وهذا على نقيض صراحة الفنان القاهرى عبد المنعم زكى الذى كتبها مباشرة فى لوحته « هو الله » أما الفنان الفلسطينى كمال بلاطة فقد استخدم حرف الرفض [لا] وربما نتلمس له معنى استخدامه كسلاح مقاومة أو معارضة للأوضاع التى تعيشها القضية والشعب الفلسطينى داخل الأرض المحتلة [لوحة ٤] .

ب ـ فنانين لم يهتموا فى لوحاتهم بما تعطيه الكلمات من معان وإنما بما تعطيه هى وحروفها من تكوينات وتشكيلات جاءت غير مقروءة ، إلاّ إذا دققنا النظر فى بعضها [فى لوحات الفنان المصرى « طه حسين » مثلاً] فلوحات الفنان [رشيد القريشى] تمثل صفحة [المخطوط] ازدحمت بالكتابات الصغيرة التى يعجز المشاهد عن قراءتها لتشابك سطورها وحروفها ، وفوق هذه الكتابات وضعت تشكيلات خطية قائمة غير مقروءة بالمرة فزادت اللوحة إبهاماً والتكوين جمالاً ، وكأن هذا هو الثمن فى لوحة تمتاز بالتسطيح ، خلفيتها تتكون من حروف معروفة مع مقدمة من تشكيل خطى مجرد من شكل الكلمة ومعناها وكأنما أراد أن يمسك العصا من منتصفها ليتم عنده التوازن بين الخيال والواقع وبين التسجيل والتكوين فى اللوحة [لوحة ٥] .

حـ ـ فنانين ربما وصل بهم التطرف التجريدى للحروف وللكلمات إلى نبذ الاهتمام بالمعنى وبالشكل على السواء ، محتفظين بالحركات التى تعطيها مجاميع الخطوط ـ أية خطوط ـ للوصول إلى تكوينات خالية من أية مفردات معروفة ، وارتفعوا بها فوق مستوى الجماهير العربية ووصفوا هذه الجماهير بالقصور عند تلقى العمل الفنى [مثلما حدثنا الناقد صلاح الدين محمد] وقد تعد أعمال هؤلاء خارج حدودنا العربية فنا قوميًا لنا وذلك لخروجها هناك من دائرة البحث عن المضمون لدى المتذوقين والنقاد وحصر قيمتها فى التشكيل وحده .

ومجموعة ثانية من الفنانين التشكيليين استخدمت الحرف الواحد كعنصر أساسى فى بناء التكوين شكلاً وموضوعاً [وربما التكوين كله] . ولوحات هؤلاء قليلة إذا قورنت بغيرها من المجموعتين الأخريين . وهى بالرغم من احتوائها على حرف معروف تحتاج دائما إلى تفسير خاص للإجابة عن الاسئلة المتصلة بسر اختيار الحرف المستخدم من بين سائر الحروف وآلاف الكلمات والعبارات ، وجدول رقم [٢] يوضح أربعة أمثلة : الثلاثة الأولى منها لا نملك إلا أن نقول فيها : أن اعتزاز الفنان كمال السراج بحرف [س] جعله يتغنى به فى جميع لوحاته وعلى مدى سنوات عديدة دون ملل أو تفكير فى استخدام حرف آخر والفنان [على محمود عبد الحميد الأعصر] له وجهة نظره فى تكرار حرف اللام عندما أسمى لوحته تسبيحات ، مثل غيره ممن امتلأت لوحاتهم بتكرارات وترديدات الحروف ، وأطلق الفنان عمر النجدى على واحدة منها اسم « صدى الصوت » . والفنان صلاح طاهر ساعدته انسيابية وحركة حرف [الحاء] وملاءمتها طريقته فى إخراج لوحة سيطر عليها حرف واحد هو وحده يعرف ماذا يعنى ، أما نحن المشاهدون فسوف نقف حائرين أمام هذا الابهام الكامن فى بساطة لا نستطيع إلا أن نقول فيها : إنها الخبرة الطويلة لفنان معروف خبرة أعطته فرصة التبسيط ليس بالمعنى وحده وانما أيضاً بالتكوين ، الذى لو قارناه بتكويناته الأخرى لوجدنا فارقاً ، فإنه احتفظ بقيمة أسلوبه وجمال ألوانه وبهجتها . أما الفنان [محسن محمد الخضراوى] فقد استخدم حرف النون مكرراً بأحجام مختلفة وفى أكثر من موضع وفى أكثر من لوحة لبحثه عن معنى دينى مستندا فيه إلى قوله تعالى « نون والقلم وما يسطرون » .

والمجموعة الثالثة : وهى الغالبية استخدمت الحروف أو الكلمات كعناصر تشكيلية مشاركه مع غيرها فى بناء تكوين اللوحة وفى إعطاء المعنى وإظهاره وتأكيده [الجدول رقم ٣] ، فهى عند الفنان العراقى شاكر حسان [مثلا] مجرد شرح لرسوماته الخاصة بقصص « ألف ليلة وليلة » [لوحة ٦] ، وعند الفنان السورى نبيه بلان] فوق اللافتات التى يرفعها متظاهرو الأرض المحتلة ضد العنصرية والصهيونية ، شأنها شأن الاعلانات التى يبغى من ورائها إثارة حماسة الجماهير مثلما حدث فى حرب بور سعيد وفى حروب السويس . وهذه الكلمات ارتبطت عند الفنان الدمياطى [يوسف سيده] بأجسام النساء ، وهى عند الفنان اللبنانى [عمران القيسى] أرضية تندفع نحوها طيوره الساكنة السابحة [لوحة ٧] وفى اللوحة رقم [٨] للإشارة إلى مناجاة الانسان لربه . وهى عند الفنان السعودى محمد موسى السليم تأكيد لانتماء الصحراء العربية ، ومع عناصر أخرى فى لوحة [محمد الطحان] عكست عادة شعبية مصرية وهى رسم بعض العناصر على جدران منزل الحاج العائد من الأراضى الحجازية . وأخيراً نجدها فى لوحات الفنانة عشتار جميل حمودى ، إمّا ترجمة للأساطير البابلية القديمة وإما ترجمة لبعض الشعر العربى الحديث وكأن هدف الفنانة الأساسى هو كتابة هذه الأبيات وتلك النصوص مع بعض العناصر التشكيلية مثل النخيل أو الطيور أو الشمس وغيرها .

ومما هو جدير بالذكر . . أن كثيرا من هؤلاء الفنانين لا يجيدون الكتابة الخطية بقواعدها المعروفة ، وهذا من الناحية التشكيلية قد يعدّ إلى حد كبير ظاهرة مقبولة أو على الأقل تصريحاً مفتوحاً لكل من يريد الخوض بتجاربه فى هذا المجال : فلو تأملنا أعمال الفنان [الجبالى] أو الفنانة الأردنية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

[وجدان على] أو الفنان [حامد ندا] لوجدنا أنهم لو أتقنوا الكتابة الخطية بقواعدها لما أمكن لهم إخراج مثل هذه التلقائيات التى وصلت عند [وجدان] مجرد توقيع فى لوحة غير مقروءة . أما الكتابة فى لوحات [ندا] فهى عنصر غير أساسى شكله التلقائى يوجد منسجماً مع الأسلوب الذى اختاره الفنان لنفسه ومتماشياً مع بقية العناصر الأخرى [النساء والقطط ـ لوحة ٩] ، إذ نجد الجميع يسير فى رسمه وفق نغمة معينة تزداد وتقل فى سمكها بين الحين والآخر بحيث أصبحت عائلة العناصر واحدة . والعكس صحيح . فلو كان فنان مثل جمال السجينى لا يتقن الكتابة النمطية لما أمكن له تنفيذ روائعة من اللوحات النحاسية المطروقة [لوحات ١٠] .

وفى نفس الوقت الذى أبدت فيه أعمال عمر النجدى وأحمد محمد حسين اعتزازاً خاصاً بالخط الثلث ، نجد فى أعمال فنانين آخرين اعتزازا بنوع ثان مثل كمال بلاطه وخطه الكوفى الهندسى .

وبالرغم من أن لوحات فنانين أمثال البحرينى [عبد الكريم العريض] والمصرى [محمد رضوان حجازى] والمغربى [عبد الله الحريرى] قدمت عطاء سخيا من الخطوط النمطية [لوحة ١١] ، فإن عجز المشاهد عن قراءتها قد يصيبه بما يشبه الاحباط ، خصوصاً عندما يجد نفسه أمام حروف يعرفها لا تشكل أية معان .

ومن هنا يمكننا القول إن ما نُفِّذ فى أغلب لوحاتنا العربية فى النصف الثانى من القرن الحالى من خطوط وكلمات ليس إلا استغلالا لجمال الحرف العربى [الموجود اصلا] فى ابتكارات تكوينيه متنوعة . . وليت التكوين فى محاولات لابتكار أشكال جديدة للحروف ينمو ويتطور . ليستخدم فى لوحات تعبر عن واقعنا .

د. محمد جلال محمد عبد الرازق

جدول رقم (١) : يوضح نماذج من أعمال الفنانين الذين استخدموا أكثر من حرف أو الكلمة كعناصر تشكيلية أساسية فى التكوين

	الفنان		مضمون العمل الفنى	نوع العمل	نوع الخط	امكان القراءة
١	احمد سليم	مصر	تشكيل حروف	تصوير	تصرف ثلث	غير مقروءة
٢	احمد محمد حسين	,,	,,	,,	ثلث	,,
٣	حسين الجبالى	,,	تشكيلات خطية	جرافيك	تصرف	,,
٤	رشيد القريشى	تونس	تشكيل حروف وكلمات	تصوير	,,	,,
٥	سيد خليل	مصر	عبارة (بسم الله . . .)	,,	ديوانى	مقروءة
٦	صلاح طاهر	,,	كلمة (هو)	,,	تصرف نسخ	,,
٧	طه حسين	,,	تشكيلات خطية	,,	تصرف رقعه	يمكن قراءتها
٨	عبد الكريم العريض	البحرين	تكوين حروف وكلمات	,,	لتنوعات نمطيه	غير مقروءه
٩	عبد المنعم زكى	لمصر	كلمة (هو الله)	,,	تصرف	مقروءة
١٠	عبد الوهاب مرسى	,,	تشكيل حروف	,,	,,	غير مقروءة
١١	على حسن	قطر	,,	,,	,,	,,

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جدول رقم (١) : يوضح نماذج من أعمال الفنانين الذين استخدموا أكثر من حرف أو الكلمة كعناصر تشكيلية أساسية فى التكوين

١٢	على عبد الباقى	مصر	تشكيل حروف وكلمات	رسم	,,	,,
١٣	عمر النجدى	,,	حروف مكرره	تصوير	ثلث	,,
١٤	كمال بلاطه	فلسطين	(لام الف) مكررة	رسم	تصرف كوفى	مقروءة
١٥	محمد خطاب	مصر	تشكيل حروف	تصوير	لتصرف	غير مقروءة
١٦	محمد رضوان حجازى	,,	,,	,,	تصرف كوفى	,,
١٧	محمود طه	فلسطين	تشكيل	,,	,,	,,
١٨	محمد طوسون	مصر	حروف مكرره	,,	ثلث	,,
١٩	ميراند اسحق	,,	تشكيل كتابى	,,	تصرف	,,
٢٠	ميشيل نجار	فلسطين	كلمة (فلسطين)	,,	تصرف نسخ	مقروءة
٢١	نجوى عبد الجواد	مصر	تكوين من لفظ الجلاله	جرافيك	تصرف كوفى	,,
٢٢	هدى عبد الرحمن	,,	تشكيل حروف	,,	تصرف فارسى	غير مقروءة
٢٣	وجدان على	الأردن	تشكيل كتابى	تصوير	تصرف	,,
٢٤	يوسف احمد	قطر	تشكيل حروف وكلمات	,,	,,	,,

جدول رقم (٢) : يوضح نماذج من لوحات الفنانين العرب الذين استخدموا الحرف الواحد كعنصر تشكيلى أساسى فى التكوين

	الفنان		مضمون العمل الفنى	نوع العمل	نوع الخط
١	صلاح طاهر	مصر	حرف « ح »	تصوير	تصرف
٢	على محمود الاعصر	,,	حرف « ل »	رسم	تصرف كوفى
٣	كمال السراج	,,	حرف « س »	تصوير	تصرف
٤	محسن الخضراوى	,,	حرف « ن »	,,	تصرف كوفى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جدول رقم (٣) : يوضح نماذج من لوحات الفنانين الذين استخدموا
الحروف أو الكلمات كعناصر تشكيلية مساعدة فى التكوين

	الفنان		مضمون العمل الفنى	نوع العمل	نوع الخط	إمكانية القراءة
١	ابتسام زكريا لطفى	مصر	كلمات + عناصر هندسية	نحت	تصرف ديوانى	غير مقروءة
٢	جمال السجينى	,,	كلمات + أشخاص	,,	تصرف كوفى	,,
٣	حامد ندا	,,	وحاها الغزلان + شخصيات	تصوير	تصرف	مقروءة
٤	سامى برهان	سوريا	كلمات + شخصية	رسم	تصرف ثلث	غير مقروءة
٥	سامية الزور	فلسطين	كلمات + عناصر	تصوير	تصرف	,,
٦	سليمان منصور	,,	كلمات + عناصر شعبية	,,	تصرف نسخ	مقروءة
٧	شاكر حسان السيد	العراق	عبارات + عناصر	رسم	,,	,,
٨	عبد الرحمن المزين	فلسطين	عبارات + عناصر	,,	كوفى	,,
٩	عبد الحى سليم	,,	كلمات + عناصر	تصوير	تصرف	غير مقروءة
١٠	عبد الله الحريرى	المفرق	كلمات + زخارف	,,	ثلث	,,
١١	عشتار جميل حمودى	بارسيه المولد	كلمات + عناصر	,,	تصرف	مقروءة
١٢	عطيه مصطفى	مصر	كتابات + تشكيلات	,,	,,	,,
١٣	عمران القيسى	لبنان	حروف + طيور	,,	ثلث + تصريفات	غير مقروءة
١٤	فؤاد جهاد	العراق	لا اله الا الله +عناصر شعبية	,,	تصرف	مقروءة
١٥	مجدى عبد العزيز	مصر	كتابات + تشكيلات	جرافيك	تصرف ثلث	غير مقروءة
١٦	محمد احمد الطحان	,,	كلمات + عناصر شعبية	تصوير	تصرف	مقروءة
١٧	محمد جلال عبد الرازق	,,	يارب + عناصر	رسم	,,	,,
١٨	محمد موسى السليم	السعودية	حروف + عماصر لونية	تصوير	تصرف ثلث	غير مقروءة
١٩	محمود داجستانى	سوريا	السلام + حمامات وعناصر هندسية	رسم	تصرف	مقروءة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جدول رقم (٣) : يوضح نماذج من لوحات الفنانين الذين استخدموا
الحروف أو الكلمات كعناصر تشكيلية مساعدة فى التكوين

٢٠	محمود عبد العال	مصر	كتابات + تشكيلات	جرافيك	تصرف كوفى	غير مقروئة
٢١	مريم عبد العليم	,,	,,	,,	تصرف	بعضها مقروء
٢٢	مصطفى ابو صلاح	السودان	كتابات + تشكيلات	تصوير	تصرف كوفى	غير مقروءة
٢٣	نبيه بلان	سوريا	كتابات + شخصيات	,,	تصرف	مقروءة
٢٤	يوسف سيده	مصر	كتابات + شخصيات	,,	تصريفات	غير مقروءة

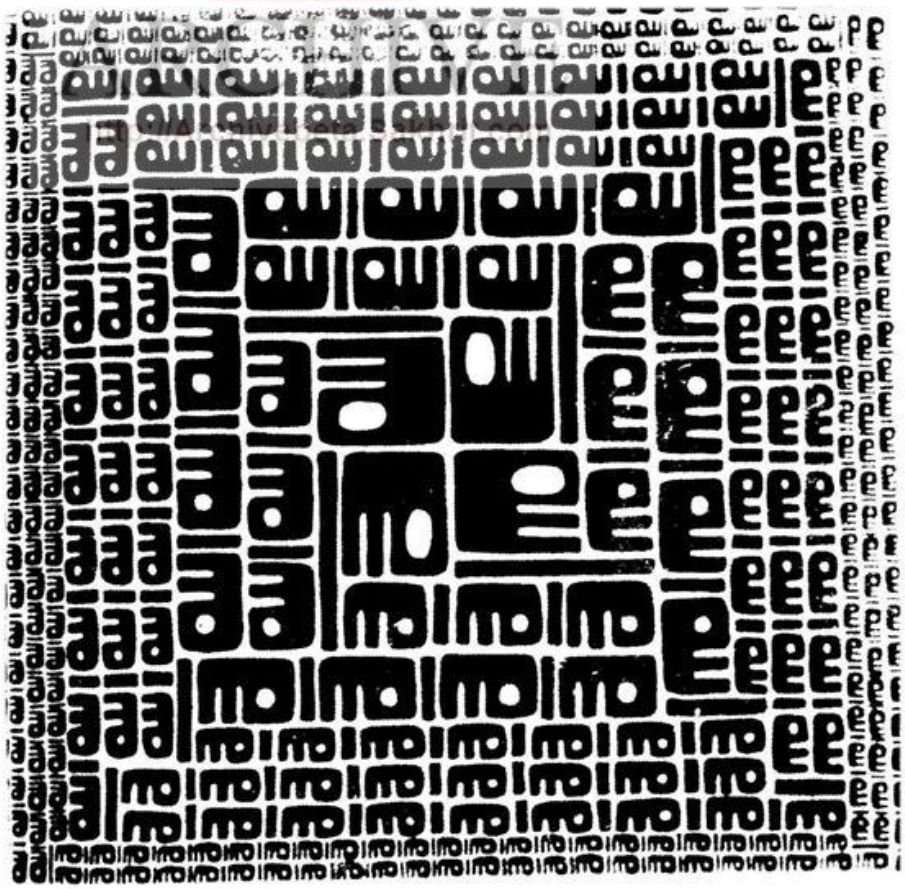

لوحة رقم [١]
الفنانة نجوى عبد الجواد ، جرافيك [تشكيلات للفظ الجلاله « لله »] عرضت فى معرض خاص بالفنانة فى القاهرة عام ١٩٨٥ بقاعة اخناتون بالزمالك . والفنانة من مواليد الاسكندرية [١٩٤٨] ، تخرجت فى الفنون الجميلة الاسكندرية قسم الجرافيك [١٩٧٢] وماجستير فى الجرافيك [١٩٨٣] . عملت فى مكتب وزير الثقافة حتى وفاتها [١٩٨٧] .

حول استخدام الحرف العربى فى التشكيل

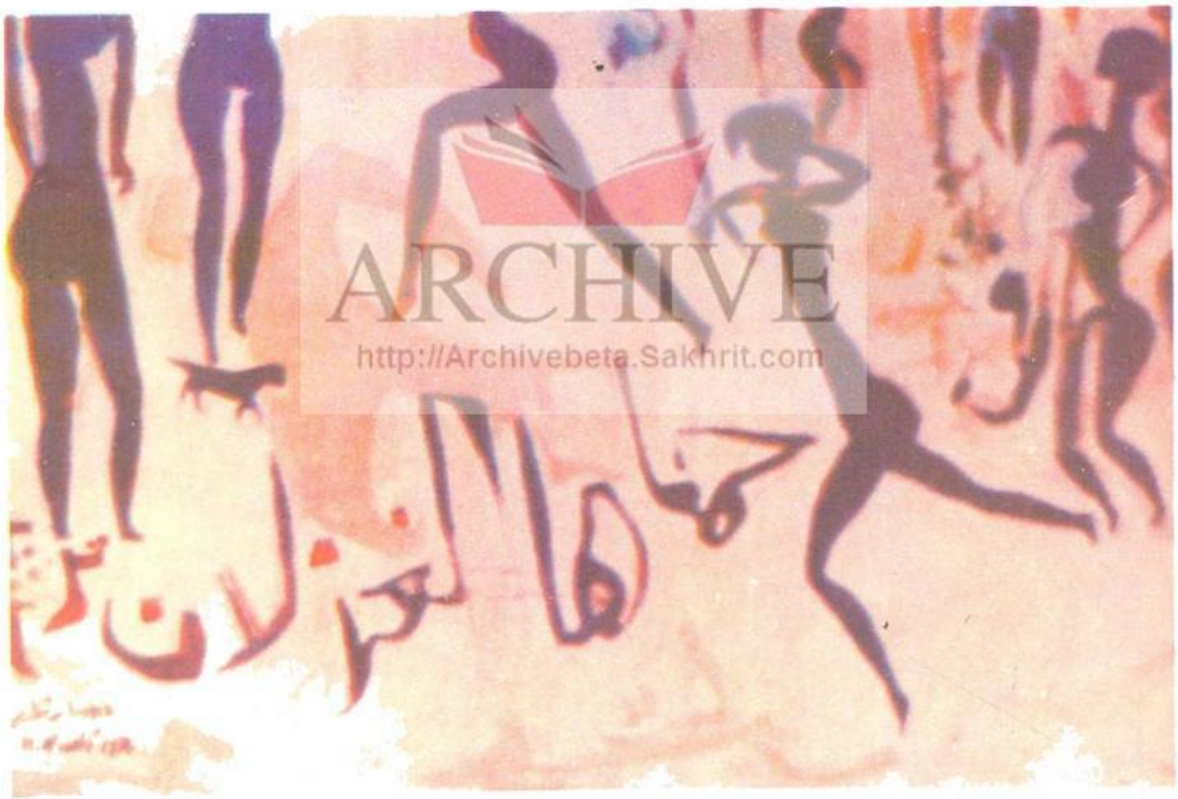

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لوحة رقم [٩] :

الفنان حامد ندا [حركات النساء مع القطط + كتابة « حماها الغزلان »] .

تصوير زيتى [١٩٧١] ، « جزء من اللوحة » . الفنان من مواليد الاسكندرية [١٩٢٤] . درس التصوير بالفنون الجميلة بالقاهرة ومرسم الأقصر ، وحاصل على دبلوم التصوير الجدارى من مدرسة سان فرناندو للفنون بمدريد [١٩٦١] وله دور كبير فى الحركة المصرية . صورت من كتيب خاص بالفنان للكاتبه فاطمة على من سلسلة وصف مصر المعاصرة من خلال الفنون التشكيلية ، « الهيئة العامة للاستعلامات » .

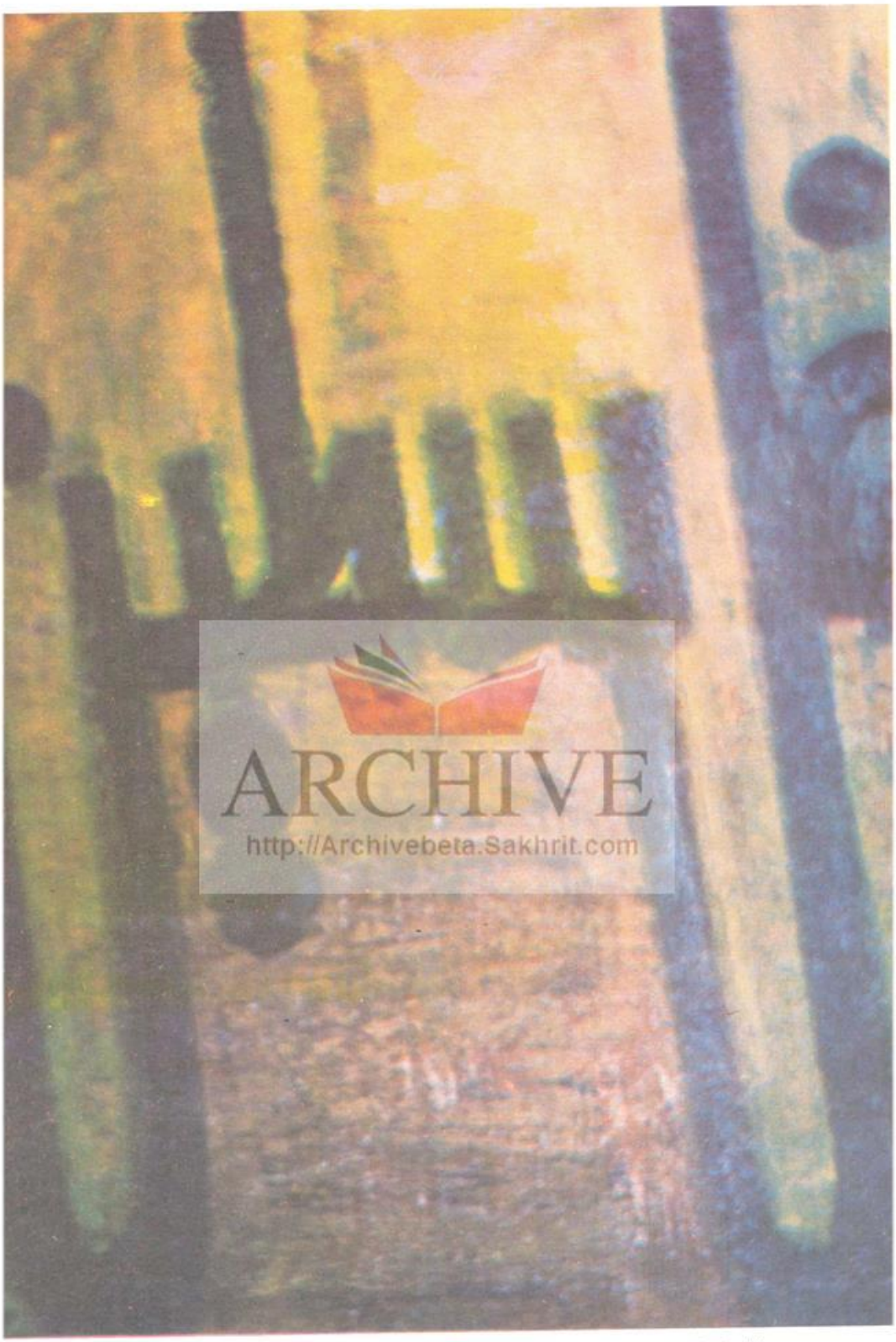
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

[اللوحة رقم ٢]

الفنان ميشيل نجار . [فلسطين] ، تصوير زيني [١٩٧٨] .
الفنان من مواليد [عكا) عام [١٩٣٣] ، تخرج في معهد الفنون ببيروت .
اللوحة صورت من كتاب : الفن الفلسطيني المعاصر للكتاب السوفيت أ. ف . بيردينكوف و أ. إ. سيرديوك [سوفر يمنيوى ايسكوستفو ارابسكفو نارودا باليستيني ، « اسكوستفو » ، موسكو ، ١٩٨٢] .

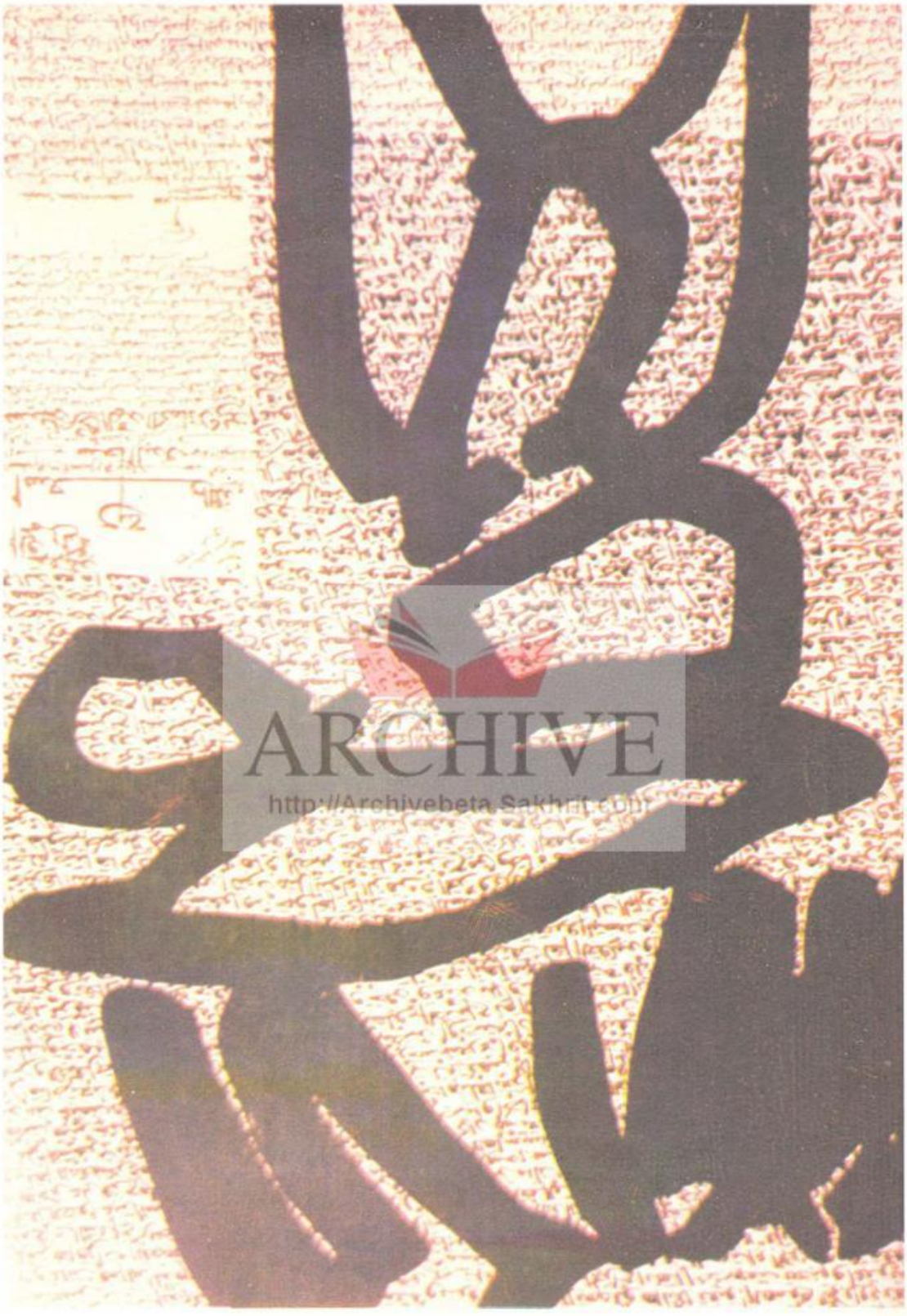

[اللوحة رقم ٥]

الفنان رشيد القريشى . [تشكي كتابى + تشكيل تجريدى خطى] .

فنان تونسى وأحد الفنانين العرب التى تجمعت أعمالهم حول استخدامات الخط العربى وعرضت فى صالة مطار الملك خالد الدولى بالمملكة العربية السعودية . صورت من العدد الثانى لمجلة [فن] .

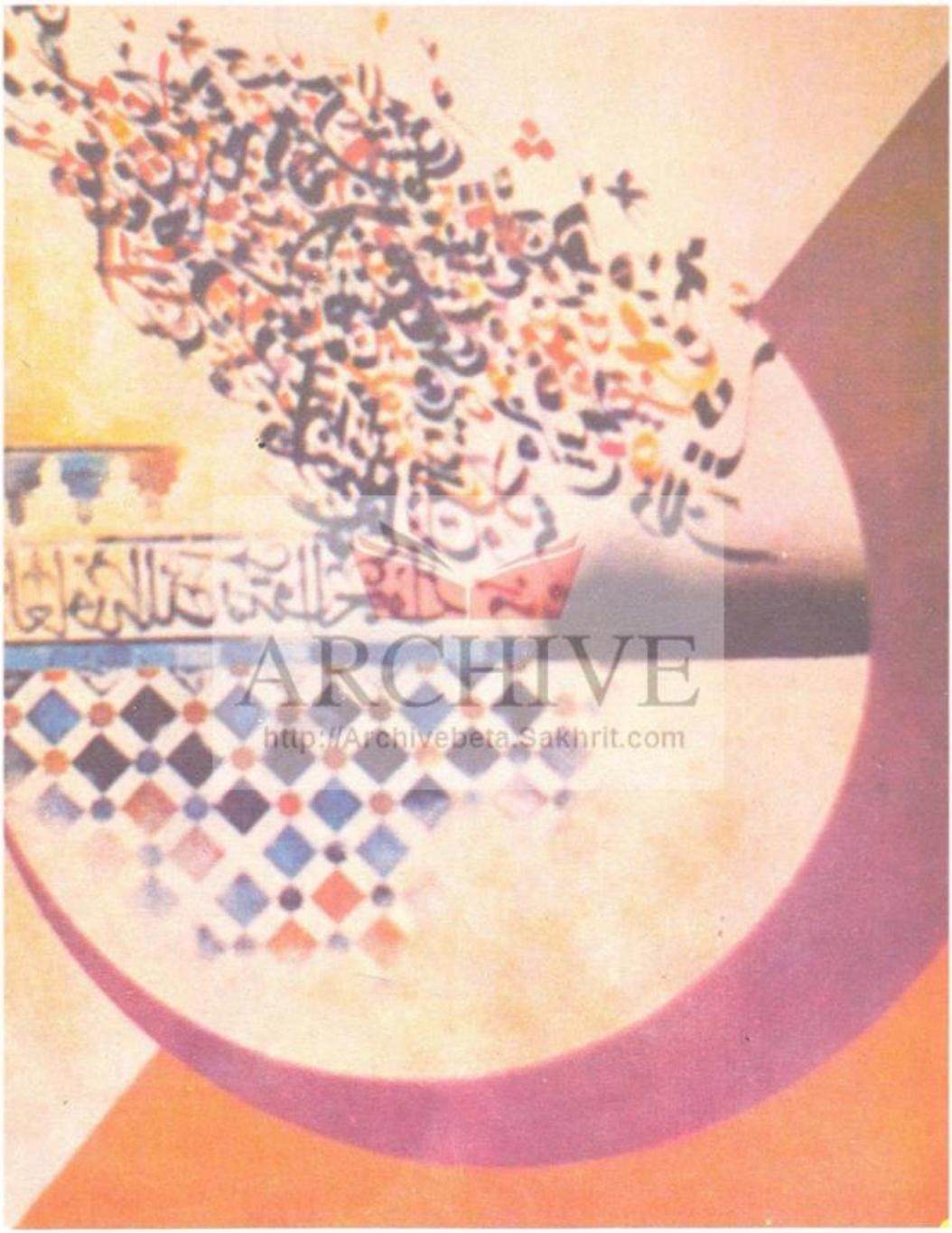

[لوحة رقم ١١]

الفنان عبد الله الحريرى . [تشكيل بالحروف + زخارف عربية] تسمية مجازية . الفنان من مواليد الدار البيضاء [١٩٤٩] . تخرج من مدرسة الفنون الجميلة بالدار البيضاء [١٩٦٩] ودرس فى معهد العمارة والتصميم فى روما حتى [١٩٧٥] . صورت من نفس مصدر اللوحة الخاصة .

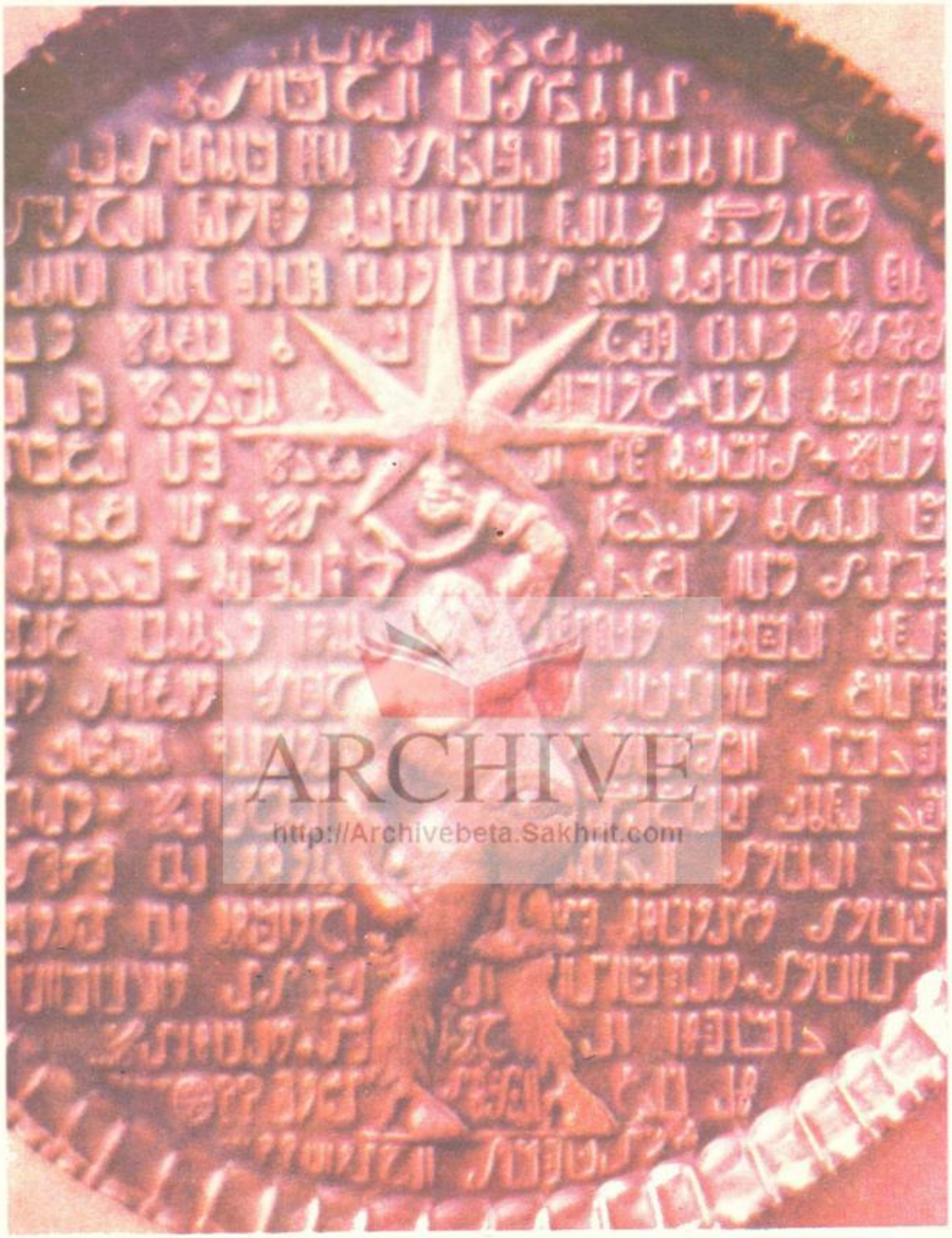

[لوحة رقم ١٠]

الفنان جمال السجينى . [جزء من لوحه المعدة العمياء] نحاس أحمر مطروق [مينية قطرها ٦٢ سم] ، [١٩٦٨] . الفنان من مواليد القاهرة [١٩١٧] . تخرج من الفنون الجميلة بالقاهرة [١٩٣٠] ودرس فى فرنسا وايطاليا . وعمل أستاذا للنحت بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة حتى عام وفاته [١٩٧٧] . صورت من كتيب عن الفنان للكاتب كمال الملاخ من سلسلة وصف مصر المعاصرة من خلال الفنون التشكيلية ، « الهيئة العامة للاستعلامات » .

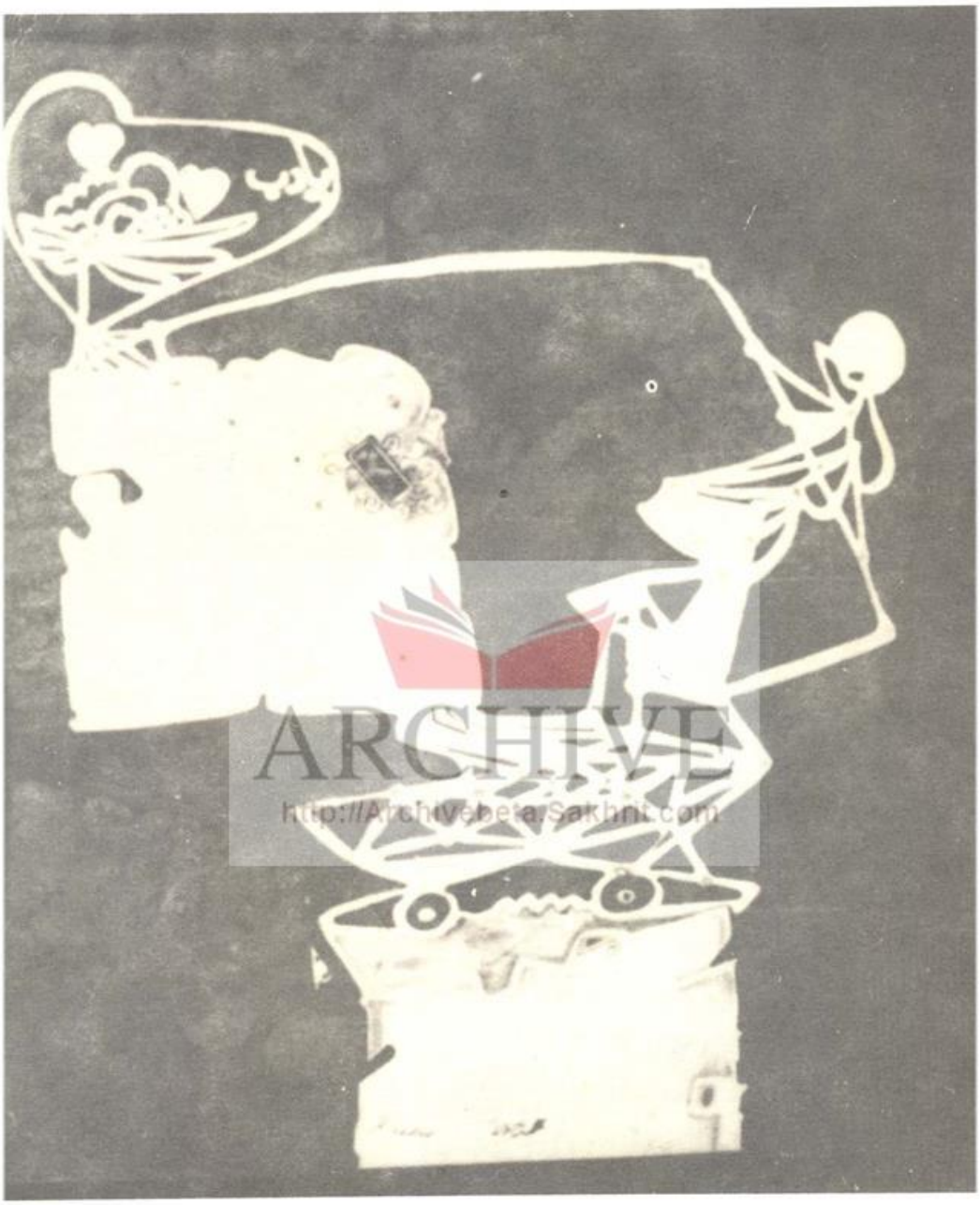

[لوحة رقم ٨]

الفنان محمد جلال محمد عبد الرازق . [دعاء] رسم بالألوان المائية والأقلام الملونة ، عرضت فى معرض الشبان الأجانب بأكاديمية الفنون بلنينجراد [١٩٨٤] وصالون الاسكندرية [١٩٨٥] والمعرض العام الثامن عشر للفنون بالقاهر [١٩٨٨] . الفنان من مواليد دمياط [١٩٤٩] . مدرس بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة قسم الجرافيك . دكتوراه فى فلسفة الفنون من أكاديمية « ريبين » للفنون بلنينجراد [١٩٨٤] .

لوحة رقم [٦]

الفنان حسان السيد [الحصان الطائر وكتابات مقروءة]

من مجموعة رسوماته لقصة « ألف ليلة وليلة » عام [١٩٦٢] .

الفنان من مواليد بغداد [١٩٢٦] تخرج فى معهد الفنون الجميلة ببغداد [١٩٥٥] ويعتبر أحد مؤسسى الفن العراقى الحديث . صورت من كتاب : الفن العراقى الحديث من ١٩٠٠ إلى ١٩٧٠ للكاتب السوفيتى ج . أ . بوجدانوف [سوفر يمينوى اسكوستفو ايراكا ، « اسكوستفو » ، لينجراد ، ١٩٨٢ .

صورتا الغلاف

الفنان صلاح طاهر . [هو] تصوير زيتى [١٩٧٨] .
الفنان من مواليد القاهرة [١٩١١] ، تخرج من مدرسة الفنون الجميلة العليا [١٩٣٤] ، عمل مستشاراً صحفياً وأقام العديد من المعارض ونال الكثير من الجوائز منها الدولة التشجيعية وجائزة [جوجينهايم] . اللوحة صورت من كتيب خاص عن الفنان للكاتب صبحى الشاروني من سلسلة وصف مصر المعاصرة من خلال الفنون التشكيلية ، « الهيئة العامة للاستعلامات » .

الفنان كمال بلاطه . [لام ألف] طباعة حريرية [١٩٧٨] .
عرضت فى بينالى الاسكندرية عام [١٩٨٤] . الفنان من مواليد القدس [١٩٤٢] . تخرج فى أكاديمية روما للفنون . وطافت أعماله بالعديد من الدول العربية والأجنبية . ونظم الصندوق الأمريكى الفلسطينى للمنح الدراسية معرضاً طوافاً للفنان يخصص جزء من مبيعاته لمنحة دراسية باسمه فى ترميم الأعمال الفنية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لوحة رقم [٧]
الفنان عمران القيسى . [كتابات وحروف + طيور سابحة فى الهواء] « تسمية مجازية» . وهو من النقاد فى الصحافة اللبنانية . صورت من نفس مصدر اللوحة الخامسة .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
رقم الايداع بدار الكتب ٦١٤٥ – ١٩٨٨

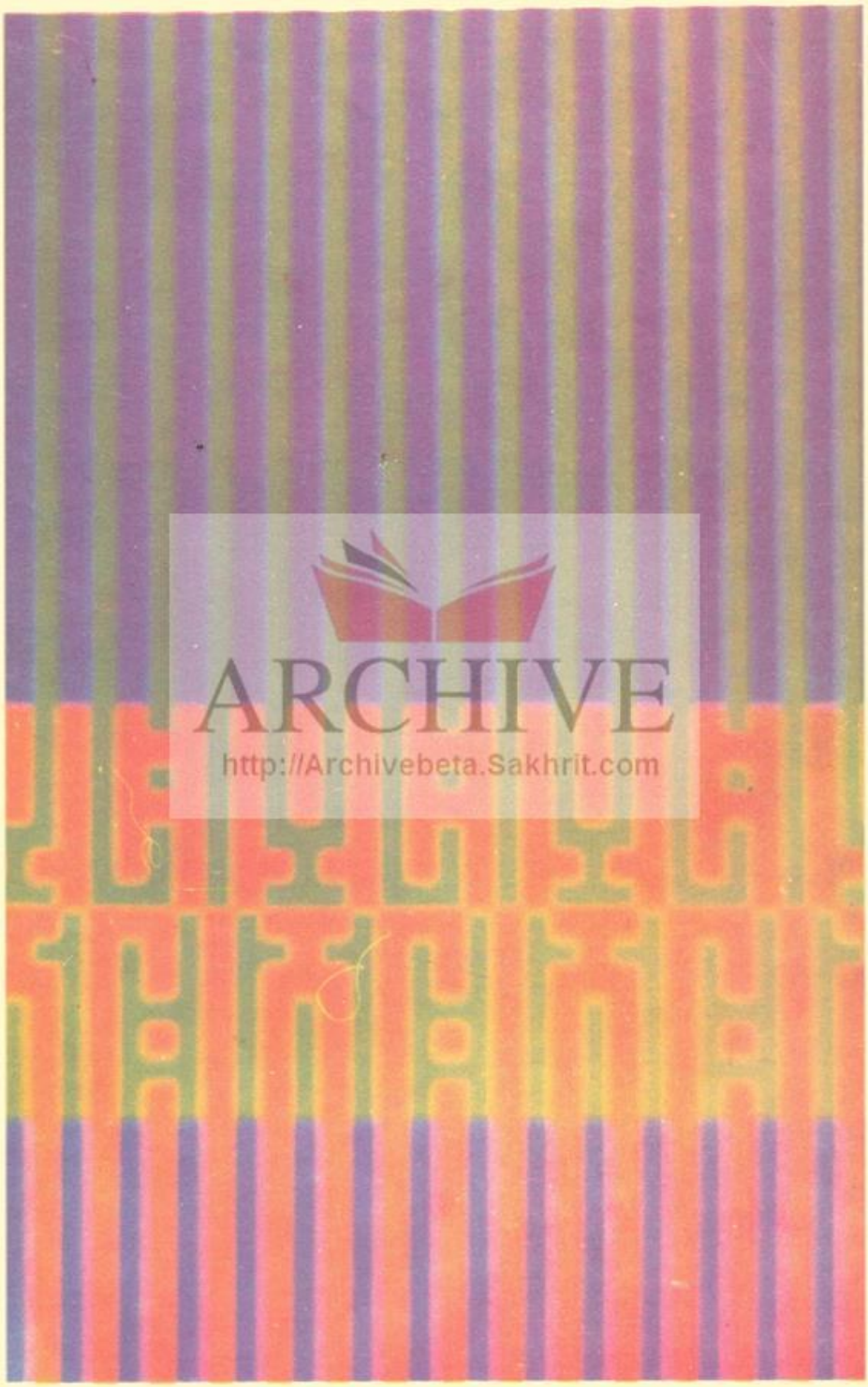
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com